العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الفكر والإبداع



شهر رجب
شهر شعبان
شهر رمضان
شهر شوال
شهر ذي القعدة
شهر ذي الحجة

Al-Sada
Cgltgral Qgavterly Jogrnal For Hegira Events
Issged by the al _abbas holey shrine Department of Intellectgal and
Cgltgral Affairs Division of thogght and creativity

بسم الله الرحمن الرحيم



صدق الله العلي العظيم
سورة الزلزلة: الآية/ ٧.

الإشراف العام
السيد عقيل عبدالحسين الياسري

رئيس التّحرير
صباح نعيم الصافي

مدير التّحرير
محمد الأسدي

هيأة التّحرير
رضوان عبد الهادي
حيدر فائق هادي
حيدر الدفاعي
محمد يوسف

المراجعة اللغوية
محمد رضا جاسم

التصميم و الإخراج
حسين عقيل
كرار عامر الصافي

التنفيذ الطباعي
دار الكفيل
للطباعة والنشر والتوزيع

للاشتراك

تستقبل مجلة الصدى المشاركات (البحوث والمقالات) باللغة العربية، ووفق المحاور التي تغطي أحداث السنة الهجرية وتتناول السيرة العطرة للنبي الأكرم ﷺ، وأهل بيته عليهم السلام.

ترسل المشاركات على العنوان الآتي:
العراق / كربلاء المقدسة / مجمع الكفيل الثقافي / شارع الاسكان / خلف متنزه الحسين عليه السلام الكبير

التواصل مع المجلة:

alsadda@alkafeel.net
info@alkfeel.net

رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق العراقية
٢١٩٤ لسنة ٢٠١٦م

في البدء

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على الرَّسول الأعظم محمد وآله الطَّيبين الطَّاهرين.

الأنبياء، والرّسل، والأوصياء صلوات الله عليهم هم الأدلّاء على الله تعالى؛ وأعظمهم، وأفضلهم الرسول الأعظم محمد ﷺ وأهل بيته صلوات الله عليهم؛ بل هم أفضل من خلق الله تعالى، ولا يمكن لنا أن نقايس الرّسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام بأيّ شخص في هذا الكون منذ أن خلق الله تبارك وتعالى، وإلى يوم القيامة، ومن أراد معرفة هذه الحقيقة فعليه أن يتوجّه، ويتأمّل في النّصوص الشّريفة الواردة في القرآن الكريم، وفي روايات المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الواردة في حقّهم عليهم السلام؛ إذ سنرى الصّورة المشرقة، والنّاصعة لحقيقة الرّسول الأكرم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

إنَّ الرسول الأعظم محمد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام هم القمّة في كلِّ المجالات؛ سواء في القضايا المتعلّقة بالبدن، أم المتعلّقة بالفكر؛ وسواء في أعمال الجوارح، أو أعمال الجوانح، ومن ضمنها الفصاحة، والبلاغة، والعلم، والمعرفة؛ وخاصَّة المعارف المتعلّقة بالتوحيد، وأسرار هذا الكون، وأحكامه، وسننه؛ فلا يوجد شخص منذ أن خلق الله تعالى، وإلى نهاية هذه العوالم أعلم من الرّسول الأعظم محمد ﷺ وآل بيته عليهم السلام؛ وهذه حقيقة واضحة جليّة قد بيّنها القرآن الكريم في آيات عديدة؛ وهذا يعني أن يسلّم العباد لرسول الله ﷺ وعترته الطاهرة عليهم السلام التسليم المطلق، والرّضا بكلِّ ما جاءوا به من عند الله تعالى.

إنَّ فصاحة الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته صلوات الله عليهم بلغت القمّة في البيان؛

وهـذه الحقيقـة أدَّت إلى أن تكـون هدايـة الأمّـة بتـمام مـا جـاء بـه ﷺ أتـم وأكمـل مـن هدايـة سـائر الأمـم، فمـع هـذا الشّـمول الموجـود في الرِّسـالة الإسـلامية إلَّا أنَّ النّبـي ﷺ وآل بيتـه الطّيبـين عليهم السلام اسـتطاعوا أن يُبيّنوهـا بأتـمّ وجـه؛ وهـذا ممـا جعـل أفضليـة الدِّيـن الإسـلامي عـلى سـائر الأديـان السـابقة، وهـو الدِّيـن الخاتـم الـذي لا يقبـل الله تعـالى غـيره دينـاً؛ فالمعـارف الموجـودة في ديـن الإسـلام هـي خلاصـة المعـارف؛ وهـو الدّيـن الأتـم، والأكمـل، ولـو أجرينـا مقارنـة بـين القـرآن الكريـم وبـين الكتـب السـماويّة الأخـرى؛ لوجدنـا التفـاوت، ثـمَّ التَّحريـف الكبـير والشاسـع في كلّ مجـالات الحيـاة والمعـاد، وكلّ المنظومـات سـواء العقائديـة أو الفقهيـة أو الأخلاقيـة.

وبـما أنَّ مـن مقدّمـات هدايـة الآخريـن للإسـلام وتطبيـق أحكامـه وسـننه وإلى المنهـج الحـق يحتـاج منَّـا أن نعـرف حملـة مـن خـلال ذكـر أخلاقهـم، وأفضليتهـم، ومعاجزهـم، ومـاذا قالـت النّصـوص الشّريفـة عنهـم؛ إذ يوجـد هنـاك كثـير مـن الخطـوط المنحرفـة تدعـو إلى مفكّريهـا بفضائـل لا أصـل لهـا، ولا وجـود، ولكـن الشـباب أخـذوا يدخلـون في تلـك التّيّـارات المنحرفـة بسـبب ذلـك؛ ومـن هنـا نهضـت مجلّـة الصـدى لتُبـيّن بعـض صفـات وكلـمات وأخـلاق حملـة الرسـالة المحمديـة مـن خـلال بحـوث تتّسـم بلغـة علميّـة، تهـدف إلى رفـد المجتمـع بالقيـم، والأخـلاق السّـامية، ومـن الله تعـالى نسـتمد العـون والتسـديد.


المحتوى

شـــهر رجـــب

من مناقب الإمام الهادي عليه السلام ١١
لغة الإعلام الزينبي في مجابهة الاستكبار العالمي مقاربات في فلسفة الإعلام ٢١
المنهج النبوي في التنمية البشرية – الخلق العظيم أنموذجا- ٣٧
الإمام الكاظم عليه السلام الدليل إلى الحق ٥٩

شـــهر شعبان

شعبان المعظم من خلال الإطلالات العظيمة المباركة ٧٥
دعاء أهل الثغور للإمام زين العابدين عليه السلام -دراسة دلالية- ٩٣
إمامة المهدي (عجل الله تعالى فرجه) الشريف وحياته الشخصية ١١١

شـــهر رمـضان

أصحاب النفوس السامية ١٢٣
الإمام الحسن المجتبى عليه السلام و الأمن الإنساني ١٤٣
الإمام عليّ عليه السلام في القرآن الكريم على لسان الإمام الحسن عليه السلام ١٦٣

شـــهر شـــوال

من فضائل الإمام الصادق عليه السلام ١٧٩

شـــهر ذي القعدة

الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام مولود عظيم البركة ١٩١
شذرات من حياة الإمام الرضا عليه السلام ١٩٩

شـــهر ذي الحجة

دور الأسرة في تكوين شخصية الفرد عقائديًّا (بيت الزهراء عليها السلام أنموذجًا) ٢١٧
أثر الإمام الباقر عليه السلام في التحصين المعرفي للأمة الإسلامية ٢٢٧
هاني بن عروة رضي الله عنه وموقفه من حركة مسلم بن عقيل عليه السلام ٢٣٩

القصيدة

فاجعة البقيع ٢٥٣



شهر رجب

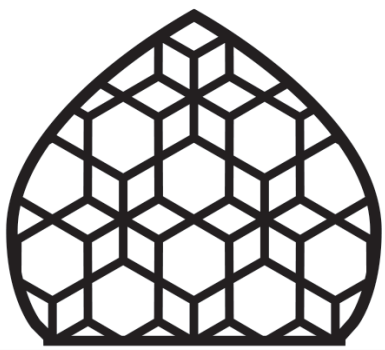

- من مناقب الإمام الهادي عليه السلام .
- لغة الإعلام الزينبي في مجابهة الاستكبار العالمي/ مقاربات في فلسفة الإعلام .
- المنهج النبوي الشريف في التنمية البشرية / الخلق العظيم أنموذجًا.
- الإمام الكاظم عليه السلام الدليل إلى الحق.



من مناقب الإمام الهادي عليه السلام

السيد محمد الموسوي

ظهرت من الإمام الهادي عليه السلام العديد من المعالي والمناقب الرَّفيعة، منها:

إغاثة الملهوفين:

من عادة الناس أنَّهم في الشَّدائد يلوذون بأهل البيت عليهم السلام ويستنجدون بهم؛ ليخلّصوهم ممّا هم فيهم من الشَّدائد والمحن بإذن الله تعالى، وهذا ما كان في عهد الإمام الهادي عليه السلام، حيث كان كهف الورى وملاذ البريّة في مختلف الأمور.

يُقال: إنَّه كان قد خرج في يوم من سر من رأى إلى قرية له لمهمّ عرض له. فجاء رجل من بعض الأعراب يطلبه في داره فلم يجده، وقيل له: إنَّه ذهب إلى الموضع الفلاني. فقصده إلى موضعه، فلمَّا وصل إليه قال له: «ما حاجتك؟».

فقال له: أنا رجل من أعراب الكوفة المستمسكين بولاء جدّك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد ركبتني ديون فادحة أثقل ظهري حملها، ولم أرَ من أقصده لقضائها سواك.

فقال له أبو الحسن عليه السلام: «كم دَينك؟».

فقال: نحو العشرة آلاف درهم.

فقال: «طب نفساً وقر عيناً، يُقضى دينك إن شاء الله تعالى». ثم أنزله فلمّا أصبح قال له: «يا أخا العرب، أريد منك حاجة لا تعصني فيها ولا تخالفني، والله الله فيما آمرك به وحاجتك تُقضى إن شاء الله تعالى».

فقال الأعرابي: لا أخالفك في شيء ممّا تأمرني به. فأخذ أبو الحسن ورقة وكتب فيها بخطّه ديناً عليه للأعرابي المذكور، وقال: «خُذ هذا الخط معك، فإذا حضرت سر من رأى فتراني أجلس مجلساً عامًّا، فإذا حضر الناس واحتفل المجلس فتعال إليَّ بالخطّ وطالبني، وأغلظ عليَّ في القول ولا عليك، والله الله أن تخالفني في شيء ممّا أوصيك به».

فلمّا وصل أبو الحسن عليه السلام إلى سرّ من رأى، جلس مجلساً عامّاً وحضر عنده جماعة من وجوه الناس، وأصحاب المتوكل وأعيان البلد وغيرهم. فجاء ذلك الأعرابي وأخرج الخط وطالبه بالمبلغ المذكور وأغلظ عليه في الكلام، فجعل أبو الحسن عليه السلام يعتذر إليه ويطيب نفسه بالقول، ويعده بالخلاص عن قريب وكذلك الحاضرون، وطلب منه المهلة ثلاثة أيام. فلمّا انفكّ المجلس نقل ذلك الكلام إلى الخليفة

المتوكّل، فأمر لأبي الحسن عليه السلام على الفور بثلاثين ألف درهم. فلمّا حملت إليه تركها إلى أن جاء الأعرابي، فقال له: «خذ هذا المال فاقض منه دينك، واستعن بالباقي على وقتك والقيام على عائلتك».

فقال الأعرابي: يا ابن رسول الله، والله في العشرة آلاف بلوغ مطلبي ونهاية إربي وكفاية أملي كان يقصر عن ثلث هذا». فقال أبو الحسن عليه السلام: «والله لتأخذن ذلك جميعه، وهو رزقك الذي ساقه الله إليك، ولو كان أكثر من ذلك ما نقصناه». فأخذ الأعرابي الثلاثين ألف درهم وانصرف وهو ويقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته[1].

وعن كافور الخادم، قال: كان في الموضع مجاور الإمام من أهل الصنائع صنوف من الناس، وكان الموضع كالقرية، وكان يونس النقاش يتردّد على الإمام الهادي عليه السلام ويخدمه. فجاءه يوماً يرعد فقال له: يا سيدي، أوصيك بأهلي خيراً.

قال: «وما الخبر؟».

قال: عزمت على الرَّحيل.

قال: «ولِمَ يا يونس؟»، وهو عليه السلام يتبسم.

قال: قال يونس: ابن بغا وجه إليَّ بفصّ ليس له قيمة، أقبلت أنقشه فكسرته باثنين وموعده غداً، وهو موسى بن بغا، إما ألف سوط أو القتل.

قال عليه السلام: «امض إلى منزلك إلى غد فرج، فما يكون إلاّ خيراً».

فلما كان من الغد وافى بكرة يرعد، فقال: قد جاء الرسول يلتمس الفص.

قال: «امض إليه فما ترى إلاّ خيراً».

قال: وما أقول له يا سيدي؟.

قال: فتبسم عليه السلام وقال: «امض إليه واسمع ما يخبرك به، فلن يكون إلّا خير».

قال: فمضى وعاد يضحك.

قال: قال لي: يا سيدي الجواري اختصموا، فيمكنك أن تجعله فصّين حتى نغنيك؟.

فقال سيدنا الإمام عليه السلام:«اللهم لك الحمد إذ جعلتنا ممن يحمدك حقاً، فأيش[2] قلت له؟».

قال: قلت: أمهلني حتى أتأمل أمره كيف أعمله.

فقال:«أصبت »[3].

---

(١) كشف الغمة: ٢ / ٣٧٤ – ٣٧٥.

(٢) لغة عامية وكأنه مخفف (أي شئ).

(٣) أمالي الطوسي: ص٢٨٨-٢٨٩.

٢. عبادة تبكي الطّغاة:

يقال: إنَّ بعضهم وشى بالإمام ﷺ عند المتوكل على أنَّ في منزله أسلحة وأنّه يطلب الخلافة. فوجّه إليه رجالاً هجموا عليه فدخلوا داره، فوجدوه ﷺ في بيته وعليه مدرعة من شعر، وعلى رأسه الشريف ملحفة من صوف، وهو مستقبل القبلة ليس بينه وبين الأرض بساط إلّا الرّمل والحصى، وهو يترنّم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد. فحملوه إليه على ألبسته المذكورة، فلما رآه عظّمه وأجلسه إلى جنبه، فكلمه فبكى المتوكل بكاءً طويلاً، ثم قال: يا أبا الحسن عليك دين؟.

قال ﷺ: «نعم أربعة آلاف دينار». فأمر المتوكل بدفعها إليه ثم ردّه إلى منزله مكرّماً[١].

٣. علوم سماوية:

العلوم التي ظهرت من الإمام الهادي ﷺ هي كثيرة وفي مختلف المجالات، ولكن من ظلم بني العباس وجورهم أنَّهم كانوا يحرمون الناس والأجيال من تلك العلوم، وسعوا في تلف التراث الشيعي حتى لم يصل منها إلَّا القليل، وفي هذا القليل الكثير من العلوم والمعارف.

ومنها ما أجاب به الإمام الهادي ﷺ لأسئلة يحيى بن أكثم، في مجلس الواثق بحضور الفقهاء. فقال: من حلق رأس آدم حين حج؟.

فتعايى القوم عن الجواب، فقال الواثق: أنا أحضر لكم من ينبئكم بالخبر. فبعث إلى الإمام ﷺ فاحضر. فقال: يا أبا الحسن، من حلق رأس آدم؟.

فقال ﷺ: «سألتك بالله يا أمير إلا عفيتني». قال: أقسمت عليك لتقولن؟. قال: «أما إذا أبيت فإن أبي حدثني، عن جدي، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: أمر جبرئيل أن ينزل بياقوتة من الجنة، فهبط بها فمسح بها رأس آدم، فتناثر الشعر منه فحيث بلغ نورها صار حرماً»[٢].

* وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه، قال: لما سم المتوكل نذر إن عوفي أن يتصدق بمال كثير. فلما عوفي سأل الفقهاء عن حدّ المال الكثير؟. فاختلفوا عليه فقال بعضهم:مائة ألف، وقال بعضهم:عشرة آلاف. فقالوا فيه أقاويل مختلفة، فاشتبه عليه الأمر. فقال رجل من ندمائه يقال له صفعان: ألا تبعث إلى هذا الأسود فتسأل عنه؟.

فقال له المتوكل: من تعني ويحك؟.

فقال له: ابن الرضا.

فقال له: وهو يحسن من هذا شيئاً؟.

فقال: إن أخرجك من هذا فلي عليك كذا وكذا وإلاّ فاضربني مائة مقرعة. فقال المتوكل: قد

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢١١-٢١٢.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٣٣٠.

رضيت، يا جعفر بن محمود صر إليه وسله عن حدّ المال الكثير. فصار جعفر بن محمود إلى أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام فسأله عن حدّ المال الكثير. فقال: «الكثير ثمانون». فقال له جعفر: يا سيدي، إنّه يسألني عن العلة فيه. فقال له أبو الحسن عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ يقول: [لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ][1]، فعددنا تلك المواطن فكانت ثمانين»[2].

٤. معارف إلهية:

بالرغم من أنَّ ظروف الإمام الهادي عليه السلام كانت صعبة جدّاً، خاصّة في عهد المتوكل الذي عرف بشدّة بغضه للإمام عليه السلام ولشيعته، مع ذلك فقد وصلنا منه عليه السلام معارف رفيعة، منها: الزيارة الجامعة الكبيرة، وهي بحر من العلوم والمعارف والعقائد الحقة، تربّي الإنسان على الإيمان، وتعلّمه الحق، وتُبيّن له كيف يزور أهل البيت عليهم السلام، وتعرفه مقاماتهم العظيمة، وتطلعه على مجموعة كبيرة من المعارف الإلهية التي قلّما توجد في مكان آخر.

الإمام الهادي عليه السلام والمجتمع

على نهج آبائه المعصومين عليهم السلام سار الإمام الهادي عليه السلام مؤثراً صلاح المجتمع وهداية العباد على كل شيء، وقد كان له عليه السلام مواقف مهمّة سجّلها التاريخ، منها:

١. دحض إدعاءات الكاذبين:

بين الفترة والأخرى تثير الكذّابة الأكاذيب والمفتريات؛ ليشككوا الناس في معتقداتهم، أو ليجذبوا الناس حولهم ويضحكوا على عقول البسطاء. وكان الأئمّة الهداة عليهم السلام عادة ـ وبحسب الظّروف المتاحة ـ يكشفون كذب هؤلاء، ويوضحون للناس زيفهم وافتراءاتهم.

وفي عهد الإمام الهادي عليه السلام ادّعت امرأة أنَّها زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام. يقول أبو هاشم الجعفري: ظهرت في أيّام المتوكل امرأة تدّعي أنَّها زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال لها المتوكل: أنتِ امرأة شابة، وقد مضى من وقت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ما مضى من السنين.

فقالت: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله مسح على رأسي، وسأل الله أن يردّ عليَّ شبابي في كل أربعين سنة، ولم أظهر للناس إلى هذه الغاية، فلحقتني الحاجة فصرت إليهم.

فدعا المتوكل كل مشايخ آل أبي طالب وولد العباس وقريش فعرّفهم حالها.

فروى جماعة وفاة زينب بنت فاطمة عليها السلام في سنة كذا. فقال لها: ما تقولين في هذه الرواية؟.

فقالت: كذب وزور، فإنَّ أمري كان مستوراً عن الناس، فلم يعرف لي حياة ولا موت.

فقال لهم المتوكّل: هل عندكم حجة على هذه المرأة غير هذه الرّواية؟.

---

(١) سورة التوبة: ٢٥.

(٢) الكافي: ج٧ ص٤٦٣ ـ ٤٦٤.

قالوا: لا.

قال المتوكل: أنا برئ من العباس إن لا أنزلها عما ادعت إلّا بحجة تلزمها.

قالوا: فأحضر علي بن محمد ابن الرضا ﷺ، فلعلّ عنده شيئاً من الحجة غير ما عندنا. فبعث إليه فحضر فأخبره بخبر المرأة. فقال: «كذبت؛ فإنّ زينب ﷺ توفّيت في سنة كذا في شهر كذا في يوم كذا».

قال: فإنّ هؤلاء قد رووا مثل هذه الرّواية، وقد حلفت أن لا أنزلها عمّا ادعت إلّا بحجّة تلزمها.

قال: «ولا عليك فهاهنا حجة تلزمها وتلزم غيرها».

قال: وما هي؟.

قال: «لحوم ولد فاطمة محرّمة على السِّباع، فأنزلها إلى السّباع فإن كانت من ولد فاطمة فلا تضرّها السِّباع».

فقال لها: ما تقولين؟.

قالت: إنَّه يريد قتلي. قال: «فههنا جماعة من ولد الحسن والحسين ﷺ فأنزل من شئت منهم».

قال: فو الله لقد تغيّرت وجوه الجميع.

فقال بعض المتعصّبين: هو يحيل على غيره، لِمَ لا يكون هو؟.

فمال المتوكل إلى ذلك رجاء أن يذهب مَن غير أن يكون له في أمره صنع. فقال: يا أبا الحسن، لِمَ لا يكون أنت ذلك؟.

قال: «ذاك إليك». قال: فافعل!. قال: «أفعل إن شاء الله». فأتى بسلّم وفتح عن السباع وكانت ستة من الأسد. فنزل الإمام أبو الحسن ﷺ إليها، فلمّا دخل وجلس صارت الأسود إليه، ورمت بأنفسها بين يديه، ومدّت بأيديها، ووضعت رؤوسها بين يديه، فجعل يمسح على رأس كلّ واحد منها بيده، ثم يشير له بيده إلى الاعتزال فيعتزل ناحية، حتى اعتزلت كلّها وقامت بإزائه.

فقال له الوزير: ما كان هذا صواباً، فبادر بإخراجه من هناك قبل أن ينتشر خبره. فقال له: أبا الحسن، ما أردنا بك سوءًا وإنَّما أردنا أن نكون على يقين ممّا قلت، فأحب أن تصعد. فقام وصار إلى السلّم وهي حوله تتمسّح بثيابه. فلمّا وضع رجله على أوّل درجة التفت إليها وأشار بيده أن ترجع. فرجعت وصعد فقال: «كل من زعم أنّه من ولد فاطمة ﷺ فليجلس في ذلك المجلس».

فقال لها المتوكّل: انزلي. قالت: الله، الله ادعيت الباطل، وأنا بنت فلان حملني الضر على ما قلت. فقال المتوكل: ألقوها إلى السباع. فبعثت والدته واستوهبتها منه وأحسنت إليها[1].

---

(١) الخرائج والجرائح: ج١ ص٤٠٤-٤٠٦.

٢. نشر العلوم:

شهد عصر الإمام الهادي عليه السلام ظهور العديد من الفرق الضّالّة كالمجبرة والمفوضة والغلاة، وأثيرت الكثير من المباحث الجدلية، منها مسألة قدم القرآن الكريم المعروفة بمحنة القرآن، وهي معضلة أُبتلي بها العامّة ولم تؤثر على الشيعة. ففي رسالة كتبها الإمام الهادي عليه السلام إلى بعض شيعته ببغداد، قال:

«بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإيّاك من الفتنة، فإن يفعل فأعظم بها نعمة وإلا يفعل فهي الهلكة. نحن نرى أنَّ الجدال في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له، وتكلّف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلّا الله وما سواه مخلوق. والقرآن كلام الله لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضّالّين، جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون»[١].

كما كان الإمام عليه السلام يحذّر الموالين من بدع الغلاة ويأمرهم باعتزالهم. ففي الخبر عن أحمد بن محمد بن عيسى كتب إليه[٢] في قوم يتكلمون ويقرؤون أحاديث وينسبونها إليك وإلى آبائك عليهم السلام فيها ما تشمئز منها القلوب، ولا يجوز لنا ردّها إذ كانوا يروونها عن آبائك ولا قبولها لما فيها، وينسبون الأرض إلى قوم يذكرون أنّهم من مواليك، وهو رجل يقال له: علي ابن حسكة، وآخر يقال له: القاسم اليقطيني. ومن أقاويلهم أنَّهم يقولون: إنَّ قول الله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾[٣] معناها رجل لا ركوع ولا سجود، وكذلك الزكاة معناها ذلك الرجل لا عدد درهم ولا إخراج مال، وأشياء من الفرائض والسنن والمعاصي تأولوها وصيّروها على الحد الذي ذكرت. فإن رأيت أن تبيّن لنا وتمن علينا بما فيه السلامة لمواليك ونجاتهم من هذه الأقاويل التي تخرجهم إلى الهلاك؟.

فكتب عليه السلام:«ليس هذا ديننا فاعتزله »[٤].

الإبعاد إلى سامراء

كان المتوكل العباسي المعروف ببغضه لأهل البيت عليهم السلام وخاصة للإمام علي الهادي عليه السلام يتصيّد الظروف وينتظر الفرص كي يؤذي الإمام عليه السلام، فاستدعى الإمام عليه السلام إلى سامراء كي يكون تحت نظارته ومراقبته التّامّة.

وقد أمر المتوكل من قبل عامله على المدينة عبد الله بن محمد الذي كان يتولى الصلاة وأمور الحرب في المدينة بأن يؤذي الإمام عليه السلام، ثم كتب إلى يحيى بن هرثمة بجلب الإمام عليه السلام إلى سامراء.

يقول يحيى: فلما صرت إليه ضجّ أهلها ـ أي أهل المدينة ـ وعجّوا ضجيجاً وعجيجاً ما سمعت

---

(١) أمالي الصدوق: ص٥٤٦.

(٢) أي إلى الإمام الهادي عليه السلام.

(٣) سورة العنكبوت:٤٥.

(٤) اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٨٠٢-٨٠٣ .

مثله خوفاً على علي الهادي ﷺ؛ لأنّه كان محسناً إليهم، ملازماً للمسجد، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا. فجعلت أسكّنهم وأحلف لهم أنّي لم أؤمر فيه بمكروه، وأنّه لا بأس عليه.

ثم إنّه ﷺ خرج برفقة يحيى ومجموعة من الجند، ولما بلغوا بغداد خرج أهلها لاستقباله عند الجسر وهم يقولون: قدم ابن الرضا ﷺ من المدينة. وقد أوصى أكثر من واحد يحيى بن هرثمة بالإحسان إليه، وحذّروه من السعي في قتله. فطمأنهم بسلامته ثم ساروا إلى سامراء، ولما وصلوها أراد المتوكل إيذاء الإمام ﷺ، فمنعه من الدخول عليه في نفس اليوم، وأنزله في خان يعرف بخان الصّعاليك، وبات الإمام ﷺ فيه يومه وبعد ذلك أفردوا للإمام ﷺ داراً نزل فيها بعض الأيّام.

جواسيس على الإمام ﷺ

جعل المتوكّل عدداً من الجواسيس والعيون يترصّدون أفعال الإمام ﷺ ويترقّبون تحرّكاته ويرفعون إليه أخباره، وكان بعضهم يدلس في تقاريره، يقول إبراهيم بن محمد الطّاهري:

مرض المتوكّل من خراج خرج به فأشرف منه على الموت. فلم يجسر أحد أن يمسّه بحديدة، فنذرت أمّه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن علي بن محمد ﷺ مالاً جليلاً من مالها.

وقال له الفتح بن خاقان: لو بعثت إلى هذا الرجل ـ يعني أبا الحسن ﷺ ـ فسألته فإنّه ربما كان عنده صفة شيء يفرج الله به عنك. فقال: ابعثوا إليه. فمضى الرسول ورجع فقال: «خذوا كسب الغنم فديفوه بماء ورد، وضعوه على الخراج؛ فإنّه نافع بإذن الله». فجعل من بحضرة المتوكل يهزأ من قوله، فقال لهم الفتح: وما يضر من تجربة ما قال، فو الله إني لأرجو الصلاح به. فأحضر الكسب وديف بماء الورد ووضع على الخراج، فانفتح وخرج ما كان فيه. فبشرت أم المتوكل بعافيته، فحملت إلى أبي الحسن ﷺ عشرة آلاف دينار تحت ختمها، واستقل المتوكل من علته. فلمّا كان بعد أيّام سعى البطحاني بأبي الحسن ﷺ إلى المتوكل، وقال: عنده سلاح وأموال. فتقدّم المتوكل إلى سعيد الحاجب أن يهجم ليلاً عليه، ويأخذ ما يجد عنده من الأموال والسلاح ويحمله إليه.

قال إبراهيم بن محمد: فقال لي سعيد الحاجب: صرت إلى دار أبي الحسن ﷺ بالليل ومعي سلّم، فصعدت منه إلى السّطح، ونزلت من الدرجة إلى بعضها في الظلمة، فلم أدر كيف أصل إلى الدار.

فناداني أبو الحسن ﷺ من الدار: «يا سعيد، مكانك حتى يأتوك بشمعة». فلم ألبث أن أتوني بشمعة، فنزلت فوجدت عليه جبّة صوف وقلنسوة منها، وسجادته على حصير بين يديه وهو مقبل على القبلة.

فقال ﷺ لي: «دونك البيوت». فدخلتها وفتشتها فلم أجد فيها شيئاً، ووجدت البدرة مختومة بخاتم أُمّ المتوكل وكيساً مختوماً معها. فقال لي أبو الحسن ﷺ: «دونك المصلّى». فرفعته فوجدت سيفاً في جفن ملبوس. فأخذت ذلك وصرت إلى المتوكل، فلما نظر إلى خاتم أمّه على البدرة بعث إليها فخرجت إليه، فسألها عن

البدرة. فأخبرني بعض خدم الخاصة أنّها قالت: كنت نذرت في علّتك إن عوفيت أن أحمل إليه ﷺ من مالي عشرة آلاف دينار فحملتها إليه، وهذا خاتمي على الكيس. وفتح الكيس الآخر فإذا فيه أربعمائة دينار. فأمر أن يضم إلى البدرة بدرة أخرى، وقال لي: احمل ذلك إلى أبي الحسن ﷺ، واردد عليه السيف والكيس بما فيه.

فحملت ذلك إليه واستحييت منه. فقلت له: يا سيدي، عز عليَّ بدخول دارك بغير إذنك ولكني مأمور، فقال لي: ﴿سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[1][2].

مؤامرات فاشلة

في أكثر من مرّة أراد المتوكّل عبر تحريض صوري من جواسيسه القضاء على الإمام ﷺ ولكن مؤامراتهم كانت تبوء بالفشل والخيبة، يقول المسعودي في مروجه:

سعي إلى المتوكل بعلي بن محمد الجواد ﷺ أنّ في منزله كتباً وسلاحاً من شيعته من أهل قم، وأنّه عازم على الوثوب بالدّولة. فبعث إليه جماعة من الأتراك، فهجموا داره ليلاً، فلم يجدوا فيها شيئاً ووجدوه في بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من صوف، وهو جالس على الرّمل والحصا، وهو متوجّه إلى الله تعالى يتلو آيات من القرآن.

فحمل على حاله تلك إلى المتوكل وقالوا له: لم نجد في بيته شيئاً، ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة. وكان المتوكل جالساً في مجلس الشرب، فدخل ﷺ عليه والكأس في يد المتوكل، فلمّا رآه هابه وعظمه وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس التي كانت في يده. فقال: «والله ما يخامر لحمي ودمي قط». فقال: أنشدني شعراً. فقال ﷺ: «إني قليل الرواية للشعر». فقال: لابُدّ. فأنشده ﷺ وهو جالس عنده:

باتوا على قلل الجبال تحرسهم	غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا بعد عزّ من معاقلهم	وأسكنوا حفراً يا بئسما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد دفنهم	أين الأساور والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة	من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم	تلك الوجوه عليها الدود تقتتل
قد طال ما أكلوا دهراً وقد شربوا	وأصبحوا اليوم بعد الأكل قد أكلوا

قال: فبكى المتوكل حتى بلت لحيته دموع عينيه وبكى الحاضرون، ودفع إلى علي ﷺ أربعة آلاف دينار، ثم رده إلى منزله مكرماً[3].

---

(١) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٢) الكافي: ج١: ص٤٩٩-٥٠٠ .

(٣) مروج الذهب: ج٤/ ص١٠.

المتوكل يهم بقتل الإمام عليه السلام

عزم المتوكل أكثر من مرة على قتل الإمام علي الهادي عليه السلام وأعدَّ العدّة لذلك، فمرّة أمر أربعة من الأجلاف أن يتأهّبوا لقتله عليه السلام، ولكن عناية السماء حالت دون ذلك.

يقول فضل بن أحمد بن إسرائيل الكاتب: كُنَّا مع المعتز وكان أبي كاتبه، فدخلنا الدّار والمتوكل على سريره قاعد. فسلّم المعتز ووقف خلفه، وكان عهدي به إذا دخل عليه رحّب به وأمره بالقعود، ونظرت إلى وجهه يتغيّر ساعة بعد ساعة، ويقبل على الفتح بن خاقان ويقول: هذا الذي تقول فيه ما تقول ويردد القول. والفتح مقبل عليه يسكنه ويقول: مكذوب عليه يا أمير. وهو يتلظّى ويشطط ويقول: والله لأقتلن هذا المرائي الزنديق، وهو الذي يدّعي الكذب ويطعن في دولتي ـ ثم قال ـ جئني بأربعة من الخزر وأجلاف لا يفقهون.

فجيء بهم ودفع إليهم أربعة أسياف، وأمرهم أن يرطنوا بألسنتهم إذا دخل أبو الحسن، وأن يقبلوا عليه بأسيافهم فيخبطوه ويقتلوه. وهو يقول: والله لأحرقنه بعد القتل. وأنا منتصب قائم خلفه من وراء الستر، فما علمت إلا بأبي الحسن عليه السلام قد دخل، وقد بادر الناس قدامه فقالوا: جاء. والتفت ورائي وهو غير مكترث ولا جازع، فلمّا بصر به المتوكل رمى بنفسه عن السرير إليه وهو يسبقه فانكبّ عليه يقبّل بين عينيه، واحتمل يده بيده، وهو يقول: يا سيدي، يا ابن رسول الله، ويا خير خلق الله، يا ابن عمي، يا مولاي، يا أبا الحسن... وأبو الحسن يقول: «أعيذك بالله يا أمير من هذا».

فقال: ما جاء بك يا سيدي في هذا الوقت؟.

قال: جاءني رسولك.

فقال المتوكل: كذب ابن الفاعلة، ارجع يا سيدي من حيث جئت. يا فتح، يا عبد الله، يا معتز، شيّعوا سيّدي وسيّدكم.

فلما بصر به الخزر خرّوا سجّداً مذعنين، فلمّا خرج دعاهم المتوكّل ثم أمر الترجمان أن يخبره بما يقولون، ثم قال لهم: لِمَ لا تفعلوا ما أمرتكم به؟!.

قالوا: لشدّة هيبته، ورأينا حوله أكثر من مائة سيف لم نقدر أن ننالهم، فمنعنا ذلك عما أمرنا به، وامتلأت قلوبنا رعباً من ذلك.

فقال المتوكل: هذا صاحبكم. وضحك في وجه الفتح، وضحك الفتح في وجهه وقال: الحمد لله الذي بيّض وجهه وأنار حجته[1].

(١) الخرائج والجرائح: ج١ ص٤١٧-٤١٩ .

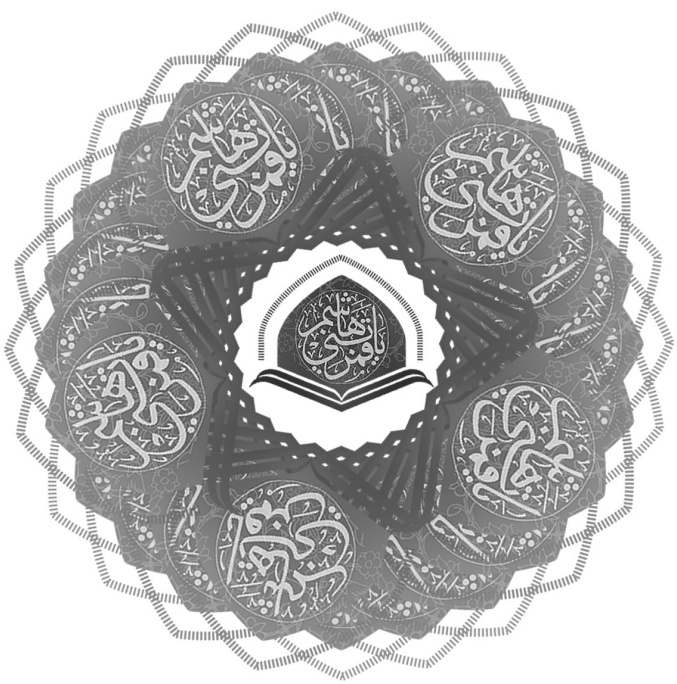

لغة الإعلام الزينبي في مجابهة الاستكبـــار العالمـــي

مقاربات في فلسفة الإعلام

أ.م.د.حازم طارش حاتم

المقدمة:

ينشد الخطاب الإعلامي الزينبي في إطاره العام السعادة للإنسان المتلقّي في عوالم الإمكان؛ لأنَّه تمثّلات الخطاب تعكس ذاتية المتكلم، ومتبنياته الفكرية اتجاه قضايا الأمّة المصيرية، وأبعاد هذه المتبنيات في أصول تحليل الخطاب، وإن كان الخطاب في إطاره الخاص المكاني والزّماني يُشكّل صدمة في مجريات الأحداث، وقلب موازين الخطاب الإعلام المضاد المضلل، الذي يعكس المنطلقات الفكرية والثقافية للذات المتقابلة، وهذا التقابل تقابل قيمي، فضلاً عن ذلك الكشف عن زيف دعواهم ضدّ الإمام الحسين عليه السلام بأنّه خارجي، طالباً للحكم، وهذا التقابل بين القيم شكّل في منظومته المعرفية الوجه الحقيقي للقائمين على الإعلام، والأهداف التي يخطونها من أجل تحقيقها والسّبل التي يتّبعونها، وفي ضوء هذه المعطيات تظهر ذاتيّة القيم، التي تُشكّل الركيزة الأساسية في الإعلام وفلسفته .

فلغة الإعلام الزّينبي اتصفت بالصّدق، وقول الحق، بل مدارها مدار الحقّ تتطلّع إلى سدّ الفراغ الفكري والرّوحي الذي يُشكّل جوهر إنسانيّة الإنسان؛ لذا حملت " المادّة الإعلامية " الكثير من الحمولات الإخبارية ذات القيم الإنسانية والإسلامية، بل أضحت الحيّز الأكبر في منظومتها الإعلامية، وهذا في دلالته الإيحائية يعكس الأبعاد الإيمانية في الخطاب الزّينبي، فضلاً عن ذلك سعيها " عليها السلام" من تشكيل رأيٍ عامّ مناهض لقيم " التجهيل " و" الاغتصاب " و" القتل " الذي انعكس في الماكنة الإعلامية، وأصداء هذا التناقض القيمي ولّد حركة استفهامات أضحت حركات تحررية في أُفقها المستقبلي تستمد ركائزها من النّظرية القرآنية القائمة على التّخاطب الإنساني، التي تسعى إلى تثبيت " الهويّة الإنسانيّة " بتحدد المسارات الصّحيحة التي يجب على الإنسان اتباعها ؛ لذا تبنّى الخطاب الإعلامي الزّينبي " الدعوى القرآنية " التي تبنّاها " الخطاب الحسيني"، وقد استلزم هذا من لغة الخطاب الإعلامي الزّينبي تقديم مادّته في ضوء مبدأ " الثّواب والعقاب"، الذي يُشكّل محرّكاً أساسيًّا في حركة الإنسان، فضلاً عن ذلك الإكثار من الأخبار الحقيقية التي تُمثّل وقائعاً تعكس عمق الفاجعة التي قاموا بها، ومقتضيات الخطاب تعكس اتجاهين:

الأوّل: أثر لغة الإعلام في تضليل الناس، وإبعادهم عن الحق، باستعمال أساليب التضليل . **الثاني**: لغة

الإعلام الزينبي: تتبنى دعوة الإمام الحسين ﷺ التي تُمثّل دعوة السَّماء، وهنا تكون اللغة لغة هداية وإرشاد؛ لذا شكّلت المقتضيات الخطابية حججاً وبراهين أسكتت وأفحمت المتلقي الخاص الذي تخاذل عن نصرة الحق أو شارك بشكلٍ فعليّ بقتل الإمام الحسين ﷺ، وأهل بيته ﷺ " ؛ لذا أخذت لغة الإعلام الزّينبي تتمثّل بصورٍ متعدّد بصورة الخطاب المعرفي الثقافي الدّيني، وبصورة الخطاب السّياسي الذي يتبنّى أطروحة إسلامية في الحكم، قوامها العدل، ومبدؤها الحق، وهذه الصور تعكس الهويّة الذَّاتية لطرفي الخطاب، عن طريق المتبنيات الفكرية والثقافية ؛ لذا أخذ البحث على عاتقه بيان ما تمتاز به الحركة، والمنهج الذي خطّته في بيان أهداف الحركة العسكرية للإمام الحسين ﷺ ، التي تناولها الإعلام المضاد بالتشويه والتشويش، وهذا التقاطع في الأهداف بين اللغتين الإعلاميتين استلزم من الإعلام الزينبي التغاير في استراتيجيات، فضلاً عن ذلك التناوب بالأدوار والمسارات من أجل تحقيق النجاح المطلوب في عرض القضية بكلّ تفاصيلها ومتبنّياتها العقائدية، ومبادئها التأسيسيّة؛ لذا تأتت اللغة بكيفية تنسجم مع الهويّة الذَّاتية الإسلامية، وهذا الوجه من لغة الإعلام الزّينبي كشفت عن لغة الإعلام المضاد، ومتبنّيات هذا الإعلام، والثّقافة التي يستند إليها، وكيف أثّرت هذا اللغة الإعلامية في مجريات الأحداث .

المطلب الأوّل

الإعلام الزَّينبي والإعلام الإسلامي: مقاربة بين العالمية والوظيفية

المنطلقات الأساسية للحركة الإعلامية الزّينبيّة هي منطلقات إسلامية موضوعها الأساس الإنسان؛ لأنَّها بحركتها هذه تدور مدار حركة القرآن، وتمتد بامتداد أفقه الساعي إلى جلب السعادة له، ودفع الشقاوة عنه؛ لأنَّ القرآن موضوعه الإنسان[1]، ووظيفته الهداية والإرشاد، ولغة الإعلام الزّينبي تستظهر ذلك عن طريق الاستيضاحات التي تقدّمها للمتلقّين بالقضايا ذات الصلة بهم، في ضوء مقتضاها المباشر، أو بالمجتمع الذي يعيشون به، وهنا تتأتى الرّسالة الإعلامية، التي تُشكّل هويّة المرسل؛ لأنَّ " الرّسالة الإعلامية " ما هي إلّا معتقد تتشكل فيه الهويّة الذّاتيّة .

فتحديد المنطلقات في أصل أي حركة إعلامية يستلزم منّا معرفة أهداف هذه الحركة، ومن أجل معرفة الأهداف يجب تحديد القيم والمبادئ التي ترتكز عليها؛ لذا أضحت نظريات الإعلام توسّم بالمبادئ والقيم التي تؤمن بها، وتعمل على أساسها في توليد فضاءات تمثّل جلَّ أهدافها، فالنّظريات المتعلّقة بالجمهور أساسها القيمي محدّد في (الدّوافع النّفسية أو الاجتماعية)، ومن هذه النّظريّات (نظرية الاستخدامات والإشباعات)، وتقوم مباني هذه النّظرية على أساس أنَّ الجمهور يستعمل الإعلام من أجل إشباع رغبات كامنة لديه، وتلبية

(١) ينظر: المبادئ الأساسية لفهم القرآن: للمودودي: ١٦

حاجيات[1]، فضلاً عن ذلك (نظرية الاعتماد) التي تعتمد فكرة مؤدّاها أنّ وسائل الإعلام لها القدرة على تغيير المجتمع، ولاسيما إذا قامت الوسائل بوظيفة نقل المعلومات بصورة مميزة ومكثفة[2]، ومن النّظريات (المتعلقة بالقائم بالاتصال)، ومن هذه النّظريات[3]:

١- نظرية الرّصاصة أو الحقنة تحت الجلد: تذهب هذه النظرية إلى القول إنَّ الإعلام يؤثّر تأثيرًا مباشرًا وسريعًا في المجتمع، وإنَّ الاستجابة لهذا الإعلام مثل رصاصة البندقية تؤثّر بعد انطلاقها مباشرة.

٢- نظرية الغرس الثَّقافي: يرى أصحاب هذه النَّظرية: إنَّ الجمهور يتأثر بوسائل الإعلام في إدراك العالم الخارجي، فضلًا عن ذلك زيادة معارفهم، ولاسيّما الأفراد الذين يتعرّضون بكثافة لوسائل الإعلام .

٣- نظرية ترتيب الأولويّات: وتفرض هذا النّظرية أنَّ وسائل الإعلام هي من ترتب الاهتمامات التي تعتني بالمجتمع، وتنال اهتمام الأفراد عن طريق تناول قضاياهم الأساسية .

وهناك نظريات أخرى[4]، إلّا أنّ مدار الكلام في إثبات ما تطرحه النّظريّات من مبادئ وقيم لها تعلّق مباشر في المجتمع بشكلٍ عامّ، والفرد بشكلٍ خاصٍّ إلا أنّ هذه النظريات تباينت رؤاها وتقاطعت مبادؤها في تحصيل التغير على مستوى المجتمع والفرد، فضلاً عن ذلك ظهرت عيوب لهذه النّظريات استدعت المهتمّين بالتواصل إلى إيجاد نظريات إلّا أنّها لم تخلُ من عيوب أيضاً.

وفي ضوء النّظريات الإعلامية تتشكّل المجتمعات؛ لذا تبنى الإسلام نظريته الخاصّة في الإعلام في توطيد القيم، وإيجاد المبادئ الإسلامية التي تحقّق السّعادة للمجتمعات والأفراد؛ لهذا قالوا: إنَّ الإعلام الإسلامي ((فنّ إيصال الحقّ للناس قصد اعتناقه والتزامه، وفنّ كشف الباطل ودحضه قصد اجتنابه)) [5] .

الخطاب الإعلامي الزّينبي تبنى هذه القيم والمبادئ، وفي ضوء الخطاب الزّينبي نستظهر الإعلام الإسلامي، وبذلك يتّضح الامتداد الطّبيعي للإعلام الزّينبي بشكله الطّولي؛ لأنَّه إعلام يمكن وصفه بأنّه " إعلام أخلاقي " يسعى إلى تعريف الإنسان بالحق، وتحذيره من الباطل، ولم يتمثّل في مقاصده تحقيق منافع دنيوية، وهذا سرّ بقاء الخطاب الزّينبي وديمومته، ويمكن تمثيل ذلك:

أوّلاً: عالمية الإعلام الزّينبي:

متلقي الخطاب الزينبي وإن كان معروفاً عند الجميع بشكله الخاص، فضلاً عن جغرافية المكان وخصوصية الزّمان، إلا أنّه " خطاب قيمي" ينشد ترسيخ هذه القيم من أجل الحفاظ على الهويّة الإنسانية التي تكفل له الحياة السّعيدة، وهذه التّنشئة الاجتماعية مثّلت أصداءً في الحركة الإنسانية في أبعادها التكاملية فقولها عليها السلام ((يا

(١) ينظر: نظريات الإعلام: د . محمود حسن إسماعيل: ٥٩ .
(٢) نظريات الإعلام: ٥٩ .
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٦٠ .
(٤) ينظر: الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي: د . إبراهيم أبو عرقوب: ٥٩ – ٧١ .
(٥) الإعلام الإسلامي المفهوم والخصائص: د . سيد محمد ساداتي الشنقيطي: ٧٦ .

أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر والخذل، ألا فلا رقأت العبرة ولا هدأت الزّفرة، إنَّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم، هل فيكم إلا الصَّلف والعجب، والشنف، والكذب، وملق الإماء وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كفضة على ملحودة، ألا بئس ما قدَّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون))[1] .

سيميائيّة المكان لها دلالة إيحائية في الإعلامي، ولاسيما إنّ المكان يُمثّل الحاضرة الأولى في تشكيل الخطاب الإعلامي، وهذا الخطاب تشكّل في الكوفة حين ضجّت الشوارع والأزقّة بالجموع الزّاخرة، وقد أحاطت بها، فاندفعت ﷺ إلى الخطابة من أجل توليد رأيٍ عامّ جماهيري رافض ما وقع على الإنسانية من ظلم واضطهاد بقتل ريحانة رسول الله ﷺ، وتحميل الكوفيّين مسؤوليّة هذه الجريمة النّكراء[2]؛ لذا جاء الخطاب معبّأ بالصفات الذّميمة " الختل، الغدر، الخذل، العجب، الشنف، الكذب، ملق، غمز" العاكسة لبشاعة هؤلاء الناس، وفقدانهم إنسانيّتهم بهذا العمل، والإعلان عن رفض هذه الصّفات، وتزويدها للجماهير بكلّ موضوعيّة، دليل على عقلية الجماهير إذا كانوا بالعنوان الخاصّ أو العام ؛ لأنَّ الخطاب الزّينبي خطابٌ كونيّ، وممكن استشعار ذلك في ضوء التضمينات القرآنية " مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً، تتّخذون أيمانكم دخلاً بينكم " العاكسة للمضامين القرآنية الكاشفة عن صفات القوم الذين كان حالهم حال المرأة التي نقضت غزلها بعد ما جهدت في غزلها، وهي امرأة حمقاء من قريش، وقيل: إنّه مثل ضربه الله تعالى: شبّه فيه حال النّاقض العهد بمن كان كذلك " أنكاثاً " وهو الغزل من الصوف والشعر يبرم ثم ينكث، وينقض ليغزل من جديد " تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم " أي دخلاً وخيانة ومكراً، فتقديره: لا تنكثوا أيمانكم متّخذينها دخلاً وغدراً وخديعةً لمداراتكم قوماً هم أكثر عدداً ممن حلفتم له ولقلتكم وكثرتهم، بل عليكم الوفاء بما حلفتم والحفظ لما عاهدتم عليه[3]، وهذا التّوظيف والتّضمين يعكس عالميّة الخطاب الإعلامية الزّينبي الذي أخبر عن القيم الإنسانية الهابطة التي أخذت حيّزًا في الخطاب الكوني العالمي القرآني، وهذا الاستدعاء والحضور يقصده المرسل في رسالته الإعلامية حتى يولّد رأياً جماهيريّاً عامّاً رافضاً لهذه القيم التي تفقد الإنسان إنسانيّته، ولاسيّما أنَّ هذا الفعل مذموم ينتج عنه " سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون "، وهذه " التنشئة الاجتماعية " التي تزوّد المتلقّين بمجموعة من المعارف الإسلامية ذات أبعاد قيميّة تُشكّل الهوية الثقافية الإسلامية للمنتمي الحقيقي[4].

وعلى أثر طلب رجل من أهل الشام بأن يهب يزيد " لعنه الله " فاطمة بنت الحسين له؛ كونها جارية بحسب الإعلام المضلل الذي مارسته السّلطة الحاكمة اتجاه الثورة الإصلاحية الحسينية التي كان نتاجها قتل الحسين

---

(١) الاحتجاج: للطبرسي: ٢: ٢٧ .

(٢) ينظر: السيدة زينب رائدة الجهاد في الإسلام: تأليف باقر شريف القرشي: ٣١٣ .

(٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسي: ٦: ١٦٤ .

(٤) ينظر: سوسيولوجيا الإعلام الجماهيري: د . فواز منصور الحكيم: ١٧٣ – ١٧٤ .

عليه السلام على يد الظالمين، فـ ((قالت زينب عليها السلام للشامي: كذبت ولؤمت، والله ما ذاك لك ولا له، فغضب يزيد ثم قال: إنّ ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت .

قالت زينب: كلا، والله ما جعل ذلك لك، إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا.

فقال يزيد: إنَّما خرج من الدين أبوك، وأخوك .

قالت زينب: بدين الله، ودين أبي، ودين أخي، اهتديت أنت إن كنت مسلماً.

قال يزيد: كذبت يا عدوّة الله.

فقالت زينب: أنت أمير تشتم ظلماً، وتقهر بسلطانك))[1] .

حوار في بعده التواصلي المتمثل في " قالت ... وقال "، يُمثّل موضوعة أساسية في الإعلام الزَّينبي، ولاسيما إذا كان الفعل الحواري مباشرًا؛ لأنَّه يكشف عن الأدوات الإعلامية التي يحتكم إليها طرفا النزاع، وهذه الأدوات الإعلامية هي بدورها تكشف عن القيم الإعلامية، فأداة السّلطة المتمثّلة بالحاكمية ليزيد استظهرت قيم " التّجهيل " بدلالة طلب الشّامي، المتصوّر به أنَّ هؤلاء خوارج، وما النّسوة إلا جواري؟، وتتّضح هذه الأداة بقوله " إنّ ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت " أي: أن أعطيها له في معرض ردّه على الحوراء زينب عليها السلام عندما قالت له ": كذبت ولؤمت، والله ما ذاك لك ولا له "، وتكشف عن هذه السلطة بقولها عليها السلام " أنت أمير تشتم ظلماً، وتقهر بسلطانك "، وهنا تظهر قيم أخرى وهي " الظلم " و " الجور "، فضلاً عن قيمة " التّكذيب "، بقوله " كذبت يا عدوة الله "، وهذا التّقابل المتضاد بين طرفي الخطاب يعكس الهويّة الذَّاتية لكلا الطّرفين، فالهويّة الذَّاتية للإعلام الزّينبي، تنتمي للقيم الإنساني، التي تحفظ إنسانيّة الإنسان، وتركّز فيه الإنسانية عن طريق الأبعاد المعرفية التي ترسلها عبر المنظومة التواصلية، وهي المنظومة الإسلامية، وهي منظومة عالمية؛ لأنَّها تحكي قيماً ترتبط بالإنسان، ولا تنفك عنه، بل مدارها مدار الإنسان، وهذا ما تمثّل في قولها عليها السلام، فضلاً عن ذلك أنَّها قيم قرآنيّة:

إلا أن تخرج من ملّتنا وتدين بغير ديننا .

إنَّما خرج من الدين أبوك، وأخوك .

بدين الله، ودين أبي، ودين أخي، اهتديت أنت إن كنت مسلماً .

في ضوء تلك القيم القرآنية يتشكل الخطاب الديني الإعلامي الزينبي، وهو يكشف الخطاب الديني المزيّف الذي استعملته الجهة المضادة، التي أخذت من الدّين غطاءً في تسويق مادّتهم الإعلامية العسكرية ضدّ الإمام الحسين عليه السلام، ذات الأبعاد السياسية، وهي السيطرة على " الخلافة "، والإمام الحسين "عليه السلام" كانت في حركته العسكرية اتجاه الظالمين، حركة إعلامية تمثّلت في إعلامية الخطاب الزّينبي، المتمثّل في القيم السماوية .

---

(١) الاحتجاج: ٢: ٣٤ .

ثانياً: الوظيفية في الإعلام الزينبي:

وظيفة الإعلام الأساسية هي الإخبار عن المعلومات الحقيقية للجماهير؛ من أجل زيادة المعرفة والوعي والإدراك في نفوس متلقي الخطاب الإعلامي، وهذا يُسهم في تعريف الرّأي العام بالمشكلات المطروحة والعالقة[1].

والإعلام الزينبي في وظيفته الدّعوية أكّد ذلك، فقولها عليها السلام ((أتبكون ؟ أجل والله فابكوا فإنكم أحرى بالبكاء فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فقد أبليتم بعارها، ومنيتم بشنارها، ولن ترحضوها أبداً، وأنَّى تحرضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ حربكم، ومعاذ حزبكم، ومقر سلمكم، وآسي كلمكم، ومفزع نازلتكم، والمرجع إليه عند مقاتلتكم، ومدرة حججكم، ومنار محجتكم، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم، وساء ما تزرون ليوم بعثكم))[2].

تقرير حقيقة الفعل والإخبار عنه بأسلوب الاستفهام الإنكاري لها وقع في نفوس متلقّي الخطاب ولاسيما إنّهم من قاموا بهذا الفعل ؛ لذا قال الإمام علي بن الحسين "عليه السلام" ((إنَّ هؤلاء يبكون وينحبون من أجلنا فمن قتلنا ؟))[3]، ثم تقرّر حقيقة بأسلوب التّعجّب بأنَّ هذا المقتول أخي، والخطاب هنا يستلزم حفظ أهل بيته إذا كنتم نادمين على فعلتكم، إلا أنّكم غير نادمين ؛ لذا جاء الأمر " فابكوا فإنّكم أحرى بالبكاء فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً "، والخطاب يعلّل سبب هذا الأمر بالبكاء وأنتم أحرى بالبكاء ؛ لأنَّكم " أبليتم بعارها " و " ومنيتم بشنارها "، ثم الإخبار بأنَّ هذا العار لن يغسل أبداً، وهذه الأبدية مسوّغة:

قتل سليل خاتم النّبوة

ومعدن الرسالة

وسيد شباب أهل الجنة

وملاذ حربكم

ومعاذ حزبكم

ومقر سلمكم

وآسي كلمتكم

ومفزع نازلتكم

والمرجع إليه عند مقاتلتكم

تعدّد هذه الأخبار، ومركزها وجوهرها الإمام الحسين عليه السلام، وربط حركته عليه السلام بحركة النّبوّة والرّسالة، وإنَّ دعوته سماوية، ارتبطت دعوته بدعوة النبي صلى الله عليه وآله، وهذا التخاطب العقلي أُستند في أطروحاته إلى الحجج

---

(١) ينظر: الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام: د . سمير محمد حسين: ٢٢ .

(٢) الاحتجاج: للطبرسي: ٢: ٢٧ .

(٣) عوالم العلوم والمعالرف والأحوال: الشيخ عبد الله البحراني الأصفهاني: ١٧: ٣٧٣ .

والبراهين؛ لتدعيم الدّعوى، فالمنهج الإعلامي الزّينبي يقوم على التّثقيف والإحاطة بالمعلومات الصّادقة التي تنساب إلى عقول الأفراد ووجدانهم، فترفع من مستواهم المعرفي، وتدفعهم إلى العمل، وتخلق فيما بينهما مناخًا مناسباً يمكّنهم من الانسجام والتّكيف والحركة، فيقع التفاعل في بناء المجتمع الإسلامي[١]، وهذا المنهج منهج قرآني، فالإعلام القرآني يعلن عن موقفه من القضايا الاجتماعية، فضلاً عن ذلك نشر تعاليم الدّين الجديد، وتثبيت دعائم الإسلام واستكمال بناء المجتمع؛ لذا لم يترك الإعلام القرآني معرفةً أو فضيلةً أو حقيقةً إلا وذكرها لما في ذلك من نفع للناس في معارفهم وأخلاقهم، وهو بذلك يناغم العقل [٢] .

وحركة الاستفهامات في الخطاب الإعلامي الزّينبي تقرر حقائق وتخبر عن وقائع فقولها ﷺ ((أتدرون ويلكم أيَّ كبدٍ لمحمدﷺفريتم ؟ وأيَّ عهدٍ نكثتم؟ وأيَّ كريمة له أبرزتم ؟ وأيَّ دمٍ له سفكتم ؟ لقد جئتم شيئاً إدًّا، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا ؟))[٣] .

الاستفهام يثير في لغة الإعلام سلسلة من الأفكار والرؤى في ذهن متلقي الخطاب، ولاسيما إذا كان الخطاب يحمل في طيّاته قيمًا إنسانية عالية تتشكل في ضوئها إنسانية المتلقّي، وهذه الاستفهامات مدارها مدار القضية المعروضة [٤]، وإجابات هذه التساؤلات حاضرة في ذهن المتلقّي، وإثارتها تُشكّل مثيراً للمشاعر والأحاسيس الكاشفة عن السلوك الخاطئ، الذي يعضد هذا المثير في الإعلام الزّينبي، وهو الإعلان عن قبائح أفعالهم، واستعمل الخطاب الفعل " تكاد "، وهي من أفعال المقاربة أي: إنَّ أفعالهم قاربت السماء أن تتفطر منها، والأرض أن تنشق منها، والجبال أن تخرّ منها، والخطاب الزّينبي في خطابه الضّمني يولّد دعوى إلى التّكفير عن ذنبهم الذي أذنبوه، وتصحيح المسار الذي ساروا به، هذا في إطاره الخاص، أمّا في إطاره العام؛ فهي تدعو إلى مناصرة الحقّ، ونبذ الباطل بكلّ أصنافه، وهذه الدعوى أضحت مدوّية في أصقاع الأرض؛ لأنَّ منطلقاتها منطلقات قرآنية تمسك بالحق وتفترق عن الباطل؛ لذا قِيل " الدّين محمّدي الوجود حسينيّ البقاء" .

ومن المنبّهات التي تولّد مثيرات في الإعلام الزّينبي مبدأ " الثّواب والعقاب "، وهذا المبدأ صنف من صنوف الإعلام القرآني، والذي كان حاضرًا بقوّة في تعديل سلوكيّات الأفراد وتكيفها في المجتمعات الإسلامية، ولاسيّما في القصص القرآني وهي تحكي سلوكيّات أفراد تنعّموا بفضل الطّاعة، وسلوكيات أفراد باءوا بغضب الله، وقد انتهجت لغة الإعلام الزينبي هذا المنهج في تقويم سلوكيات الأفراد، فقالت ﷺ ((فتعساً فتعساً ؟ ونكساً ونكساً ؟ لقد خاب السعي، وتبّت الأيدي، وخسرت الصّفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذّلّة والمسكنة))[٥]

تستند لغة الإعلام على فلسفة التكرار في تثبيت الأخبار والوقائع والأحداث في أذهان متلقّي الإعلام؛ من أجل

(١) ينظر: المنظور القرآني لوظائف علم الاتصال: د . وداد غازي: ٦٥ .
(٢) ينظر: الإعلام والمجتمع: د . غازي زين عوض الله: ١١١
(٣) الاحتجاج: ٢: ٢٧ .
(٤) ينظر: الإعلان رؤية جديدة: د . ناجي فوزي خشبة: ٦١ .
(٥) الاحتجاج: ٢: ٢٧ .

كسب التأييد والقناعة بفحوى تلك الأخبار، وهذا أسلوب، الذي يعدّ من أهمّ أساليب الدّعوة لتغير سلوكيات الأفراد، وتوليد آراء صائبة تُسهم في التّنشئة الاجتماعية[1]، وهذا الأسلوب كان حاضراً في لغة الإعلام الزّينبي "فتعساً فتعساً ؟ ونكساً ونكساً ؟ "، يستظهر به حالة الخسران التي منيت بها الأمّة، وهي تتبع الإعلام المزيّف، وفي ذلك تنبيه وتحذير لمتلقي الخطاب العالمي الذي تقصده لغة الخطاب الزّينبي؛ لأنّه خطاب ذات قيم إنسانية .

المطلب الثّاني

فلسفة الإعلام الزّينبي والإعلام القرآني: بين الثابت والمتغيّر

منهج الإعلام الإسلامي يستند في منطلقاته الإعلامية والإعلانية إلى " سدّ الفراغ " في المنظومة المعرفيّة القيمية لدى الأفراد والمجتمعات، وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على قوّة الإعلام في توجيه حركة الأفراد داخل مجتمعاتهم، وهذا مثَّل دافعاً من دوافع ظهور الإعلام الإسلامي، فضلاً عن ذلك مواجهة الفكر المنحرف والثقافة المستوردة، وحتى يكون ذلك يحتاج مخاطبة الآخر بلغته التي يفهمها [2]، وحركة الإعلام بين ثوابت القيم والمبادئ، وتغاير الزمان والمكان، فضلاً عن ذلك التغاير بين طرفي الخطاب، فالثابت من القيم والمبادئ " وظيفة الإعلام الدعوة إلى الله "، وهذا يستلزم بذل النصيحة بشقّيها " التّرغيب والتّرهيب "، ولهاتين الوسيلتين الأثر البالغ في متلقّي الخطاب، غير أنّ أساليب الدّعوة تتغاير بتغاير الزّمان والمكان، وهذه الاستدعاءات التي يطلبها المحيط الخارجي تقضي التنويع في الأساليب، وهذا التنويع تبع لتنوّع صور خطاب الإعلام الزّينبي العاكس في حيثياته الإعلام القرآني الساعي إلى " ترسيخ العقيدة الصحيحة " في النفوس، و " خلق الانسجام الاجتماعي " بين المسلمين، و " تحصين المجتمع وتنميته ضدّ الثقافات الدخيلة على المجتمعات الإسلامية "[3] .

أولاً: فلسفة الإعلام العقائدي في الإعلام الزينبي:

حتى يتسنى بناء الإنسان بناءً حقيقيًّا، يجب على الإعلام العقائدي تزويد الإنسان بمعارف تُقوّم وتصلح منظومته المعرفية التي هي الأساس في توليد سلوكياته الاجتماعية الخارجية، فالإيمان بوجود " الله تعالى " والإقرار له بالرّبوبيّة والوحدانية، والإيمان بأنَّه باعث " الرسل "، وهذا يستلزم قبول دعواهم والتّمسّك بها، والإيمان بـ " اليوم الآخر" يوم الحساب الذي يقتضي العمل والاستعداد له، من هنا تتكوّن الاعتقادات التي تُفسّر السلوك الإنساني، فضلاً عن ذلك يتبنّى، الإعلام العقائدي بيان زيف الاعتقادات الباطلة، والشبهات المنحرفة، وهذا البيان يُمثّل حجّة وبرهان على الناكرين والمنافقين [4].

---

(١) ينظر: الأسس النظرية والنماذج التطبيقية: د . عاطف عدلي العبد: ٢٣– ٢٥ .

(٢) ينظر: من إضاءات حول الإعلام الإسلامي: د . عبد القادر طاش: ٣ – ٧ .

(٣) ينظر: الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر: ٣٩ – ٤٢ .

(٤) ينظر: الإعلام في الإسلام: د . رفعت عارف الضبع: ٢٠ – ٢٦ .

فأهداف الإعلام العقائدي الزّينبي لم يخرج عن دائرة الإعلام العقائديّ القرآنيّ في تصحيح العقائد وبناء المفاهيم الجديدة التي توافق المنظومة المعرفية القرآنية؛ وهذا ما يُفسّر لنا حضور الخطاب القرآني في الخطاب الزّينبي، فقولها ﷺ ((أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض، وضيّقت علينا آفاق السّماء، فأصبحنا لك في أسار، نساق إليك سوقاً في قطار، وأنت علينا ذو اقتدار أنَّ بنا من الله هواناً وعليك منه كرامةً وامتناناً، وأنَّ ذلك لعظم خطرك وجلالة قدرك، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك، تضرب أصدريك فرحاً، وتنفض مذرويك مرحاً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور لديك متسقة، وحين صفا لك ملكنا، وخلص لك سلطاننا، فمهلاً لا تطش جهلا ؟ أنسيت قول الله عز وجل " ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنَّما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين "[1]))[2] .

يُنشىء الإعلام العقائدي الزّينبي عبر نافذة الاستفهام الإنكاري تقابلاً في الصّفات، يعكس حركة السلوك، ولاسيما أنَّ الخطاب الزّينبي يجهر بالمخاطب الخاص – يزيد – " لعنه الله "، وهذا ما اقتضته جغرافية المكان، لكنه زماناً لم يتقيّد، فهو يخاطب الأفراد في كلّ زمان، يريد بيان فساد الاعتقادات التي ولّدت سلوكاً خارجياً تمثّل بمقتل الإمام الحسين "ﷺ "، وسلب حرائر الوحي وسبيهنَّ إلى الكوفة ثمّ الشام ومعهنَّ الأيتام، وقد ربطوا بالحبال، وحملوا على الجمال بغير غطاء، وعزفت أبواق الجيش، وخفقت راياتهم، وكان منظراً تقشعرّ منه الأبدان، وتهلع منه القلوب[3]، والإمام الحسين ﷺ اليوم مازال يقتل، وأهل بيتهﷺ مازالوا سبايا في حركة التاريخ، والسّبب ؛ لأنَّ العقائد مازالت فاسدة التي تمثّلت بشكلها الخاص بشخص – يزيد – " لعنه الله "، ومن اتبعه في مسيرته عبر التاريخ، وما الخطاب الإعلامي الزينبي إلا كاشف عن زيفها وبطلانها:

أخذت علينا أقطـــار الأرض ← فأصبحنا لك في أســـار .

وضيقت علينا آفاق السمـــاء ← نساق إليك سوقاً في قطار .

تثبت لغة الإعلام العقائدي الزينبي في دلالتها الإيحائية " الإحاطة " التي اعتقد بها – يزيد، وإنّ الأمور في قبضت يديه، وهذا البعد الإشاري الذي تمثّل بضمائر الرفع في " أخذت " و " وضيقت "، فضلاً عن ذلك ضمائر الخطاب في " فأصبحنا لك " و " نساق إليك " .

تريد لغة الخطاب الإعلامي الزينبي العقائدي أن يصل بنا إلى ذروة الاعتقاد الفاسد المتولّد من ظواهر الأمور السابقة:

أنت علينا ذو اقتدار ← أن بنا من الله هواناً، وعليك منه كرامة وامتناناً وأنّ ذلك لعظم خطرك وجلالة قدرك .

---

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٧٨ .

(٢) الاحتجاج: ٢: ٣٢ .

(٣) ينظر: السيدة زينب رائدة الجهاد في الإسلام: ٣١١ .

وهذا التقابل بين الضمائر العاكسة للتقاطع في الرّؤى، والاعتقادات، ولدت سلوكيات خارجية محسوسة ومدركة من المتلقي الخاص والعام " فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك، تضرب أصدريك فرحاً، وتنفض مذرويك مرحاً، حين رأيت الدّنيا لك مستوسقة، والأمور لديك متسقة، وحين صفا لك ملكنا، وخلص لك سلطاننا " .

يأتي الجواب لكشف زيف هذه الاعتقادات بصيغة النّهي " لا تطش جهلاً "، ثم أن لغة الخطاب تقرر حقيقة عن طريق الاستفهام " أنسيت " بالاستدلال الخطاب القرآني الذي يمثّل الامتداد الطّبيعي للخطاب الزّينبي، قال تعالى: ﴿ **ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين** ﴾[1] .

يعكس هذا التوظيف القرآني العقيدة الفاسدة الراكزة في نفوس الذين كفروا ؛ لذا قال تعالى " لا تحسبنَّ" أي لا يظنَّ أن إطالتنا لأعمارهم، وإمهالنا إياهم، خير لهم من القتل في سبيل الله بأُحد؛ لأنَّ قتل الشهداء أدّاهم إلى الجنة، وبقاء هؤلاء في الكفر يؤدّي إلى العقاب، أي نطيل عمرهم، ونترك المعالجة لعقوبتهم ليزدادوا إثماً[2] .

فلغة الخطاب الإعلامي الزّينبي حقّقت الأهداف القرآنية التي كان يدعو لها في الجانب العقائدي بهذه الصورة، ومن الصور الأخرى قولها عليها السلام ((أمِنَ العدل يا ابن الطلقاء ؟ تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنَّ، وأبديت لأهل المناهل، ويتصفّح وجوههنَّ القريب والبعيد، والغائب والشهيد، والشريف والوضيع، والدنيّ والرفيع ليس معهنَّ من رجالهنَّ ولي، ولا من حماتهنَّ حمي، عتوّاً منك على الله، وجحوداً لرسول الله، ودفعاً لما جاء به من عند الله، ولا غرو منك، ولا عجب من فعلك، وأنَّى ترتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الشهداء، ونبت لحمه بدماء السعداء، ونصب الحرب لسيّد الأنبياء، وجمع الأحزاب، وشهر الحرب، وهزّ السيوف في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله أشدّ العرب جحوداً، وأنكرهم له رسولاً، وأظهرهم له عدواناً، وأعتاهم على الربّ كفراً وطغياناً، ألا إنّها نتيجة خلال الكفر، وصب يجرجر في الصدر لقتلى يوم بدر، فلا يستبطئ في بغضنا أهل البيت من كان نظره إلينا شنفاً وإحناً وأضغاناً، يظهر كفره برسول الله، ويفصح ذلك بلسانه))[3] .

بسرد لغة الإعلام الزّينبي وقائع حقيقية وقعت من خلال الاستفهام الإنكاري، الذي كثّف دلالته الإيحائية أسلوب النداء عن طريق الكناية في " يا ابن الطّلقاء "، وهذا الأسلوب في تقرير الحقائق فيه نوع من التعجب، ثم يدفع هذا التعجب، من السلوك الخارجي الذي جسّد الوقائع والحقائق من قبل – يزيد ؛ كونه " عتوّاً منك على الله " و " جحوداً لرسول الله " و " ودفعاً لما جاء به من عند الله "، وهذه الحجج والبراهين تكشف زيف اعتقادات القوم الذين جاروا على أهل بيت النّبوّة، الذي أوصى الإعلام القرآني بهم " بالإتباع والاقتداء،

---

(١) سورة: آل عمران: الآية: ١٧٨ .

(٢) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢: ٤٠٧ .

(٣) الاحتجاج: ٢: ٣٢ .

والحب "، ثم يثبت الإعلام الزينبي كفر هؤلاء القوم بتكثيف الحجج والبراهين ؛ لأنَّ سياق المقام استدعى ذلك ؛ لأنّ يزيد " لعنه الله " ((أخذ يهزّ أعطافه جذلاناً متمنّياً حضور القتلى من أهل بيته ليريهم أخذه بثأرهم من النبي "ﷺ " في ذرّيته، وراح يترنّم بأبيات ابن الزبعرى قائلاً أمام الملأ بصوت يسمعه الجميع:

ليت أشياخي ببدر شهـــــدوا	جزع الخزرج من وقع الأســـل
لأهلوا واستهلوا فرحـــــــاً	ثم قالـــــوا: يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهـــــم	وعدلنـــــــاه ببدر فاعتدل
لعبت هاشـــــــم بالملـك فلا	خبر جاء ولا وحـــي نزل))[1].

والإعلام العقائدي الزينبي يُكثّر من الحجج والبراهين، وهو بذلك يريد تصحيح المسارات الفكرية والعقائدية، وإعادة رسم المفاهيم من جديد في ضوء المعرفة القرآنية ؛ لذا نجد الخطاب الزينبي يؤكِّد المرجعيات القرآنية " ونصب الحرب لسيد الأنبياء" و، "جمع الأحزاب "، و " شهر الحرب "، و " هز السيوف في وجه رسول الله ﷺ "، و " أنكرهم له رسولاً "، و " أظهرهم له عدواناً "، و " أعتاهم على الربّ كفراً وطغياناً "، و" فلا يستبطئ في بغضنا أهل البيت "، و " يظهر كفره برسول الله "، و " يفصح ذلك بلسانه " .

ثانياً: فلسفة الإعلام السياسي في الإعلام الزَّينبي:

السياسة في عرف أهل السياسة ((فنّ إدارة المجتمعات الإنسانية))[2]، وحتى تتمكّن الإدارة من إدارة المجتمعات الإنسانية لابُدَّ لها من إعلام يساعدها في الإدارة، وملامح الإعلام السياسي القرآني يكمن في "إصلاح إدارة المجتمع "، عن طريق " التربية الصحيحة "، و " القيادة الحقَّة "، والأهداف التي يسعى الإعلام القرآني تثبيتها في أذهان الأفراد " الحاكمية لله "، فضلاً عن ذلك " التأكيد على وحدة الأمة الإسلامية " و " كشف السنن الربانية في التمكين " و " التعريف بالأحكام إدارة الحكم "، وهذه الأهداف القرآنية ظهرت بالإعلام الزّينبي فقولها عليها السلام ((واستأصلت الشّافة بإراقتك دم سيّد شباب أهل الجنة، وابن يعسوب دين العرب، وشمس آل عبد المطلبي، وهتفت بأشياخك، وتقرّبت بدمه إلى الكفرة من أسلافك، ثم صرخت بندائك، ولعمري لقد ناديتهم لو شهدوك؟ ووشيكاً تشهدهم ولن يشهدوك، ولتودّ يمينك كما زعمت شلّت بك عن مرفقها وجذب، وأحببت أمك لم تحملك وإياك لم تلد، أو حين تصير إلى سخط الله ومخاصمك رسول الله ﷺ اللهم خذ بحقّنا، وانتقم من ظالمينا، واحلل غضبك على من سفك دماءنا ونفض ذمارنا، وقتل حماتنا، وهتك عنّا سدولنا))[3] .

تثير لغة الإعلام السياسي الزينبي قضية غاية في الأهمية وهي " الخلافة "، التي اغتصبت من أهل بيت النّبوة،

(١) السيدة زينب رائد الجهاد في الإسلام:٣٣٧ .
(٢) موسوعة العلوم السياسية: مجموعة مؤلفين: ١٠٢ .
(٣) الاحتجاج: ٢: ٣٢– ٣٣ .

ومعدن الرِّسالة، وهذا الظّلم والاضطهاد الذي لحق بأهل البيت عليهم السلام جسدته لغة الإعلام الزَّينبي " بإراقتك دم سيّد شباب أهل الجنة "، و" ابن يعسوب دين العرب "، و" شمس آل عبد المطّلب "، وقد مثّلت هذه الحجج والبراهين على الاغتصاب الحق " الخلافة "، والذي ظهر في لغة الإعلام الزّينبي " حين تصير إلى سخط الله " و " ومخاصمة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أخذ الخطاب منحى آخر وهو " البراءة " من المغتصبين والمعاندين والناكثين بقولها عليها السلام (اللهم خذ بحقّنا، وانتقم من ظالمينا، واحلل غضبك على من سفك دماءنا ونفض ذمارنا، وقتل حماتنا، وهتك عنّا سدولنا)، وهنا تتّضح صورة جديد من صور الإعلام السّياسي وهو " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "، وهو بذلك يحمل في طيّاته دعوى إلى الرّجوع إلى حكم الله في الاستخلاف " النبي وأهل بيته "عليهم السلام، فضلاً عن ذلك مجابة المغتصبين والمعاندين، وقد تجسّد هذا بالقول والسلوك عند الحوراء زينب عليها السلام .

وقولها عليها السلام ((فالعجب كلّ العجب لقتل الأتقياء، وأسباط الأنبياء، وسليل الأوصياء، بأيدي الطّلقاء الخبيثة، ونسل العهرة الفجرة تنطف أكفّهم من دمائنا، وتتحلب أفواههم من لحومنا، تلك الجثث الزّكيّة على الجيوب الضّاحية تنتابها العواسل، وتعفرها أُمّهات الفواعل، فلئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد .

فإلى الله المشتكى والمعول، وإليه الملجأ والمؤمّل، ثم كد كيدك، واجهد جهدك، فو الله الذي شرّفنا بالوحي والكتاب، والنّبوّة والانتخاب، لا تدرك أمدنا، ولا تبلغ غايتنا، ولا تمحو ذكرنا، ولا يرحض عنك عارنا، وهل رأيك إلا فند، وأيّامك إلا عدد وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعن الله الظالم العادي)) [1] .

تستعرض لغة الإعلام السّياسي الزّينبي عدم الانسجام في المجتمعات الإسلامية التي يقودها الطّغاة، فتتعجّب من ذلك فتقول عليها السلام (العجب كل العجب)، والمتعجّب منه " قتل الأتقياء " و " أسباط الأنبياء " و"سليل الأوصياء"؛ لأنّه لا ترعى حرمة عند الظّالمين، وهذا التكرار في بيان سلوكيات الطّغاة يؤثّر في نفوس المتلقّين، ولاسيما أنَّ لغة الخطاب الإعلامي السّياسي الزّينبي تقدّم أطروحة ربّانية في معاقبة الظّالمين بقولها عليها السلام "وما الله بظلام للعبيد "، وهذا محض عدالة الله في كبح جماح المعتدين على " الخلافة "، التي هي منصب ربّاني، الله وحده له الحق في تكليف من يشاء من عبادة، فضلا عن ذلك تقدم لغة الإعلام السّياسي الزّينبي أطروحة قرآنية أخرى تمثلت في " التّوكّل " على الله عند المصائب والصّعاب، فقالت عليها السلام " فإلى الله المشتكى، " و " إليه الملجأ والمؤمل "، ثم يؤكد الخطاب الزينبي عن طريق القسم بأن الله " شرفنا بالوحي والكتاب " و " النبوة والانتخاب "، وهذا يستلزم بأنك " لا تدرك أمدنا " و " لا تبلغ غايتنا " و " لا تمحو ذكرنا "، وتقرير هذه الحقائق تقتضي بأن " كيدك " و " جهدك "، لا قيمة لهما أمام إرادة الله جلَّ جلاله ؛ لذا يرى أهل الإعلام من الضروري تطبيق " مبدأ العدالة "، و الرعاية الإنسانية التي تُسهم في إيجاد الجو المناسب[2].

(١) الاحتجاج: ٢: ٣٣ .

(٢) ينظر: الإعلام والثقافة العربية: د . تيسير أبو عرجة:٣٦ .

وقالت ﷺ: ((الحمد لله الذي حكم لأوليائه بالسعادة، وختم لأصفيائه بالشهادة، ببلوغ الإرادة، نقلهم إلى الرحمة والرّأفة، والرّضوان والمغفرة، ولم يشق بهم غيرك، ولا ابتلى بهم سواك، ونسأله لهم الأجر، ويجزل له الثواب والذخر، ونسأله حسن الخلافة، وجميل الإنابة، إنّه رحيم ودود)) [1] .

لغة الإعلام الزّينبي تتبنى واحدة من أهم عوامل الاتصال مع الجمهور وهي حالة " القبول والرضا " للمرسل، وهذه الثقة بالنفس، والوثاقة بالقضية التي خرجوا من أجلها، وحالة الاطمئنان التي تتمتع بها نفوسهم تتحقق الهدف الاتصالي المستقبلي الذي يسعى إليه المرسل، والذي يمثّل حاجات الناس ورغباتهم[2]، وهذا ما تمثل بقولها ﷺ:

الحمد لله الذي حكم لأوليائه بالسعادة .

وختم لأصفيائه بالشهادة .

نقلهم إلى الرّحمة والرّأفة .

والرّضوان والمغفرة .

ولم يشق بهم غيرك .

فالجمهور المستهدف جمهور عالمي بقصد التّأثير به، وتغيير سلوك تفكيره في استجلاب السّعادة باتباع سياسة ذات قيم " عادلة " في المواجهة، فضلاً عن استظهار المحبة للآخرين بدعوتهم إلى " السعادة " و " الرحمة " و " الرضوان " و " المغفرة "، وهذه الدّعوى تعاكس في مضامينها فعل القوم وسلوكهم في الاستحواذ على السلطة بسياسة تغليب المصالح الشخصية الضيقة على مصالح العباد .

---

(١) الاحتجاج: ٢: ٣٤ .

(٢) ينظر: الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي: ١٥٠ .

الخاتمة

أضحى موقف الحق منصة الإعلام الزَّينبي، ولاسيما وهي تجسد القيم السماوية الرافضة لامتهان الإنسان، وكشف زيف المضلّلين المتّخذين الإعلام سبيلًا لذلك ؛ لذا توصّل البحث إلى:

١- أثبت البحث للإعلام سلطة التغيير وتوليد الرَّأي العام الجماهيري ولاسيما الإعلام الأخلاقي الثقافي الذي يزود المجتمع والأفراد بمعلومات أخلاقية تضمن له السّعادة .

٢- رسم البحث المسار القيمي للإعلام الزينبي، والذي ارتبط بالمبادئ القرآنية، فأضحى الإعلام الزّينبي جزءاً من الإعلام القرآني، الذي يدور مدار الإنسان .

٣- تسعى لغة الإعلام الزّينبي في وظيفته إلى تنشئة اجتماعية قرآنية، يؤمن بعقائد صحيحة، و يسير على مفاهيم تزرع القيم الإنسانية الكفيلة في خلق الانسجام المجتمعي.

٤- كشفت لغة الإعلام الزينبي بشائعة العقائد التي يؤمن بها الطرف الآخر، التي ولدت سلوكيات تندى لها الإنسانية جمعاء، وهذا الكشف فيه دعوى إلى إصلاح النفوس، فضلاً عن ذلك المظلومية التي منيت بها الأمّة الإسلامية بقتل أهل بيت النّبوّة .

٥- رسمت لغة الإعلام الزّينبي الصّورة السّياسية، ونقطة الخلاف بين الفريقين الحق والباطل، ألا وهي "الخلافة "، وكشف الخطاب أنَّه منصب ربّانيّ، الله "جلَّ جلاله" له الحق في تنصيب من يشاء من عبادة، وهي ليست وراثة أو انتخاب .

٦- مثّلت لغة الإعلام السياسي في الخطاب الزّينبي النظرية الإسلام السياسية في " الحاكمي " عن طريق توفير " القيادة المثالية " التي تؤمن بالعدل في إدارة المجتمع، وتوفّر له السعادة بتحقيق حاجاته ورغباته.

٧- أجاب البحث في حيثياته عن التّساؤلات التي أثارها البحث، التي شكّلت " مشكلة " البحث "، وهي إنّ الإعلام الزّينبي جزء من الإعلام الإسلامي، يمكن اتخاذه سبيلاً للدعوة الإسلاميّة .

٨- كشف البحث بأنَّ الإعلام الزَّينبي يمكن أن يكون نظريةً أساسها قوامها القرآن الكريم، ولاسيما وهي تُحاكي " القيم والمبادئ " القرآنية، وممكن تسمية هذه النّظرية " بالنّظرية الأخلاقيّة .

المصادر والمراجع

القرآن مصدر العربية الأول .

* الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي: د. إبراهيم أبو عرقوب، ط ٥، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٢ م.
* الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت ٥٢٠ هـ)، ط١، تعليقات: محمد باقر الموسوي الخرساني، منشورات ذوي القربى، قم، ١٤٢٦ هـ .
* الأسس النظرية والنماذج التطبيقية: د . عاطف عدلي العبد، (د . ط)، دار الفكر، القاهرة، (د . ت) .
* إضاءات حول الإعلام الإسلامي: د . عبد القادر طاش، كتاب الأمة رقم ٢٨ مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، قطر، ، ١٤١١ هـ .
* الإعلام الإسلامي المفهوم والخصائص: د . سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ط١، عالم الكتب، الرياض، ١٩٨٦ م .
* الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر: أستاذ: عبد الله قاسم، ط٢، علم الكتب، الرياض، ٢٠٠١ م .
* الإعلام في الإسلام: د . رفعت عارف الضبع، ط١، المكتب المصري للمطبوعات، القاهرة، ٢٠١٤ م .
* الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام: د. سمير محمد حسين، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٤ م .
* الإعلام والثقافة العربية: د . تيسير أبو عرجة، ط ١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٣ م .
* الإعلام والمجتمع: د. غازي زين عوض الله، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥ .
* الإعلان رؤية جديدة: د . ناجي فوزي خشبة، ط١، المكتبة العصرية، القاهرة، ٢٠٠٥ .
* سوسيولوجيا الإعلام الجماهيري: د . فواز منصور الحكيم، ط١، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١١ م .
* السيدة زينب ﷺ رائدة الجهاد في الإسلام: تأليف باقر شريف القرشي، ط١٠، دار المعارف – مؤسسة الإمام الحسين "ﷺ"، النجف الأشرف، ٢٠١٣ م .
* عوالم العلوم والمعارف والأحوال: الشيخ عبد الله البحراني الأصفهاني(ت ١١٣٠ هـ)، ط١، مدرسة ومؤسسة الإمام المهدي " عج "، قم المقدسة، ١٤٠٧ هـ
* المبادئ الأساسية لفهم القرآن الكريم: أبو الأعلى المودودي (ت ١٣٩٩ هـ)، ط١، دار التراث العربي، لبنان، (د . ت) .
* مجمع البيان في تفسير البيان: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، ط١، دار القارئ، لبنان، ٢٠٠٩ م .
* المنظور القرآني لوظائف علم الاتصال: د. وداد غازي، ط١، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٣ م .
* موسوعة العلوم السياسية: مجموعة مؤلفين، (د . ط)، إصدارة جامعة الكويت بالتعاون مع مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، (د . ت) .
* نظريات الإعلام: د . محمود حسن إسماعيل، ط١، المكتبة المصرية للمطبوعات، القاهرة، ٢٠١٣ م .

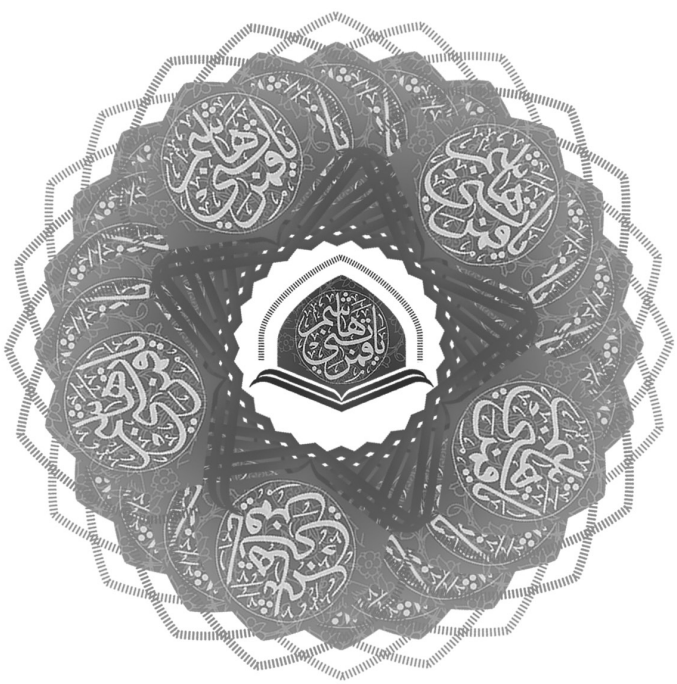

المنهج النّبوي الشّريف في التّنميـــــة البشريّة
-الخلق العظيم أنموذجاً-

م. د. زهراء رؤوف جواد الموسوي

المقدمة

عندما يدقّق الإنسان في الصّفات الحسنة التي يمتلكها الرَّسول العظيم محمد ﷺ يجده، أنَّه أعظم شخص في آخر سلالة متّصلة بالسّماء، وهو يعيش في ذاته روح الإنسانية بسماتها الحميدة، وأخلاقها الفاضلة، وبنهجه القرآني في التعامل مع أمّته، كفرد من تلك الأمّة المتولّدة في تلك البقعة من الأرض، فيأكل مما يأكلون، ويلبس مما يلبسون، ولم يرَ في نفسه يومًا ما أنَّه خارج عن هذا الكيان الإنساني المركّب من المادّة التّرابية والرّوح الإلهيّة، على الرغم مما منحه القرآن من خصوصيات ومميزات عالية، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

فلابُدَّ من التَّأثر بسيرته ﷺ والعمل الجاد من أجل ترسيخ ركائز التَّنمية البشرية وقيم الأخلاق في الفرد وإعمامها في المجتمع ليتربّى عليها الجيل النَّاشئ وينسجم معها ولا يستغربها بل يستغرب لو افتقدها يومًا في مجتمعه.

فشخصيّة رسول الله ﷺ قد مثّلت قمّة التّسلسل بالنسبة لدرجات الشّخصية الإسلامية التي توجد عادة في دنيا الإسلام، فكان ﷺ عظيمًا في فكره ووعيه، مثاليًّا في حسم المواقف والصّدق في المواطن ومواجهة المحن، فما من فضيلة إلَّا ورسول الله ﷺ سابق إليها، وما من مكرمة إلَّا هو متقلّد لها.

ومن هنا فإنَّ الوعي بالمنهج التربوي للمصطفى ﷺ والانفتاح عليه إنَّما هو وعي للرسالة بوجهها الحقيقي السّليم .

المبحث الأول

تعريف المنهج لغةً واصطلاحاً:

ورد في قواميس اللغة كلمة (منهج) أنّها تدلّ على الطّريق الواضح المستقيم.

قال ابن فارس: (النّون والهاء والجيم أصلان متباينان الأول: النّهج: الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه وهو مستقيم المنهاج والمنهج: الطريق أيضًا..)[1].

وقال في الصحاح: (النهج: الطريق الواضح، وكذا المنهج والمنهاج، وأنهج الطريق أي استبان، وصار نهجًا واضحًا بيِّنًا، ونهجت الطريق إذا أبنته وأوضحته)[2].

تعريف المنهج في الاصطلاح:

«هو مجموعة الرَّكائز والأسس المهمّة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمّة لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كلّ منهم»[3].

تعريف التنمية لغةً واصطلاحاً:

وزان التفعلة [4] وهي من مشتقّات مادة (النون والميم والحرف المعتل، أصل واحد يدلّ على ارتفاع وزيادة ونمى المال ينمى: زاد ....) [5] «ونميت النار تنمية ألقيت عليها شيوعها »[6] « وهي ما دقّ من الحطب » [7]

والتنمية اصطلاحاً وهي السّعي لتقدير نوعية الحياة الإنسانية مع الأخذ بنظر الاعتبار قدرات وإمكانات النظام الطبيعي الذي يحتضن الحياة [8].

وأيضًا عرفت بأنّها التي تستحضر مستقبل الأجيال عند تعاملها مع الموارد والثروات الوطنية لتحدّد في ضوئها نصيب الأجيال الحاليّة [9].

أمَّا التنمية البشرية «هي عمليّة توسيع اختيارات الشعوب وأن يتمتّع الإنسان بمستوى مرتفع من الدَّخل وبحياة طويلة وصحيحة، بجانب تنمية القدرات الإنسانية من خلال توفير فرص

---

(١) معجم مقاييس اللغة - ابن فارس - كتاب النون.

(٢) مختار الصحاح-الرازي-ص:٦٨١

(٣) عبدالرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي- مجلة البحوث الإسلامية-ع:٥٨-ص:٣٠٠.

(٤) « ...قاعدة التفعلة من كل فعل على فعل معتل اللام مضعفا كزكى تزكية وروى تروية ومالا يحصر « تاج العروس، الزبيدي ١٩/ ٦٠٧ اذ (لابد لكل فعل ثلاثي فعل غيررثلاثي من مصدر مقيس، فقياس فعل بالتشديد اذا كان صحيح اللام التفعيل كالتسليم ... ومعتلها كذلك ولكن تحذف ياء التفعيل وتعوض منها التاء فيصير وزنه تفعلة كالتوصية والتسمية والتزكية» اوضح المسالك الى الفية ابن مالك، ابن هشام الانصاري ١٧٨.

(٥) معجم مقايسس اللغة – ابن فارس ٥/ ٤٧٩

(٦) الزمخشري، اساس البلاغة، ٩٩٣

(٧) ابن سيده، المخصص، ج٣ق٢ص٣٠

(٨) طاهر، قادري محمد، التنمية المستدامة في البلدان العربية بين النظرية والتطبيق، ٢٠١٣ مكتبة حسن العصرية، بيروت .

(٩) عبود، سالم محمد، التنمية المستدامة والتكاليف البيئية، دار الدكتور للعلوم الادارية والاقتصادية، ٢٠١٤، بغداد.

ملائمّـة للتعليـم» [1].

تعريف الأخلاق لغةً واصطلاحاً

تعريف الأخلاق لغةً: جمع خلق بالضم وبضمّتين، وهو السّجيّة والطّبع والمروة والدين [2].

تعريف الأخلاق اصطلاحاً: عرفها النَّراقي في جامع السعادات؛ بأنّها ملكة للنفس مقتضية لصدورها الأفعال.

وفي تعريف الشهيد المطهّري قال: إنَّها الفعل الجدير بالثناء والشكر، والبشر ينظرون إليه بعين الرِّضا والإعجاب، والقيمة التي يمنحها البشر بهذا الفعل ليست من نوع القيمة التي تُعطى للعامل إزاء عمله فالفعل الأخلاقي أعلى من أن يقيّم بالمال [3].

قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[4] الخلق هو الملكة النّفسانية التي تصدر عنها الأفعال بسهولة وينقسم إلى الفضيلة وهي الممدوحة كالعفّة والشّجاعة، والرَّذيلة وهي المذمومة كالشره والجبن لكنه إذا اطلق فهم منه الخلق الحسن .

قال الراغب: والخلق – بفتح الخاء – والخلق – بضم الخاء – في الاصل واحد كالشرب والشرب والصرم والصرم لكن خص الخلق – بالفتح – بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخصّ الخلق – بالضم – بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة قال تعالى ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ والآية إن كانت في نفسها تمدح حسن خلقه ﷺ وتعظّمه غير أنَّها بالنّظر الى خصوص السياق، ناظرة إلى أخلاقه الجميلة الاجتماعية المتعلقة بالمعاشر كالثبات على الحق والصبر على أذى الناس وجفاء أخلاقهم، والعفو والاغماض، وسعة البذل والرفق والمداراة والتواضع وغير ذلك. [5].

وعن أبي إسحاق النّحوي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فسمعته يقول: إنَّ الله عز وجل أدَّب نبيه على محبته فقال:﴿**وَإِنكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ ثم فوض اليه فقال عز وجل: ﴿**مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧)**﴾[6] وقال عز وجل: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا(٨٠)**﴾[7] قال: ثم قال: وإنَّ نبي الله فوّض إلى عليّ وائتمنه فسلمتم وجحد الناس، فو الله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا، وأن تصمتوا إذا صمتنا، ونحن

---

(١) الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، التنمية البشرية

(٢) المجلسي، بحار الانوار، مؤسسة الوفاء، ٦٦/ ٣٧٤، الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ص٨١٢، الفيومي المصباح المنير، ص٨٠.

(٣) مطهري، مرتضى، فلسفة الاخلاق في الاسلام، ط١، بيروت، مؤسسة ام القرى، ١٤٢٤هـ، ص١٢.

(٤) سورة القلم الاية٤

(٥) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القران، ص٢٩٢، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ج١٩-٢٠، بيروت.

(٦) الحشر الاية ٧

(٧) سورة النساء الاية ٨٠

فيما بينكم وبين الله عز وجل، ما جعل الله لأحد خيرًا في خلاف أمرنا [1].

وأنَّ الاهتداء إلى ذلك متوقّف على التّخلّق بأخلاق الله، هو ما أشار إليه النبي عيسى عليه السلام بقوله: "ليس العلم في السماء فينزل اليكم، ولا في تخوم الأرض فيصعد إليكم، وإنَّما جبل في جبلتكم فتخلقوا بأخلاق الله يظهر لكم"[2] فينبغي لمن أراد أن يسير في طريق التكامل أن تكون وجهة سيره من الخارج الى الداخل أي إلى باطن نفسه . والمفهوم من الرواية، أنَّ من لم يتخلّق بأخلاق الله لن يظهر له ذلك العلم وستبقى الموانع مقيّدة له من السفر الى الحياة السعيدة، أي الحياة المليئة بالمجاهدات والاكتشافات الأنفسيّة [3].

عن بحر السقا قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا بحر حسن الخلق يسر، ثم قال: ألا أخبرك بحديث ما هو في يدي أحد من أهل المدينة؟ قلت: بلى، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالس في المسجد إذ جاءت جارية لبعض الأنصار وهو قائم فأخذت بطرف ثوبه فقام لها النبي صلى الله عليه وآله فلم تقل شيئًا ولم يقل لها النبي صلى الله عليه وآله شيئا حتى فعلت ذلك ثلاث مرّات فقام لها النبي في الرابعة وهي خلفه فأخذت هدبة من ثوبه ثم رجعت فقال لها الناس: فعل الله بك وفعل حسبت رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرّات، لا تقولين له شيئًا ولا هو يقول لك شيئًا، ما كانت حاجتك إليه؟ قالت: إن لنا مريضًا فأرسلني أهلي لأخذ هدبة من ثوبه ليستشفي بها فلمّا أردت أخذها رآني فقام فاستحيت منه أن آخذها وهو يراني وأكره أن أستامره التي أخذها فأخذتها[4].

وهذه الأساليب نتعلّمها من الرّسول الخاتم صلى الله عليه وآله بالتحلّي بالخلق العظيم ومن أنجح الوسائل والطّرق في التربية والتعليم إذ إنَّ المتربّي يتخلّق بأخلاق مربّيه وطريقته؛ لأنَّ حسن الخلق سجيّة تعمل عملها في أسر القلوب وإشاعة المحبّة بين أفراد المجتمع، لذا وجب على المعلّم والمربّي أن يتخلّق بالأخلاق الحميدة ويكون طلق الوجه، منشرح الصّدر، يتحلّى بالحلم والأناة مقابل جهل الآخرين من متعلّمين وغيرهم، فهذا يحثّهم على أن يتخلّقوا بأخلاقه ويتأثّروا بها .

---

(١) الكليني، محمد يعقوب، اصول الكافي، ج١/ ٢، ص١٩٢، ١٩١، دار المرتضى، ٢٠٠٥، بيروت.

(٢) فالاخلاق بحسب هذه الرواية المباركة ليست طريقة واسلوبا لمعرفة قواعد التعامل مع الاخرين فحسب انما هي سلوك الى الله تعالى، يفتح على عبده معاني خفية وعميقة في النفس، وهو امر متوقف على الالتفات الى قابليات النفس وقدراتها، وامكانية بلوغها اعلى المراتب الاخلاقية والعلمية .والتخلق معناه اتباع سنن انبيائه تعالى ومعرفة الحلال والحرام في رسائلهم وتقديم الحق على هوى النفس والباطل .السيد محمد العيناثي من اعلام القرن الحادي عشر، اداب النفس، ط٣، بيروت، دار المرتضى، ١٩٩١، ص٦

(٣) حجازي، محمد احمد، علم الاخلاق والتربية، دار الجوادين، ط١، ٢٠١١.

(٤) الكافي، مصدر سابق، ص ٤٩٤.

المبحث الثاني

التنمية البشرية من المنظور الإسلامي

لقد برز مفهوم التّنمية بداية في علم الاقتصاد، إذ استخدم للدلالة على عملية إحداث مجموعة من التّغيرات الجذرية في مجتمع معّين بهدف إكساب ذلك المجتمع القدرة على التّطور الذّاتي المستمر بمعدّل يضمن التّحسين المتزايد في نوعية الحياة لكلّ أفراده، بمعنى زيادة قدرة المجتمع على الاستجابة للحاجات الأساسيّة والحاجات المتزايدة لأعضائه، بالصورة التي تكفل زيادة درجات إشباع تلك الحاجات من طريق الترشيد المستمر لاستغلال الموارد الاقتصادية المتاحة وحسن توزيع عائد ذلك الاستغلال .

ثم انتقل مفهوم التّنمية إلى حقل السياسة منذ ستينات القرن العشرين إذ ظهر بوصفه حقلاً منفرداً يهتّم بتطوير البلدان غير الاوربية تجاه الديمقراطية، وهناك مفهوم التّنمية الثقافية التي تسعى لرفع مستوى الثقافة في المجتمع، وترقية الإنسان، وكذلك التنمية الاجتماعية التي تهدف الى تطوير التفاعلات الاجتماعية التي تهدف الى تطوير التفاعلات المجتمعية بين أطراف المجتمع: الفرد، الجماعة، المؤسسات الاجتماعية المختلفة، المنظمات الأهلية، بالإضافة لذلك استحدث مفهوم التنمية البشرية الذي يهتمّ بدعم قدرات الفرد، وقياس مستوى معيشته، وتحسين أوضاعه في المجتمع [1].

فالإنسان هو هدف التنمية، ومحورها الفاعل الأول فيها، والمستفيد الأوّل منها، وبذلك تكون التّنمية البشرية ذات جناحين هدفًا ووسيلة، فهي تنمية الإنسان ذاته، ومن أجله، ومن خلاله، متواصلة عبر الأجيال، فمن طريق تجارب الدّول الآسيوية التي تقدّمت وقطعت شوطًا في تنمية مجتمعاتها يلاحظ أنَّ نهضتها لم تعتمد على المواد الخام والثروات الطبيعية فحسب لإحداث التنمية الاقتصادية، ولكن اهتمّت بالإنسان وتنمية الثروة البشرية وتوفير الفرص المناسبة للعنصر البشري للإبداع والابتكار والمشاركة الفعّالة من طريق العناية الفائقة بالتعليم والتدريب، وهذا هو العامل الرئيس لانطلاقاتها في التنمية الاجتماعية والاقتصادية[2]. إنَّ مفهوم (التنمية البشرية) هو مفهوم ليس بجديد على الإسلام والمسلمين، وأنَّ الدِّين الإسلامي تقدّم بإطروحاته على الجميع من حيث تأكيده أنَّ التّنمية البشرية للإنسان وبالانسان لنفسه الفاعلة ومعارفه المتغيرة وقدراته المتجددة بعدما كانت التَّنمية محفّزة على الجد والمثابرة والكمال والاتقان وسائر حالات الإنماء الشّاملة والمتكاملة والمرتبطة بحركة المجتمع تأثرًا وتأثيرًا [3].

والتنمية في فلسفتها مفهوم أخلاقي، فهي تعتمد على تغير في أنماط السّلوك بحيث يتحمّل الإنسان مسؤوليّة الشعور بالآخرين من حوله، وكذلك بمن سيأتي من بعده، فالتّنمية البشرية محورها كما ذكرنا

---

(١) عارف، ناصر، مفهوم التنمية، كلية العلوم السياسية، جامعة القاهرة .

(٢) عبد السلام، مصطفى عبد السلام، تطوير مناهج التعليم لتلبية متطلبات التنمية ومواجهة تحديات العولمة، بحث مقدم الى مؤتمر التعليم النوعي ودوره في التنمية البشرية في عصر العولمة، كلية التربية، جامعة المنصورة القاهرة، ٢٠٠٦.

(٣) الخرسان، محمد صادق، دور الرسول ص في تأصيل التنمية البشرية التراحم انموذجا، العتبة الكاظمية قسم الشؤون الفكرية ص٢٢.

سابقًا هوالإنسان وتوفير الحياة الفضلى له، ومن ثمّ فإنَّ كلّ إنسان أيًّا كان موقعه سواء المواطن الذي يراعي حاجاته وحاجات أبنائه وجيرانه والمحيط الذي يعيش فيه أم كان الموظّف الذي يؤدّي واجبه بأمانة لتحقيق الأفضل لكلّ المستفيدين من خدماته، أو على مستوى صانع القرار، أو واضع السّياسة التي من شأنها ضمان رغد عيش الإنسان وحاجاته[1].

أمّا في غير الإسلام فيختصر مفهوم التّنمية بزيادة دخل الفرد بما يتناسب مع النّمو السّكّاني، وهو مالم يعالج مشكلة المجتمع بكامله بل اهتمّ بالفرد على أساس أنَّ « التّنمية البشرية مبنية في المقام الأول على السماح للناس بأن يعيشوا نوع الحياة الذي يختارونه وعلى تزويدهم بالأدوات المناسبة والفرص المؤاتية لتقرير تلك الخيارات، وفي السنوات الأخيرة سعى تقرير التّنمية البشرية بقوّة إلى إثبات أنَّ هذه المسألة هي مسألة سياسية بقدر ماهي مسألة اقتصاد، من حماية حقوق الإنسان الى تعميق الديمقراطية[2].

أما المقارنة بين الأسلوب النّبوي للتنمية البشرية وسواه، فقد توضح اعتماد الرسول الأعظمﷺعلى الإنسان عنصراً فعّالاً في صنع النّجاح، فيكون بنفسه لنفسه ولغيره، ليتولّد التغيير عبر معاناة وإحساس فيشعر الإنسان بقيمة ما صنع ولايتخلى عنه، كما لايفرّط فيه، بينما سائر أساليب التنمية – على أهمّيّتها – قد اعتمدت كثيرًا على الحكومات ومراكز صنع القرار، وهو مايخدش صفاء التجربة ويؤممها لمصلحة جهة ما فيفقد الإنسان قوّة حراكه في عملية التغيير، وقد يضعف أمام قوّة المؤثّرات والفعاليات الأخرى، فيستسلم للاملاءات بدون أن يحقّق ذاته، وهذا ما تلافاه الرسول الأعظم ﷺ في رؤيته التّنموية، فقد بدأ بالإنسان لينتهي به فجعله محورًا حيويًّا، تدور حوله عملية التّغيير والإصلاح.

(١) الحسن، عبد الرحمن محمد، التنمية المستدامة ومتطلبات تحقيقها بحث مقدم لملتقى استراتيجية الحكومة في القضاء على البطالة وتحيق التنمية المستدافة جامعة المسلية، الخرطوم، ص٩، ٢٠١١.

(٢) موقع الامم المتحدة، تقارير برنامج الامم المتحدة الانمائي، تقرير التنمية البشرية .

المبحث الثالث

أخلاق الرسول ﷺ مرحلة الصبا منهج نبوي يقتدى به

الأخبار عن حاله ﷺ في طفولته قليلة غير مستفيضة؛ لعدم العناية بتدوين السيرة وقتئذ، ونذكر هنا أنَّه كان ﷺ في صغره يلعب ذات مرّة مع غلمان قريش فكانوا يحملون الحجارة في ازرهم فتبدو عوراتهم، فخالفهم ﷺ وصار يحملها على رقبته لئلا ترى عورته [١]. وهذا من تأثير سلوك الأبوين في التربية معه ﷺ فقد كانت أمّه آمنة بنت وهب تغرس في نفسه الحياء والعفّة ومعالي الأخلاق منذ أن جاءت به إلى جدّه عبد المطّلب بعد ولادته فقال لها: يا آمنة احفظي ولدي هذا فسوف يكون له شأن عظيم[٢].

ولم يذق شيئًا ذبح على الأصنام، وقيل له ﷺ: هل عبدت وثنا قط؟ قال: «لا» قالوا: هل شربت خمراً؟ قال: « مازلت أعرف أنَّ الذي هُم عليه كفر » وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان (أي كيفية الدعوة إليهما)، وعنه ﷺ: «لما نشأت بغضت الى الأصنام والشعر» وكان عليه الصلاة والسلام يرعى الغنم في صغره لزيادة الرحمة في قلبه فكان يرعاها لأهل مكة [٣]، فقد هيأه لذلك جدّه عبد المطلب وهذا من أساليب الأبوين وطرقهم في تنشئة الجيل أو المعلم مع تلامذته، فنحن نرى عبد المطلب عندما يوضع له فراش في ظل الكعبة كعادته، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ولا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: «دعوا ابني فو الله إنَّ له لشأنًا »؛ ثم يجلسه معه عليه ويمسح ظهره بيده ويسّره ما يراه يصنع[٤] . استخدم أسلوب التشويق مع أولاده وكذلك هو وسيلة لتنمية الشخصية المؤمنة على خصال الآباء، والترفع عن المحرمات، وإن أسلوب التشويق هو أسلوب أو طريقة من الطرق تبعث على إيقاظ الهمم واذكار النفوس، إذ إنَّ النفس البشرية تتطلّع الى استكشاف كلِّ جديدٍ، بل إنَّ إثارة المتعلّم وتشويقه تجعله يبحث ويستقصي برغبة شديدة في معرفة ذلك الشيء المشرق، ويتميّز باستخدام أسلوب التّشويق والإثارة من أقوى الدّوافع على التعليم والبحث والاستقصاء، ويجب أن يضع المعلم في اعتباره، أنَّ العبارات المستخدمة في هذا الأسلوب يجب أن تؤدِّي إلى معنى تهواه وتستشرف إلى نفسه [٥].

---

(١) مهدي خليل جعفر، الموسوعة الكبرى لاهل البيت ع محمد ص، مركز الشرق الاوسط، ص٣٣.

(٢) البهبهاني، محمد باقر، محمد ص على فاطمة ع، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط١، ١٩٩٠، بيروت.

(٣) مهدي خليل، مصدر سابق، ص٣٤.

(٤) مهدي خليل جعفر، مصدر سابق، ص٢٠.

(٥) الرسول المعلم ص، اصدارات موقع نصرة رسول الله ص، النسخة الالكترونية، ص٧١.

المحيط الاجتماعي والأخلاقي

لايمكن لأي نظام من الأنظمة أن يستغني عن المبادئ الأخلاقية لارتباطها الوثيق بالوجود الإنساني، وعلى حدٍّ قول الشاعر:

إنَّما الأمـــمُ الأخـــلاق ما بقيـــت فإن هُمُ ذهبتْ أخلاقهـــم ذهبـــوا [1]

وعليه فإنَّ كل حضارة من الحضارات ترتبط بمبادئ أخلاقية، كما في الحضارة الإغريقية والهندية والغربية بشكلٍ عامٍّ، وعند العرب بشكلٍ خاصٍّ مع الفارق في تفسير معنى الأخلاق.

من هذا المنطلق يحتل علم الأخلاق مرتبة مهمّة في الحياة الإنسانية لصلته الدَّائمة في أفعال الإنسان وفي مختلف الشؤون الحياتية، فلا يوجد حقلٌ من الحقول العلمية وميدان من ميادين الحياة إلا ويحتاج إلى الأخلاق[2].

إنَّ مجتمع العصر الجاهلي الذي سادت فيه المفاهيم المشؤومة مجتمع متخلّف، كان يعيش حياة متخلّفة حيث أبرزت أبشع العادات والتقاليد الخلقية السّيّئة، والتي ساعدت على تشويه صورة الإنسان المعنوية ونقلته من مرتبته الإنسانية إلى أقلّ مراتب الحيوانية.

والميزان في تميز المجتمع الأخلاقي عن غيره هو التّغلّب على الشّهوات والملذّات التي تطلب من غير مواضعها، وتفعل بشتّى الطّرق المحرّمة عقلاً وشرعًا.

ومن اللافت أنَّ المجتمع الجاهلي اتّسم بالعمل بشكلٍ دائم للقضاء على الوعي البشري وقدراته العقلية، فلم نجد عنده ما نبحث عنه وندافع عنه من القيم الخلقية الحسنة بل كانت في تربية المجتمع الجاهلي أشياء قبيحة، لأنَّ بعض الرّذائل – عندنا- بحسب المعتقدات التي كانت سائدة عندهم لاتعبّر إلّا عن فضيلة عظيمة، كرذيلة العصبية التي كانت بنظرهم فضيلة كبيرة يفعل باسمها كلّ شي وهو أيضا عقيدة أخلاقية بالنسبة إليهم، فالفضيلة عندهم أن تكون قويًّا قادرًا على البطش والاستيلاء على ممتلكات الآخرين بغير حقّ، وهتك أعراضهم، وسفك دمائهم[3].

وفي وصفٍ آخر يصفهم سيّد البلغاء أمير المؤمنين ﷺ يقول «..... قد استهوتهم الأهواء واستزلّتهم الكبرياء، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزال من الأمر، وبلاء من الجهل»[4].

نعم، كانت أهواؤهم تحكم بِوَأد البنات، خوفاً من العار، وهروباً من الفقر والعوز، وكان الرجل ينصر أخاه، ظالمًا كان او مظلومًا، وكانت المرأة عندهم خارجة عن طور الإنسانية وبحسب تصرّفاتهم لم تكن إنسانًا، إنَّما أقلّ رتبة، وما ذلك كلّه إلّابسبب فقدان التّوجيه الأخلاقي الحسن [5]. ومع هذا فلم يخلُ

(١) مكارم الاخلاق، لابن ابي الدينا، ص٦.

(٢) مهدي خليل جعفر، مصدر سابق، ص١٠

(٣) حجازي، محمد احمد، مصدر سابق، ص٦١

(٤) نهج البلاغة رقم النص:٢٦

(٥) حجازي، محمد احمد، مصدر سابق، ص٦٢.

العرب أيّام الجاهلية من محاسن الأخلاق التي استمرّت فيما بعد في حياة الرسول الكريم ﷺ وعندما جاء الإسلام وبُعث النبي الأعظم ﷺ أقر بعضها وأتمّه، لقد كان العرب زمن الجاهلية وبخاصّة ولد «عدنان» أسخياء بالطّبع يُكرمون الضيف، وقلّما يخونون الأمانة، لا يغتفرون نقض العهود، ولا يتهاونون مع من يتنكّر للمواثيق، يُضحّون في سبيل المعتقد، ويتحلّون بالصّراحة الكاملة، وربّما وجد فيهم من تمتّع بذكاءٍ لامعٍ، وذاكرة خارقة يحفظ بها الأشعار والقصائد الطّوال، والخطب المفصّلة.

هذا جانب براعتهم في فنّ الشّعر والخطابة بحيث لم يسبقهم في ذلك غيرهم وإلى جانب أنّهم كانوا مضرب المثل في الشّجاعة والجرأة، والمهارة في الفروسية والرّمي.

يرون الفرار والإدبار في الحرب عارًا لازمًا، وصفة ذميمة يُلام صاحبها بسببها أشدّ اللوم [1].

أمّا إذا عدنا إلى أجداد النبي الأعظم ﷺ فنسبه الشريف ينتهي إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام ولهاتين الشّخصيتين العظيمتين وبعض أسلاف النبي الأعظم ﷺ العظام نصيبٌ مهمّ في تاريخ العرب والإسلام، فهم المربّون الأوائل للبشرية، فهذا حامل راية التوحيد النبي إبراهيم الخليل عليه السلام يعطي نقاطًا مشرقة لكلّ طلّاب الحق عبر دروس التّوحيد، فقد واجه نوعين من المشركين وهما:

١-الوثنيين

٢-عبدة الأجرام السّماويّة .

وكلّنا نعرف الآيات القرآنيّة التي تحدّثت عن جداله معهم وسلوكه لإثبات التوحيد في الرّبوبية الذي عبرت عنه الآية ﴿**فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ**﴾(٧٧) في سورة الانعام، أنّ اختلاف عقول وأفهام المتعلّمين من شخص لآخر ومن جماعة لأخرى، وكذلك براعة المعلم تكمن في قدرته على إيصال المعلومة للمتعلّم كما ينبغي وليست في حشد النّصوص والأدلّة وكثرة المسائل وتقدير المستوى العقلي للمتعلّمين ومن ثم تعليمهم على هذا الأساس، كما أنّ تكليف عقل المتعلّم ما لايتحمّله فوق طاقته، لايزيد المتعلم إلّا حيرة وجهلاً [2]. ثم إنّ المقدرة على إيصال المعلومة إلى ذهن المتعلّم تختلف قوّةً وضعفًا من وسيلة لأخرى، ومن هذه الوسائل طريقة الشّرح، الإفصاح والكشف عن مراد المعلّم، ولذا كان من المهمّ جدًّا أن يعرف المعلّم المستوى العقلي للمتعلّمين، لأنّ ذلك يُساعده في تحديد أسلوبه في عرض المادّة العلمية وتلخيصها بما يوافق عقولهم ومداركهم[3].

وهذا ما استخدمه الرّسول الكريم ﷺ مع المجتمع الذي كان يعيش معه وسنوضح ذلك لاحقًا.

ومرّة أخرى اتبع إبراهيم الخليل عليه السلام أسلوباً آخر في الدّعوة إلى التوحيد وذلك مع الوثنيين عبدة

---

(١) السبحاني، جعفر، سيد المرسلين، ج١، ص٣٧، دار جواد الائمة، ٢٠١١، بيروت .

(٢) الرسول المعلم ص، مصدر سابق، ص٦٠

(٣) الرسول المعلم، مصدر سابق، ص٥٨

الأصنام عندما قام بتحطيمها ووضع الفأس برقبة كبيرهم وقال لهم عند سؤالهم ، وهكذا كان أجداد النبي ﷺ وأسلافه أمثال قصي بن كلاب وعبد الله بن مناف وهاشم وعبد المطلب الذي عاصر النبي ﷺ وهم ورثة الأنبياء، وهم الدعاة إلى الله تعالى وأساليبهم ومناهجهم واحدة في تعليم الأمّة وتربيتها .

فهذا عبد المطّلب وأسلوبه في الدّفاع عن بيت الله الحرام أمام معسكر إبرهة الذي غزاهم بالفيل وموقفه عندما قال لابرهة: إنّي أنا ربّ الإبل وأنَّ للبيت ربًّا سيمنعه، فقد استخدم هنا أسلوب الحوار المقنع المباشر وهو من أساليب التّربية النَّافعة .

هؤلاء هم أسلاف النّبي الخاتم ﷺ وهو سيّدهم ومعلّمهم الأوّل، وقد ولد في مجتمعٍ جاهليّ فيه من أمثال هؤلاء الصّفوة من الهاشميين وغيرهم، وهذه الأساليب للدعوة إلى الله تعالى قام بها النّبي الأعظم ﷺ واتبعها الكثير في تربية الأمّة الإسلامية، وسنتطرّق إلى بعض من هذه الأساليب في حياته مع الصحابة إن شاء الله تعالى.

المبحث الرابع

منهج التربية الرّوحية عند الرّسول ﷺ

لقد كان رسول الله ﷺ مع ما له من بناء حضارة الدّين الحنيف وإدارة الدّولة الإسلاميّة وله تسع زوجات كانت له عبادة خاصّة لا أحد يستطيع القيام بها إلا هو ﷺ فقد كان ﷺ كما في بعض الروايات يصلّي على أطراف أصابع رجليه عشر سنين كما ورد في الاحتجاج.

فعن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال كان رسول الله ﷺ يقوم على أطراف أصابع رجليه فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿**طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ**﴾.

وفي رواية أخرى إنَّه كان ﷺ يقوم على أصابع رجليه حتى تورّمت قدماه .

بل إنَّ هناك روايات أخرى أنَّه كان يُصلّي وهو قائم على إحدى رجليه [١].

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال رسول الله ﷺ بعدما عظم أو بعدما ثقل كان يُصلّي وهو قائم ورفع إحدى رجليه حتى أنزل الله تعالى ﴿**طه ....**﴾[٢].

فمن ذا يستطيع أن يقوم بهذه الرّياضة الرّوحية مع القيام بكلِّ المسؤوليّات الأخرى فترى أنَّ نموذجية هذه الشّخصية النّبوية لا يمكن أن يُدانيها أحد من المخلوقين ومن الأنبياء طاف حول البيت ثلاثمائة وستين طوافًا في غضون أيّام [٣].

استخدم ﷺ هذه التّربية للنفس ليرتقي بكماله إلى أعلى الدّرجات وصولاً وقربًا وهو الإنسان الكامل، ومع هذا فأسلوبه مع نفسه كان للرّقي أكثر فأكثر؛ ليكون عبدًا شكورًا، وليكون قدوة للأمّة وللعالم أجمع.

منهج المربّي والمعلّم الأوّل

المربّي والمعلّم الأوّل هو الله عزّ وجلّ، والمتعلم الأوّل هو الرسول ﷺ، لذا أصبح هو الإنسان الكامل ومربّي العالم، فالرسول الأعظم ﷺ هو رسول الإنسانية الذي اصطنعه ربّه لنفسه بإعداده إعدادًا روحيًّا ونفسيًّا عظيمًا ينمو عن أخلاق سامية، ففي أوّل نزول الوحي وأمره الله عزّ وجلّ بالتبليغ، فاحتاج الى قوة لتحمل القول الثقيل، وفي تلك المرحلة أمر ﷺ بقيام الليل وتلاوة القرآن الكريم والى ذلك تشير الآيات المباركة في سورة المزّمّل وهي: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا(٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا**﴾[٤] والتدبر في هذه الآيات الشريفة يفيد

---

(١) الوسائل للحر العاملي، ج٥، ص٤٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٩١.

(٣) محمد السند، النبي ص قمة للانسانية، مطبعة النور، ص٣٠، ٢٠١٣.

(٤) سورة المزمل: الآيات ١-٨.

مايلي:

الأمر بقيام الليل للصلاة وتلاوة القرآن، وهذا العمل الروحاني يساعد الرسول ﷺ على تحمّل القول الثقيل وهو القرآن الكريم بما فيه من ثقل معنويّ، كما أنَّ هذا العمل هو الذي أوصل رسول الله ﷺ أعلى المقامات، قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيلِ فَتَهَجَّد بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَن يَبعَثَكَ رَبُّكَ مَقامًا مَحمودًا﴾ (١) ثم تذكر الآيات الأمر بالتّبتّل وهو الانقطاع إلى الله تعالى – والذكر، وكلّ ذلك هو السبيل إلى الله تعالى .

ومن هنا يستنتج أنَّ من أراد القرب من الله تعالى، ومن كان يريد القيام بأعباء الدّعوة الإسلاميّة فلابُدَّ له من قيام الليل، ولذا قال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾(٢)

ومثل هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤)وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (٢٧) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨) إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩)﴾(٣).

فقد ذكر الله تعالى الصبر والذّكر وقيام الليل بالسجود والتسبيح ثم ختم ذلك بقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً (٢٩)﴾(٤) أي من أراد السبيل إلى ربّه فليقم بهذه الأمور .

وأمّا التّوجيهات التي كانت تغذي النبي ﷺ بالطاقة الرّوحية، كالأمر بالصبر والتوكل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٥) وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا) (٦) وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾ (٧) وهذه التوجيهات هي الزّاد الرّوحي الذي كان يمنح لرسول الله ﷺ حتى يتحمّل ثقل القرآن الكريم وثقل الدّعوة الإسلاميّة .

قال العارف السيد عبد الأعلى السبزواري رحمه الله: "... في كل آن له ﷺ سفران: سفر من الخلق الى الحق المطلق لأن يأخذ منه الكمالات المعنوية التي بها يُربّى العباد تربية حقيقة كاملة، وسفر من الحق إلى الخلق لتربية النفوس المستعدّة، واسفار الجسمانية وإن كانت محدودة ولكن أسفار الروحانيّة لاتُعدّ ولا تُحصى (٨)كيف وهو

---

(١) سورة الاسراء: الآية ٧٩.

(٢) سورة المزمل: الآية ٨.

(٣) سورة الإنسان: الآيات ٢٤-٢٩.

(٤) سورة الإنسان: الآية ٢٩.

(٥) سورة الاحقاف: الآية ٣٥.

(٦) سورة المزمل: الآية ١٠.

(٧) سورة النساء: الآية ٨١.

(٨) حسين نجيب محمد، الحياة الروحية سيرة النبي والائمة عليهم السلام، ص ١٨٥-١٨٧ دار العلوم ط١، ٢٠١٠، بيروت.

ﷺ يقول: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني »[1] عن الإمام علي عليه السلام: « لمّا نزل على النبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلا (٢)﴾[2] قام الليل كله حتى تورّمت قدماه فجعل يرفع رجلاً ويضع رجلاً فهبط عليه جبرائيل فقال: ﴿طه* مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[3] وأنزل : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4][5] لذا كانت له ﷺ أعلى المقامات وقد ورد عنه أنّه قال ﷺ: (لي مع الله حالات لا يسعها ملك مقرّب ولانبيّ مرسل)[6].

استخدم تبارك وتعالى في الآيات السّابقة أسلوب التّشويق وهو أسلوب أو طريقة من الطّرق تبعث على إيقاظ الهمم واذكار النفوس، إذ إن النفس البشرية تتطلّع الى استكشاف كلّ جديد، بل إن إثارة المتعلّم وتشويقه، تجعله يبحث ويستقصي برغبة شديدة في معرفة ذلك الشيء المشرق[7]. واستخدم القرآن الكريم أساليب أخرى منها أسلوب تهيئة المتعلم لاستقبال المعلومات قد تكون بأسلوب مباشر وقد تكون غير مباشر وكذلك طلب السكوت من المتعلم من أقوى الوسائل لجذب الانتباه، وكذلك استخدام أسلوب النداء المباشر[8]. وذلك بقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ...﴾ فقوله تعالى في بداية الاية ـ﴿يا أيها الرسول﴾ والكثير من هذه أمثال الآية التي تبدأ بـ ﴿يا أيّها النبي﴾ او ﴿يا أيّها الرسول﴾ في القرآن لجذب الانتباه بأنَّ المخاطب يخّص المخاطب بلفظ يريده منه ويعنيه به منها قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ..﴾ وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ..﴾ وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ..﴾ او ﴿طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ ففي الآية الأولى يخاطبه ﷺ بلفظ الرسالة لأنَّ الأمر يخصّ رسالة النبي الأعظم ﷺ فلو لم يبلغه لانتفت الرّسالة من الأصل ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ بل لانتفت بعثة الأنبياء جميعًا وكلّ الرسالات إن لم يُبلّغ أمر الله تبارك وتعالى بولاية أمير المؤمنين عليه السلام وهذا أمر يسترعي أن يُهيىء الله تبارك وتعالى نبيّه ﷺ له بهذه الطّريقة. وهكذا في باقي الآيات ﴿لم تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ﴾ خاصة بالنبوة ومقامها لأنّه أمر

---

(١) مواهب الرحمن، ج٧، ص١٤؛ نقلًا عن الحياة الروحية، مصدر سابق، ص ١٨٦.

(٢) سورة المزمل: الآيتان ١-٢.

(٣) سورة طه: الآيتان ١-٢.

(٤) سورة المزمل: الآية ٢٠.

(٥) المنهج العبادي: ص، ٦٩.

(٦) مهذب الاحكام، ج١٥، ص٢٠٣، نقلا عن حسين نجيب محمد، الحياة الروحية، مصدر سابق ص ١٨١.

(٧) المعلم الرسول، مصدر سابق، ص٧١.

(٨) المعلم الرسول، مصدر سابق، ص٤٧.

يخصّه بما هو نبي مأخوذ عنه الأحكام والأوامر الإلهيّة (وهناك ايات نزلت تعلم النبي الخلق) وهذه الطريقة قد قام بها النبي الأعظم ﷺ في تعليم الصحابة الأخلاق العظيمة، فيروى عن أبي جعفر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يا أيّها الناس إنَّما هو الله والشيطان، والحق والباطل، والهدى والضلالة والرشد والغي، والعاجلة والاجلة، والعاقبة والحسنات والسيئات، فما كان من حسنات فلله وما كان من سيئات فللشيطان لعنه الله "[1]. هيأ الأذهان بقوله ﴿**يا أيها الناس**﴾ الأمر مهم يجب اتباعه لئلا يصبح الإنسان من فريق الشيطان. وكذلك في كلّ خطبه ﷺ ونصائحه للمسلمين يهيىء أذهانهم ويسترعي انتباههم ثم يعلّمهم ويربّيهم بعلومه، فيروى عن أبي يعفور عن أبي عبد الله ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ خطب الناس في مسجد الخيف فقال: «نظر الله عبدًا سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه الى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهنّ قلب امرىء مسلم: اخلاص العمل لله عزّ وجلّ، والنصيحة لأئمّة المسلمين واللزوم لجماعتهم، فإنَّ دعوتهم محيطة من ورائهم المسلمون إخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمّتهم أدناهم» [2]. فقوله ﷺ (نظر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها) تهيئة للأهمّيّة أي سمعوا ووعوا ما أقول فيلتفتون له ويتوجهون ثم قال بعدها (ثلاثة لايغل عليهن قلب امرئ مسلم) وهنا أيضًا جذب الانتباه لما بعدها وهي (إخلاص العمل لله .. والنصيحة لأئمّة المسلمين ولزوم للجماعة) وما بعدها من أمور وهي قواعد أساسيّة في الإسلام.

منهج مربّي الأخلاق الثاني

كان رسول الله ﷺ في قمّة الأخلاق عندما يتعامل مع أصحابه، فإنَّ الإنسان الخلوق مع أعدائه يكون ذا خلقٍ سامٍ مع أصدقائه وأصحابه بطريق أولى .

وقد وصف الإمام أمير المؤمنين ﷺ الرسول الأعظم ﷺبقوله: "كان أجود الناس كفًّا، وأجرأ الناس صدرًا، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمّة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبّه، لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ[3] .

وينقل الإمام الحسن ﷺ عن الإمام علي ﷺ في حديث له قال: سألت أبي عن سيرته ﷺ في جلسائه فقال ﷺ: "كان رسول الله ﷺ دائم البِشْر، سهل الخلق، لّين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صاحب، ولا فاحش، ولا عياب، ولا مدّاح، يتغافل عما لايشتهي، فلا يؤيس منه، ولا يخيب فيه مؤمليه[4]".

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، مصدر سابق، ص ٤٣٢.

(٢) الكليني، مصدر سابق، ص ٣٠٤.

(٣) مكارم الأخلاق: ص١٨، ب ١، ف٢ في جوده نقلًا عن كتاب نبذه عن حياة المعصومين، ص ٢٦

(٤) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ٢، ص ٢٨٤.

إنَّ مهارات التّنمية البشرية من المواضيع المهمّة التي اهتمّ بها المعاصرون لتطوير الأداء وتحقيق الإنجاز على أعلى المستويات وهي كثيرة؛ ومنها التّخطيط الاستراتيجي، وإدارة الذّات، وفنّ الإقناع، واتخاذ القرار، وحلّ المشكلات، وفنّ الحوار، والاستماع، والتركيز، والتوازن، والتغيير، وفنّ الاتصال، والتحفيز، وفن القيادة الفعالة، وضرب الأمثال..الخ من المهارات والمعلم الأوّل لهذه المهارات المستمدّة من القرآن الكريم هو رسولنا النبي محمدﷺولايسعنا المقام إلا لذكر بعض من مهارات التّنمية البشرية التي اتبعها النبي محمدﷺومنها:

١- مهارات الحوار والاتصال والإبداع في التّعامل

إنَّ أسلوب الحوار هو وسيلة من مهارات الإقناع الذّاتي تستخدم لتمحيص الأفكار والمعلومات السابقة، واختبارها بطريق غير مباشر؛ للتأكّد من صحّتها أو خطئها، لذا فهي لا تعتمد التّلقين المجرّد القائم على الأمر والنهي أو على مجرّد الإلقاء والسّماع المطلقين، فالحوار طريقة تقوم على المناقشة المتبادلة بين طرفين وتتخلّلها أسئلة وإجاباتها.[1] وقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب في العديد من المواقف مع صحابته، فقد كان ﷺ يختار الأسلوب التنموي الذي يناسب المقام، لذا فقد تنوّعت الحوارات النّبوية الشريفة تنوّعًا يتلاءم أيضًا مع الهدف المقصود المراد تحقيقه من الحوار.

ومن نماذج الحوار في السّيرة النّبوية الشّريفة ما جرى من حوار في المسجد الحرام؛ حيث كان الجميع يُفكّر في حلّ والوجل قد ملأ قلوبهم، وإذا بعُتبة ينهض ويقول: يا معشر قريش: ألا أقوم إلى محمد فأكلّمه، وأعرض عليه أمورًا لعلّه يقبل بعضها، فنعطيه أيّها شاء، ويكفّ عنّا؟ فقالوا: بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلّمه.

قال: يابن أخي، إن كنت إنَّما تُريد بما جئت به من هذا الأمر جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفًا، سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رائياً (أي يتراءى للإنسان من الجن) تراه لاتستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطّب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنَّه ربما غلب التابع (أي من يتبع الناس من الجن)على الرجل حتى يداويه من.. :

ورسول الله ﷺ يستمع منه دون أن يقطع عليه كلامه حتى أنهى ما عنده. فقال له رسول الله ﷺ: اقد فرغت يا أبا الوليد ؟

قال: نعم .

قال ﷺ: فاسمع منّي .

(١) الهاشمي، عبد الحميد، ١٩٨١، الرسول العربي المربي، ط١، دار الثقافة للجميع، دمشق.

قال: افعل .

فقال ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، حم * تنزيل من الرحمن الرحيم *كتاب فصلت آياته قرانًا عربيًّا لقوم يعلمون * بشيرًا ونذيرًا فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون * وقالو قلوبنا في أكنّة مما تدعونا إليه ...ثم مضى رسول الله ﷺ يتلو عليه آيات هذه السورة المباركة كردّ على اقتراحاته الجاهلية . فلمّا سمعها عتبة، أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليها يسمع منه .

فلمّا انتهى رسول الله ﷺ الى السجدة منها فسجد. ثم قال قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك .

عاد عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

فلمّا جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟!

قال: ورائي إنِّي قد سمعت قولاً والله ماسمعت مثله قط، والله ماهو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة. يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلو بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه .فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزّه عزّكم، وكنتم أسعد الناس به.

فقالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه.

قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدى لكم [1].

ليس ثم ما يدعو إلى الاستغراب أن يصغي رسول الله ﷺ إلى كلام من يخالفه في العقيدة والمبدأ، بالرغم من تضمّنه الإساءة إليه باتهامه بالجنون، وبالرغم من محاولته الفاشلة في إغرائه بالانسحاب من ساحة الرّسالة. وذلك لأنَّه ﷺ كان يهدف من كلّ ذلك هداية الناس، وإنقاذهم من الضّلالة.

من هنا لم ينزعج رسول الله ﷺ من كلام عتبة ولم ينهره على ما تحدّث به من أقاويل، بل راح يسمع كلامه حتى النّهاية، وعندما عرف منه أنَّه قد أكمل حديثه، قال له: اقد فرغت يا أبا الوليد ؟

ولما أجاب بنعم راح النبي ﷺ يظهر موقفه الرسالي الذي لم تهزّه العواصف العاتية ولم تنل منه كلّ المغريات.

بهذا الأسلوب الرَّائع من الحوار الهادئ تمكّن رسول الله ﷺ من أن يؤثّر في شخصيّة (عتبة) حتى أنَّ أصحابه – حينما عاد إليهم – قال بعضهم: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به [2].

لقد استخدم الرسول ﷺ أكثر من مهارة من مهارات التّنمية البشرية في هذا الموقف وهي أسلوب الحوار والتواصل والإبداع في التعامل لأنَّ من شروط علم التّواصل هو الاستماع والإنصات باهتمام للطرف الآخر واحترام مايقوله الطّرف الآخر حتى ولو اختلف معه والنبي محمد ﷺ كان دائم الاستخدام

(١) السيرة النبوية لابن هشام / ج١ –، ص٢٩٣-٢٩٤.

(٢) طالب خان، معراج الكمال صور من حياة النبي ص، دار الكاتب العربي، ص ٣٠٠-٣٠٣، ط١، ٢٠٠٢، بيروت.

لهذه المهارات حيث كثيرًا ماكان يبدأ حديثه بكلمات تحث الآخرين على الانتباه والتفاعل معه مثلا: ألا أدلّكم ....ألا أُنبّئكم .....ألا أخبركم ....أتدرون ...الخ .

٢- مهارة السّؤال

إن ترك المعلم المتعلم يستخرج الجواب بنفسه، وسيلة نافعة في أعمال الذِّهن وتحريضه على التّفكير والإدلاء بالجوانب، ويكفي أنَّ هذا الأسلوب شحذ الذّهن والحواس ويجعلها تبحث عن الجواب المطلوب، وهذا في حدّ ذاته تقدّم ومكسب يُضاف إلى رصيد المتعلّم [١].

والأمثلة كثيرة التي استخدم فيها الرسول ﷺ هذا الأسلوب منها ما قال: ﷺ (لاتصلح عوام أمّتي إلّا بخواصها قيل: ما خواص أمّتك؟ فقال: خواص أمّتي أربعة: الملوك والعلماء والعباد والتّجّار، قيل كيف ذلك؟ قال: الملوك رعاة الخلق، فإذا كان الرّاعي ذئبًا فمن يرعى الغنم؟ والعلماء أطبّاء الخلق فإذا كان الطبيب مريضًا فمن يداوي المريض؟ والعباد دليل الخلق فإذا كان الدليل ضالاً فمن يهدي السالك؟ والتّجّار أمناء الله في الخلق فإذا كان الأمين خائنًا فمن يعتمد عليه ؟[٢]. وقد استعمل الرسول ﷺهذا الأسلوب أوّل الدّعوة والبعثة عندما جمع أهله وعشيرته وسألهم بعد أن أطعمهم أن قلت لكم وراء هذا الجبل قوم يريدون غزوكم أكنتم تصدقوني قالو نعم، وسؤال آخر من يؤازرني فيكون خليفتي من بعدي. أراد منهم أن ينتبهوا إلى أنَّ المطيع الوحيد هو أمير المؤمنين ﷺ فهو أحق بالخلافة للرسول ﷺ.

٣-مهارة ضرب الأمثال: إنَّ ضرب الأمثال وسيلة جيّدة في تقريب المعاني والأفكار، ويلجأ الفرد لضرب المثل عندما تصعب مسألة ما على الأذهان، فيعمد إلى المثل لتبسيطها وتقريبها للفهم [٣]. ويحتاج الفرد والمربّي لهذه الوسيلة لتقريب المسألة المعقّدة أو المعضلة إلى الأذهان، أو توضح الفكرة الصّعبة . وبأسلوب آخر فإنَّ المربّي قد تواجهه بعض الصّعوبات في إيصال المعلومات إلى ذهن السَّامع، فيحتاج إلى وسيلة أخرى مساعدة تحلّ هذا الإشكال، وتفتح المجال أمام ذهن المتعلّم فيتعلّم المسألة الصّعبة بسهولة ويسر [٤].

(وإن مثل ما بعثني به ربي من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا منها طائفة طيّبة فقبلت الماء فأنبتت العشب والكلا الكبير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنَّما هي قيعات لاتمسك ولاتنبت فذلك مثل من فقه في دين اللهﷻ

---

(١) المعلم الرسول، مصدر سابق، ص٨٠.

(٢) كلمة الرسول الاعظم، مصدر سابق، ص١٢٨.

(٣) المعلم الرسول، مصدر سابق، ص ٧٠

(٤) المصدر نفسه، ص٦٨

وتفقّه فيما بعثني الله عزّ وجلّ به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع ذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أُرْسِلتُ به)[1]، مثلي مثل الغيث مثل النبي صلى الله عليه وآله الوحي والهدى والعلم بالغيث إذا أصاب أرضًا وذلك باستخدام أسلوب ضرب الأمثال؛ ليوضح للناس مسائل مهمّة أرادها صلى الله عليه وآله وهي أنَّ الناس كالأرض منهم من يستفيد من الغيث ومنهم من لايفيده، والناس منهم من يفيدهم العلم باستعماله ومنهم من لايقبله ولا يهتدي به، وهناك عدة مرّات استخدم الرسول صلى الله عليه وآله هذا الأسلوب وأبرزها) ألا إنَّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك). وكذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: ألا أخبركم بأشبهكم بي؟

قالوا: بلى يارسول الله .

قال: أحسنكم خلقًا وألينكم كنفاً، وأبرّكم بقرابته، وأشدّكم حبًّا لإخوانه في دينه، وأصبركم على الحق، وأكظمكم للغيظ، وأحسنكم عفوًا وأشدّكم من نفسه إنصافاً في الرّضا والغضب.

إنَّ كثيراً من المسلمين يتصوّرون أنَّهم قاصرون عن تطبيق الشّريعة السّمحة لذلك ظلّوا يعيشون على حافّة الرّسالة، مكتفين ببعض قضايا الدّين دون غيرها، وهم يظنّون أنَّ النَّبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وحدهم قادرون على تنفيذ بنود الدين وتطبيق مناهجه غير أنَّ هذا التّصوّر مرفوض عند رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ أفصح عن إمكانية التّشبّه به في رساليته إذا ما التزم أي إنسان بصفاته المثلى وسلوكه الأمثل.

صحيح قد لا يتمكّن من التّشبّه برسول الله صلى الله عليه وآله لأنّه حقاً ليس عملاً بسيطاً، إذ يتطلّب من الإنسان أن يتجرّد عن ذاتيّاته وشهواته ورغباته، وأن ينأى عن حبّ الدّنيا وزخرفها، وأن يتوجّه إلى فاطر السموات والأرض يذكره كثيرًا ساعيًا لنيل رضوان الله تبارك وتعالى... ولكن مع ذلك لم يكن هذا الأمر مستحيلاً وإنَّما على قدر أهل العزم تأتي العزائم في التقرّب إلى الله والتّشبّه برسوله، وبتطبيق أحكامه[2].

تأثير المنهج النّبوي في أخلاق الصّحابة

هؤلاء هم الصّحابة تلامذة النّبي الأعظم صلى الله عليه وآله الأوائل الذين انتفعوا بأساليب ومناهج النبي صلى الله عليه وآله في تربية وتهذيب أنفسهم وتهذيبهم، فأثّر ذلك في سلوكهم وتعاملهم مع الناس، فظهر من خلال أخلاقهم العظيمة، فنحن نرى الصحابي الجليل مالك الأشتر وهو يدخل المسجد ليصلّي ركعتين يستغفر فيهما لمن رماه وآذاه في الطريق أو باقي الصحابة كسلمان والمقداد وهم من كبار الصحابة فضلا عن أهل بيته وأولاده وذرّيّته الذين تميّزوا بالأخلاق العظيمة لأنّهم تربية الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله في الأيّام الأخيرة من حياته الشريفة، وبالرغم من مرضه الشديد قال: صلى الله عليه وآله لبلال: يابلال، هلم علي الناس.

فاجتمع الناس، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله متعصّبًا بعمامته، متوكيًا على قوسه حتى صعد المنبر .فحمد الله

(١) كلمة الرسول الاعظم، مصدر سابق، ص٣٦.

(٢) طالب خان، معراج الكمال، مصدر سابق، ص ٢٩٣

وأثنى عليه، ثم قال: يامعاشر أصحابي، أي نبي كنت لكم، ألم أجاهد بين أظهركم، ألم تكسر رباعيتي، ألم يعفر جبيني، ألم تسل الدماء على حر وجهي حتى كنفت لحيتي، ألم أكابد الشّدّة والجهد مع جهال قومي، ألم أرابط حجر المجاعة على بطني؟

قالو: بلى يا رسول الله، لقد كنت لله صابرًا، وعن منكر بلاء الله ناهيًا، فجزاك الله عنّا أفضل الجزاء .

قال ﷺ: وأنتم فجزاكم الله .

ثم قال: إنَّ ربّي عزّ وجلّ حكم وأقسم أن لايجوزه ظلم ظالم، فناشدتكم بالله أي رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة ألا قام فليقتص منه، فالقصاص في دار الدنيا أحب إليّ في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء، فقام إليه رجل من أقصى القوم له سوادة بن قيس، فقال له، فداك أمّي وأبي يا رسول الله، إنّك لما أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء وبيدك القضيب المشوق فرفعت القضيب وأنت تريد الرّاحلة فأصاب بطني، ولا أدري عمدًا أو خطأ.

فقال ﷺ: معاذ الله أن أكون تعمّدت .

ثم قال: يا بلال قم إلى منزل فاطمة فأتني بالقضيب المشوق .

فخرج بلال وهو يُنادي في سكك المدينة: معاشر الناس، من ذا الذي يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة، فهذا الرسول محمد ﷺ يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة.

وطرق بلال الباب على فاطمة عليها السلام وهو يقول: يافاطمة قومي فوالدك يريد القضيب المشوق.

فأقبلت فاطمة عليها السلام وهي تقول: يابلال، مايصنع والدي بالقضيب، وليس هذا يوم القضيب؟

فقال بلال: اما علمت والدك قد صعد المنبر وهو يودع أهل الدين والدنيا، فصاحت فاطمة، وقالت: واغماه لغمك يا أبتاه. من للفقراء والمساكين وابن السبيل يا حبيب الله وحبيب القلوب ؟

ثم ناولت بلال القضيب، فخرج حتى ناوله رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله: أين الشيخ ؟

فقال الشيخ: ها أنا ذا يارسول الله بأبي أنت وأمّي .

فقال: تعال فاقتص منّي حتى ترضى.

فقال الشيخ: فاكشف لي عن بطنك يا رسول الله

فكشف ﷺ عن بطنه

فقال الشيخ: بأبي أنت وأمّي يارسول الله أتاذن لي أن أضع فمي على بطنك.

فأذن له

فقال: أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله ﷺ من النار يوم النار

فقال رسول الله: ياسوادة بن قيس أتعفو أم تقتص ؟

فقال: بل أعفو يارسول الله

فقال ﷺ: اللهم اعف عن سوادة بن قيس كما عفا عن نبيّك محمد[1].

والحق إن كان رسول الله ﷺ قد عانى كل ذلك من أجل بناء كيان أمّته، وتبليغ رسالته ..فهل من الصحيح أن لا نتحمّل نحن المسلمين – مهما عظمت شخصيتنا، ومهما تسامت منزلتنا – بعض المحن والأذى في حياتنا؟

نعم ..لابُدَّ لنا أن نضحي كما ضحّى نبيّنا الأعظم من أجل بناء أمّة رسالية تعمل بأوامر الله عزّ وجلّ وتنتهي عن نواهيه، وتقيم الحق وتدحض الباطل . وحينما قام سوادة بن قيس وطلب القصاص من رسول الله فلم يغضب عليه ولم ينزعج منه .. بل قال له وكله رضا: تعال فاقتص منّي حتى ترضى. وليس ثمة شك أنَّ النبي ﷺ كان متيقنًا أنّ ما صدر منه لم يكن عن تعمد أبدًا[2].

فكما عفا الرسول ﷺ وضحّى وتحمّل من أجل الأمّة وهو القدوة عفا سوادة عن معلمه العظيم قال الصادق عليه السلام: إنَّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السلّم، يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا تقولن صاحب الواحد لصاحب الاثنين: لست على شي حتى ينتهي إلى العاشر، ولا تسقط من هو دونك فيسقطك الذي هو فوقك، فإذا رأيت من هو أسفل منك فارفعه إليك برفق ولا تحملن عليه ما لايطيق فتكسره، فإنّه من كسر مؤمنًا فعليه جبره وكان المقداد في الثامنة وأبو ذر في التاسعة، وسلمان في العاشرة[3].

قال الصادق عليه السلام: كان رجل بالمدينة يدخل مسجد الرسول الأعظم ﷺ، فقال: اللهم..آنس وحشتي، وصل وحدتي، وارزقني جليسًا صالحًا، فإذا هو برجل في أقصى المسجد فسلّم عليه وقال له: من أنت يا أبا عبد الله ؟ .. فقال: أنا أبو ذر، فقال الرجل: الله أكبر، الله أكبر، فقال أبو ذر: ولِمَ تُكبّر يا عبد الله ؟.

فقال: إنّي دخلت المسجد فدعوت الله عزّ وجلّ أن يؤنس وحشتي، وأن يصل وحدتي، وأن يرزقني جليسًا صالحًا، فقال له أبو ذر: أنا أحق بالتكبير منك، إذ كنت ذلك الجليس فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا وأنتم على ترعة يوم القيامة حتى يفرغ الناس من الحساب، قم يا عبد الله فقد نهى السلطان عن مجالستي[4]. هؤلاء هم الصحابة الذين يحشرون بدرجة النبي الأعظم ﷺ وذلك لأنّهم منهم وفضالة طينتهم التي منها خلقوا .

---

(١) ابن بابويه القمي، امالي الصدوق، ص٥٠٦-٥٠٧

(٢) طالب خان، معراج الكمال، مصدر سابق، ص١٧٣-١٧٤.

(٣) الكاظمي، حبيب، جواهر البحار، ص٥٨٩-٥٩٠، ط ١، المجلد الاول، ٢٠١٤، بيروت .

(٤) روضه الكافي، ص٣٠٧ نقلا عن جواهر البحار، مصدر سابق، ٦٠٠.

المصـــادر

القران الكريم

١- البهبهاني، محمد باقر (١٩٩٠) محمد ﷺ علي ﷺ فاطمة ﷺ، ج١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٢- الحسن، عبد الرحمن محمد، التنمية المستدامة ومتطلبات تحقيقها بحث مقدم لملتقى استراتيجية الحكومة في القضاء على البطالة وتحيق التنمية المستدافة جامعة المسلية، الخرطوم، ص٩، ٢٠١١.

٣- الخرسان، محمد صادق، دور الرسول ص في تأصيل التنمية البشرية التراحم انموذجا، العتبة الكاظمية قسم الشؤون الفكرية ص٢٢.

٤- الرسول المعلم (بلا): اصدارات موقع نصرة رسول الله ص، النسخة الالكترونية .

٥- الرفيعي، عبد الرحمن ود. صلاح مراد (١٩٨٩):مقدمة في التربية وعلم النفس، الرباط، ط٢.

٦- السبحاني، جعفر (٢٠١١): سيد المرسلين، ج١، دار جواد الائمة، بيروت .

٧- الشيرازي، حسن، كلمة الرسول الاعظم (٢٠٠٦)، ط١، موسوعة الكلمة، بيروت .

٨- الطباطبائي، محمد حسين(بلا) الميزان في تفسير القران، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ج١٩-٢٠، بيروت.

٩- الكاظمي، حبيب (٢٠١٤): جواهر البحار، ط ١، المجلد الاول، بيروت .

١٠- الكليني، محمد يعقوب (٢٠٠٥): اصول الكافي، ج١/ ٢، دار المرتضى، بيروت.

١١- النراقي، مهدي (٢٠٠٦): جامع السعادات، ط١، مؤسسة الاعلمي، بيروت.

١٢- الهاشمي، عبد الحميد (١٩٨١): الرسول العربي المربي، ط١، دار الثقافة للجميع، دمشق.

١٣- توق، محي الدين وعبد الرحمن عدس(١٩٨٤): أساسيات علم النفس التربوي، انكلترا، مؤسسة جون وايلي وأولاده، ط٦، ١٩٨٤.

١٤- حجازي، محمد احمد (٢٠١١): علم الاخلاق والتربية، دار الجوادين، ط١.

١٥- طالب خان (٢٠٠٢): معراج الكمال صور من حياة النبي ص، دار الكاتب العربي، ط١، بيروت.

١٦- طاهر، قادري محمد، التنمية المستدامة في البلدان العربية بين النظرية والتطبيق، ٢٠١٣ مكتبة حسن العصرية، بيروت.

١٧- عارف، ناصر، مفهوم التنمية، كلية العلوم السياسية، جامعة القاهرة .

١٨- عبد السلام، مصطفى عبد السلام، تطوير مناهج التعليم لتلبية متطلبات التنمية ومواجهة تحديات العولمة، بحث مقدم الى مؤتمر التعليم النوعي ودوره في التنمية البشرية في عصر العولمة، كلية التربية، جامعة المنصورة القاهرة، ٢٠٠٦.

١٩- عبود، سالم محمد، التنمية المستدامة والتكاليف البيئية، دار الدكتور للعلوم الادارية والاقتصادية، ٢٠١٤، بغداد.

٢٠- محمد، السند (٢٠١٣): النبي ص قمة للانسانية، مطبعة النور .

٢١- مطهري، مرتضى (بلا): فلسفة الاخلاق في الاسلام، ط١، مؤسسة ام القرى، بيروت،

٢٢- مهدي خليل جعفر(بلا): الموسوعة الكبرى لاهل البيت ع محمد ص، مركز الشرق الاوسط الثقافي، بيروت.

٢٣- موقع الامم المتحدة، تقارير برنامج الامم المتحدة الانمائي، تقرير التنمية البشرية.

٢٤- الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، التنمية البشرية.

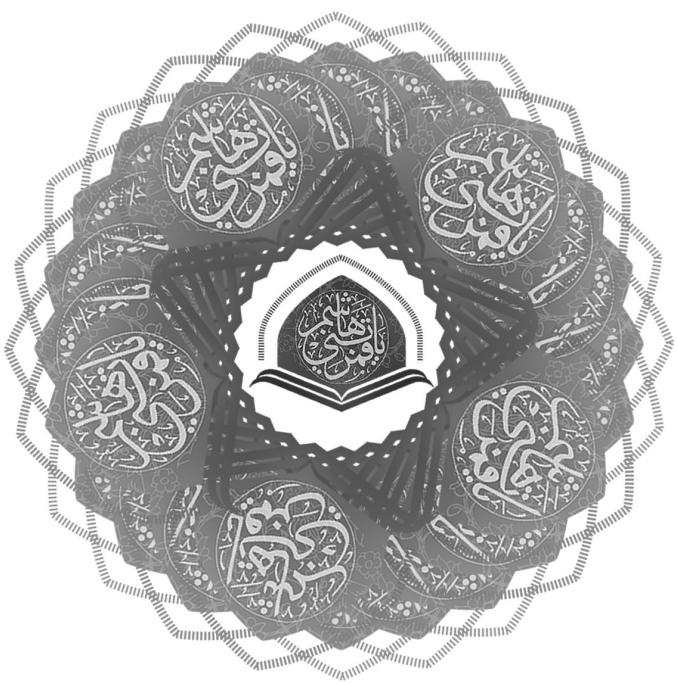

الإمام الكاظم عليه السلام
الدَّليـــل إلى الحقّ

السيد أحمد الموسوي

إنَّ حياة الإمام الكاظم عليه السلام بجميع أبعادها تتميّز بالصلابة في الحقّ، والصمود أمام الأحداث، وبالسلوك الذي لم يؤثّر فيه أيّ انحراف أو التواء، وإنّما كان عليه السلام متّسماً بالتوازن، ومنسجماً مع سيرة جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وهديه واتجّاهه والتزامه بحرفية الإسلام، مضافاً إلى دوره في بيان الأحكام الشرعية وتفسيره للقرآن الكريم.

وبعد ذلك فإنّا نتساءل المسلمين ونقول:

أهذا العبد الصالح، والورع الزاهد التقي، الكاظم الحليم، السخيّ الجواد الكريم، صاحب الكرامات وخوارق العادات، الذي يبدي الشكر لله، ويكثر من الحمد له عزّ وجلّ على تفرغه لعبادته، وانقطاعه لطاعته، والذي كان أعلم وأورع أهل زمانه باعتراف الجميع، حريّ وحقيق وجدير أن يكون قائما مقام جدّه صلى الله عليه وآله في أمّته، وإمام المسلمين في عهده، وزمانه..

أم الفسقة الفجرة، وقاتلو النفوس المحرّمة، وسفّاكو الدماء البريئة.. كالسفاح، وأخيه المنصور الدوانيقي، وأولاده، وأحفاده الظالمين؟!.

أهذا الذي أجمع المترجمون بأنّه عليه السلام كان من أعظم الناس طاعة، وأكثرهم عبادة لله، فكانت له عليه السلام ثفنات كثفنات البعير من كثرة السجود، كما كانت لجدّه الإمام زين العابدين عليه السلام من قبل حتّى لقّب (بذي الثفنات)، حريّ وجدير أن يكون من خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله الاثني عشر الذين أخبر بهم بقوله صلى الله عليه وآله: (يكون بعدي اثنا عشر خليفة)[1]، أم الذين كانوا أصحاب ألف ليلة وليلة، وسهروا الليالي باللهو واللعب، والشراب مع المغنّيات والقينات الراقصات؟

ما لكم كيف تحكمون؟!!.

ما أظنّ أن يكون هناك من آمن بالله، وبرسالة محمد صلى الله عليه وآله، ويكون معتقداً ومذعناً بيوم القيامة والبعث والنشور، والحشر والحساب والكتاب، والجزاء والثواب والعقاب، ويكون عالماً وعارفاً بتاريخ حياة أئمّة الشيعة من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وعترته ثم يقدم غيرهم عليهم، وقد أوصى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: (مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق)[2].

(١) مسند أحمد، مسند البصريين: الحديث ١٩٩٤٤، حسب ترقيم العالمية.

(٢) كنز العمال: ج٦ ص٢١٦، والمستدرك على الصحيحين: ج٢ ص٣٤٣، وج٣ ص١٥٠.

وقال ﷺ: (إنّ مثل أهل بيتي فيكم كمثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر له)[1].

وقال ﷺ: (ومثلكم مثل النجوم كلّما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة)[2].

وقال علي عليه السلام: (إنّما مثلنا في هذه الأمة كسفينة نوح وكباب حطة)[3].

وقال ﷺ: (يا علي أنا مدينة الحكمة وأنت بابها...)[4].

وقال ﷺ: (إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، إن أخذتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً...) كما في صحيح الترمذي[5]، حيث روى عن جابر بن عبد الله قال: (رأيت رسول الله ﷺ في حجه يوم عرفة وهو على ناقته القصوى يخطب فسمعته يقول: يا أيّها الناس إنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي).

قال: وفي الباب عن أبي ذر، وأبي سعيد، وزيد بن أرقم، وحذيفة بن أسيد، وفيه أيضاً: عن أبي سعيد، وزيد بن أرقم، قالا:

قال رسول الله ﷺ: (إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما).

فلا يمكن أن يكون هناك مسلم منصف، ومتحلّ بالصفات الحميدة فيقول: إنّ خلفاء الرسول ﷺ الاثني عشر الذين أخبر ﷺ بهم بقوله: (يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش)[6]، ليسوا هم من أهل بيته وعترته الذين تقول الشيعة الإمامية الاثنا عشرية بإمامتهم للمسلمين وخلافتهم لرسول الله ﷺ، فيعتقد أنّ خلفاءه ﷺ غيرهم من الذين كانوا دونهم في جميع المستويات اللازمة للإمامة والخلافة.

لا والله لا يتفوّه بهذا إلاّ الناكثون والقاسطون والمارقون، وأشياعهم وأتباعهم، والذين لا يعرفون الله ورسوله ﷺ فلا يدينون الإسلام عن علم ومعرفة، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، وهم همج رعاء، أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح.

هل يمكن أن يكون هناك من عرف الله سبحانه وتعالى أنّه بديع السماوات والأرض، وخالق كلّ شيء، وموجد كلّ موجد، ولم يخلق شيئاً عبثاً، ولم يوجد شيئاً لغوًا، ولم يوجد شيئاً لعباً وبلا حكمة ومصلحة، وهو سبحانه وتعالى منزّه ومبرّء من كلّ عيب ونقص، وهو العالم بكلّ شيء ظاهري

---

(١) راجع كنز العمال: ج٢ ص٤٣٤ ح٤٤٢٩، ومجمع الزوائد: ج٩ ص١٦٨، والمرقاة في شرح المشكاة: ج١٠ ص٥٥٢ ح٦١٨٣.

(٢) فرائد السمطين: ج٢ ص٣٤٢ ط بيروت.

(٣) الدر المنثور للسيوطي: ج١ ص١٧٤، مصنف ابن أبي شيبة: ج٧ ص٥٠٣ ح٥٢.

(٤) تاريخ بغداد: ج١١ ص٢٠٤ رقم ٥٩٠٨، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق: ج٢ ص٤٧٦ ح١٠٠٣.

(٥) صحيح الترمذي: ج٢ ص٣٠٨.

(٦) صحيح مسلم: ج٤ ص١٠١ ح١٠، مسند أحمد: ج٦ ص٩٣ ح٢٠٣١٩.

وباطني، فإن الباطن عنده تعالى كالظّاهر، والظّاهر كالباطن، وهو علاّم الغيوب وهو السّميع البصير، والخبير بالنّيات، وبما في القلوب والصدور والضّمائر، وهو العليم الحكيم..

وعرف الرسول صلى الله عليه وآله بأنّه أشرف البريّة وأفضل الخليقة، ومعصوم عن كلّ رجس، وخطأ واشتباه وسهو وزلّة، فأرسله الله ليدعو الناس إلى كلمة التوحيد: (قولوا: لا إله إلاّ الله تفلحوا) وتوحيد الكلمة: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ...**﴾[1] وبعثه في الأميّن الذين لا يعلمون القراءة والكتابة، ليتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم... ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾[3].

وقد سأل إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام ربّهما أن يبعث في ذرّيتهما رسولاً منهم يتلو عليهم آياته: ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[4].

فمن عرف الرسول صلى الله عليه وآله الذي بعثه الله في الأميّين ليتلو عليهم آياته ويزكيهم من الرذالة والدناءة وخصال السوء ومفاسد الأخلاق بصالحات الأعمال وطيبات الأخلاق والعادات الحسنة والآداب الحميدة، ويعلّمهم الكتاب بما فيه من معارف دين الله ـ الإسلام ـ ومعالمه وأحكامه، والحكمة، وهي المعارف القرآنية، والمعالم الربّانية، والأحكام الدينيّة، والآداب الحميدة، والأخلاق الحسنة الإسلاميّة، واعتقد وأذعن وصدّق أنّ الرسول صلى الله عليه وآله عمل بما بعثه الله له، وبما جاء به..

فلا يظنّ بهذا الشخص أن يقول إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله الذي بعثه الله بنظام الإسلام لم يوص ومات بلا وصيّة، ومما جاء به في نظامه الإسلامي هو الوصيّة وهي من الحكمة التي هو صلى الله عليه وآله قد علّمها المؤمنين.

قال تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ ۞ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[5].

وعن عبد الله بن عمر انّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (ما حقّ امرئ مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين

---

(١) سورة آل عمران: ٦٤.

(٢) سورة الجمعة: ٢.

(٣) سورة آل عمران: ١٦٤.

(٤) سورة البقرة: ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٥) سورة البقرة: ١٨٠-١٨١.

إلاّ ووصيّته مكتوبة عنده)[1].

فهل يعقل أن يأتي هو ﷺ بأمر وحكم من الله عزّ وجلّ ويبلغه المسلمين ويأمرهم به، ولكنّه ﷺ لا يعمل به؟!.

حاشاه ﷺ بل هو ﷺ كان أوّل مؤمن وأول عامل بما يأمره الله بتبليغه، فيعمل به أوّلاً، ويبلّغه ويأمرهم به ثانياً.

وعلى هذا فلا مرية أنّ رسول الله ﷺ قد أوصّى بمن بعده، وجعل لنفسه وصيّاً، نعم إنّه قد أوصى بكتاب الله، وبالإسلام، وبأهل بيته وعترته.

هذا مضافاً إلى أنّ كتاب الله، والإسلام الذي رضي الله به للمسلمين ديناً، وسنّة النبيّ ﷺ والعقل السليم، وعرف الناس، وأدبهم ودينهم جمعاء، يقضي بأنّ وصيّه ﷺ يلزم أن يكون من أهل بيته وعترته الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس، دون غيرهم لما قال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[2].

فإنَّ هذه الآية وآية المباهلة: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[3]، تدلان على عصمتهم، وكذلك حديث الثقلين، إذ جعلهم ﷺ عدل كتاب الله، وقال إنّهم مع كتاب الله وكتاب الله معهم ولن يفارقا ولن يفترقا ولن يتفرّقا حتّى يردا رسول الله ﷺ الحوض يوم البعث والقيامة..

فمالكم كيف تحكمون؟!.

مذهب الحق

نعم إنّ مذهب الحق هو مذهب الشيعة الاثني عشرية، فمن يك ذا عقل سليم ودراية وتتبع، ويتصف بالاستدلال المنطقي، الخالي عن التعصب الأعمى والأصمّ، وكان خبيراً بكتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ إذا راجع في أمر الخلافة والإمامة إلى كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ يحصل له اليقين بأنّه تعالى أمر بكون وصيّ الرسول ﷺ وخليفته الذي يقوم مقامه يلزم ويجب أن يكون من أهل بيته وعترته الطاهرين المعصومين مثله، وهذه هي سنّة الله التي لا تُغيّر ولا تُبدّل: ﴿**سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً**﴾[4].

---

(١) صحيح البخاري: ج٤ ص٢٠. ط بيروت.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٣) سورة آل عمران: ٦١.

(٤) سورة الأحزاب: ٦٢.

وأمّا سنّة رسول الله ﷺ التي تدلّ على أنّ وصيّه ﷺ لا يكون إلاّ من أهل بيته وعترته فلا تعدّ ولا تحصى وقد فصلنا البحث عن ذلك في (المدخل)، ونشير هنا إلى بعض البحث تتميماً للفائدة.

السنة ودلالتها على لزوم كون الخلافة في أهل البيت عليهم السلام

١ ـ حديث الثّقلين:

حيث قال ﷺ: (ألا يا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وإنّي تارك فيكم ثقلين، أوّلهما كتاب الله، فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به.. وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي) رواه في صحيح مسلم[١]، ومسند أحمد[٢] وسنن البيهقي[٣] وغيرهم.

وفي صحيح الترمذي[٤]، قال ﷺ: (إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما).

وحديث الثقلين لا يرتاب فيه إلاّ المبطلون الضالّون الناكثون القاسطون المارقون.

٢ ـ مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح:

الحاكم في "المستدرك"[٥] عن حنش الكناني، قال: (سمعت أبا ذر يقول وهو أخذ باب الكعبة: أيّها الناس من عرفني فأنا من عرفتم، ومن أنكرني فأنا أبوذر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق).

والمتقي الهندي[٦] أيضاً ذكره وقال: أخرجه ابن جرير عن أبي ذر. وذكره الهيثمي أيضاً[٧] وقال: رواه البزّاز، والطبراني في الثلاثة ـ الكبير، والصغير، والأوسط ـ.

ومن طلب الأكثر فليراجع "فضائل الخمسة"[٨] تأليف العلاّمة المتتبّع السيد مرتضى الفيروز آبادي النجفي دام ظلّه.

---

(١) صحيح مسلم، فضائل الصحابة، فضائل علي عليه السلام.
(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج٤ ص٣٦٦.
(٣) سنن البيهقي: ج٢ ص١٤٨.
(٤) وسنن الترمذي: ج٢ ص٣٠٨.
(٥) المستدرك على الصحيحين: ج٢ ص٣٤٣.
(٦) كنز العمال: ج٦ ص٢١٦.
(٧) مجمع الزوائد: ج٩ ص١٦٨.
(٨) فضائل الخمسة: ج٢ ص٥٧.

٣ ـ أهل بيتي أمان لأمّتي:

الحاكم[١] بسنده عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمّتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وذكره ابن حجر أيضاً[٢] وصحّحه.

وأيضاً في المستدرك[٣] بسنده عن محمد بن المنكدر، عن أبيه عن النبي ﷺ: (...أنه ﷺ رفع رأسه إلى السماء فقال: النجوم أمان لأهل السماء، فإن طمست النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون... وأهل بيتي أمان لأمتي، فإذا ذهب أهل بيتي أتى أمّتي ما يوعدون).

وفي كنز العمّال وفي الصواعق المحرقة[٤]: (النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمّتي). قالا: أخرجه أبو يعلى.

٤ ـ علي عليه السلام وصيّ النبيّ ﷺ:

ابن المغازلي[٥] بسنده عن عبد الله بن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: (لكلّ نبيّ وصيّ ووارث، وإنّ وصيّي ووارثي علي بن أبي طالب).

وهذا رواه الخطيب الخوارزمي[٦] ومحبّ الدين الطبري[٧]، وأخرجه الحافظ أبو القاسم البغوي في "معجم الصحابة" ورواه الكنجي الشافعي أيضاً[٨].

والهيثمي في مجمع الزوائد[٩] قال:

(وعن سلمان، قال: قلت، يا رسول الله إن لكلّ نبيّ وصيّاً فمن وصيّك؟. فسكت ﷺ عنّي، فلمّا كان بعد رآني فقال: يا سلمان، فأسرعت إليه، قلت لبّيك، قال: تعلم من وصيّ موسى عليه السلام؟ قلت: نعم يوشع بن نون، قال ﷺ: لم؟ قلت: لأنه كان أعلمهم يومئذ، قال ﷺ: فإنّ وصيّي وموضع سرّي وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني عليّ بن أبي طالب).

(وقال) رواه الطبراني وابن حجر العسقلاني في "تهذيب التهذيب"[١٠] قال: عن أنس عن سلمان،

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٩٤.
(٢) الصواعق المحرقة: ص١٤٠.
(٣) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص٤٥٨.
(٤) كنز العمال: ج٦ ص١١٦، والصواعق المحرقة: ص١١١.
(٥) مناقب علي بن أبي طالب t: ص٢٠٠ برقم ٢٣٨، ط١.
(٦) المناقب: ص٥٠.
(٧) الذخائر: ص٧١.
(٨) كفاية الطالب: ص٢٦٠.
(٩) مجمع الزوائد: ج٩ ص١١٣.
(١٠) تهذيب التهذيب: ج٣ ص١٠٦.

قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: (هذا وصيّي وموضع سرّي وخير من أترك بعدي).

وفي كنز العمال[1] ولفظه عنه ﷺ: (إنّ وصيّي وموضع سرّي وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني عليّ بن أبي طالب) وقال: أخرجه الطبراني عن أبي سعيد عن سلمان.

والمحبّ الطبري في الرياض النضرة[2] قال: عن أنس، قال: (قلنا لسلمان: سل النبيّ ﷺ: من وصيّه؟ فقال سلمان: يا رسول الله من وصيّك؟ قال ﷺ: يا سلمان من كان وصيّ موسى؟ قال: يوشع بن نون، قال ﷺ: فإنّ وصيّي ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي عليّ بن أبي طالب) قال: خرّجه في المناقب، يعني أحمد بن حنبل.

وفي (ترجمة الإمام علي بن أبي طالب) من تاريخ دمشق لابن عساكر[3] قال: أخبرنا أبو عبد الله الفراوي ـ إلى قوله ـ: عن أبي ربيعة الأيادي، عن ابن بريدة، عن أبيه: إنّ النبي ﷺ قال: (إنّ لكلّ نبي وصيّاً ووارثاً، وإنّ عليّاً وصيّي ووارثي).

ورواه ثانياً بطريق آخر.

والهيثمي في مجمع الزوائد[4] قال: وعن عليّ بن علي الهلالي عن أبيه، قال: (دخلت على رسول الله ﷺ في شكاته التي قبض فيها، فإذا فاطمة عليها السلام عند رأسه، قال: فبكت حتى ارتفع صوتها، فرفع رسول الله ﷺ طرفه إليها فقال: حبيبتي فاطمة ما الذي يبكيك؟ فقالت: أخشى الضيعة بعدك، فقال ﷺ: يا حبيبتي أما علمت أنّ الله عزّ وجلّ اطّلع على الأرض اطّلاعة فاختار منها أباك فبعثه برسالته، ثمّ اطلع إلى الأرض اطّلاعة فاختار منها بعلك وأوحى إلي أن أنكحك إيّاه؟، يا فاطمة ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم يعط أحداً قبلنا ولا يعطي أحداً بعدنا، أنا خاتم النبيّين، وأكرم النبيّين على الله، وأحبّ المخلوقين إلى الله عزّ وجلّ وأنا أبوك، ووصيّي خير الأوصياء وأحبّهم إلى الله وهو بعلك... ـ إلى قوله ﷺ: ـ ومنّا سبطا هذه الأمّة وهما ابناك الحسن، والحسين وهما سيّدا شباب أهل الجنّة...) الخ، والخبر طويل.

ثم قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير، والأوسط[5].

وذكره المحبّ الطبري أيضاً في الذخائر[6] وقال: أخرجه الحافظ أبو العلاء الهمداني.

وذكره المتقي أيضاً في كنز العمال[7].

---

(١) كنز العمال: ج٦ ص١٤٥.

(٢) الرياض النضرة: ج٢ ص١٧٨.

(٣) تاريخ دمشق: ج٣ ص٥ ط بيروت برقم ١٠٢١ و ١٠٢٢.

(٤) مجمع الزوائد: ج٩ ص١٦٥.

(٥) راجع فضائل الخمسة: ج٢ ص٢٩.

(٦) الذخائر: ص١٣٥.

(٧) كنز العمال: ج٦ ص١٥٣.

وفيه أيضا قال[1] عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا بني عبد المطلب إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيّكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، قلت: يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال صلى الله عليه وآله: هذا أخي ووصيّي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا). قال: أخرجه ابن جرير.

وفيه أيضاً[2] قال: عن عليّ عليه السلام: (لّما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[3]، دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا علي... فاصنع لي صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة، واجعل لنا عسّا من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطّلب حتى أكلّمهم وأبلّغ ما أمرت به، إلى أن قال عليه السلام: ثم تكلّم النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا بني عبد المطلب إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيّكم يوازرني على أمري هذا؟ فقلت: أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، فقال صلى الله عليه وآله: هذا أخي ووصيّي وخليفتي...) الخ.

وقال: أخرجه ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي في الدلائل، والسيوطي في الدرّ المنثور[4]، والفخر الرازي في التفسير الكبير[5]، والشبلنجي في نور الأبصار[6]، وهذا لفظ الأخير.

٥: آية ﴿إنما وليكم الله ورسوله ...﴾

عن أبي ذر الغفاري قال: (صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً من الأيام الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يديه إلى السماء وقال: اللهم أشهد أنّي سألت في مسجد نبيّك محمد صلى الله عليه وآله فلم يعطني أحد شيئاً.

وكان علي عليه السلام في الصلاة راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى وفيها خاتم، فأقبل السائل، فأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمرأى النبيّ صلى الله عليه وآله وهو في المسجد، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله طرفه إلى السماء وقال: اللهم إنّ أخي موسى سألك فقال: ﴿**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۞ وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾[7] فأنزلت

---

(١) كنز العمال: ج٦ ص٣٩٢.
(٢) كنز العمال: ج٦ ص٣٩٧.
(٣) سورة الشعراء: ٢١٤.
(٤) الدر المنثور: ج٤ ص٢٩٥.
(٥) التفسير الكبير: ج١٢ ص٢٦.
(٦) نور الأبصار: ص٧٠.
(٧) سورة طه: ٢٥-٣٢.

عليه قرآناً: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾[1]، اللهم وإنّي محمد نبيك وصفّيك، اللهم فاشرح لي صدري ويسّر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي، عليا أشدد به أزري، قال أبوذر رضي الله عنه فما استتمّ دعاؤه حتّى نزل جبرئيل عليه السلام من عند الله عزّ وجلّ وقال: يا محمد اقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[2].

٦: علي عليه السلام ولي كل مؤمن بعد النبي صلى الله عليه وآله

الترمذي في صحيحه[3] بسنده عن عمران بن حصين قال: (بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جيشاً واستعمل عليهم علي بن أبي طالب عليه السلام، فمضى في السريّة فأصاب جارية فأنكروا عليه، وتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إذا لقينا رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرناه بما صنع عليّ عليه السلام، وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدؤوا برسول الله صلى الله عليه وآله فسلّموا عليه ثمّ انصرفوا إلى رحالهم، فلمّا قدمت السرية سلّموا على النبيّ صلى الله عليه وآله فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله ألم تر إلى عليّ بن أبي طالب صنع كذا وكذا؟

فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قام الثاني فقال مثل مقالته فأعرض عنه، ثمّ قام الثالث فقال مثل مقالته فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله والغضب يعرف في وجهه، فقال: ما تريدون من عليّ؟ ما تريدون من عليّ؟ إنّ عليّاً مني وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي).

وهذا رواه أحمد بن حنبل أيضاً في مسنده[4] والحاكم في المستدرك[5] وأبو داود الطيالسي في مسنده[6] وأبو نعيم في حلية الأولياء[7] وغيرهم.

والترمذي في سننه[8]، بسنده عن حبشي بن جنادة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (عليّ منّي وأنا من علي، ولا يؤدّي عني إلاّ أنا أو علي). ورواه أحمد أيضاً في المسند بخمسة طرق[9] والنسائي أيضاً في الخصائص بطريقين[10].

وأحمد بن حنبل في المسند[11] بسنده عن بريدة ـ الأسلمي ـ قال: (بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بعثين إلى اليمن على أحدهما عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعلى الآخر خالد بن الوليد، فقال صلى الله عليه وآله: إذا التقيتم فعليّ على

---

(١) سورة القصص: ٣٥.
(٢) سورة المائدة: ٥٥.
(٣) سنن الترمذي: ج٢ ص٢٩٧.
(٤) مسند أحمد: ج٤ ص٤٣٧.
(٥) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١١٠.
(٦) مسند أبي داود: ج٣ ص١١١.
(٧) حلية الأولياء: ج٦ ص٢٩٤.
(٨) سنن الترمذي: ج٢ ص٢٩٩.
(٩) مسند أحمد بن حنبل: ج٤ ص١٦٤ و ١٦٥.
(١٠) الخصائص: ص ١٩-٢٠.
(١١) مسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص٣٥٦.

الناس... فلقينا بني زيد من أهل اليمن فاقتتلنا فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتلة، وسبينا الذرية، فاصطفى عليّ عليه السلام امرأة من السبي لنفسه، قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره بذلك، فلمّا أتيت النبيّ صلى الله عليه وآله دفعت الكتاب إليه فقرأ عليه، فرأيت الغضب في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله هذا مكان العائذ، بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه ففعلت ما أرسلت به، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقع في عليّ فإنه منّي وأنا منه، وهو وليّكم بعدي).

ورواه النسائي أيضاً في خصائصه[1] باختلاف يسير في اللفظ.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد[2] وقال: رواه أحمد، والبزاز، وفي آخر[3] قال ـ بريد: (فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله مغضباً فقال: ما بال أقوم ينتقصون عليّاً، من تنقّص علياً فقد تنقّصني، ومن فارق علياً فقد فارقني، إنّ علياً مني وأنا منه، خلق من طينتي وخلقت من طينة إبراهيم.. يا بريدة أما علمت أنّ لعليّ أكثر من الجارية التي أخذ؟ وأنه وليّكم بعدي...) الحديث.

وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وذكره المتّقي الهندي أيضاً في كنز العمال[4] وقال: أخرجه ابن أبي شيبة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه.

والطبري في تاريخه[5] بسنده عن أبي رافع، عن أبيه، عن جدّه، قال: (لما قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام أصحاب الألوية ـ في أحد ـ أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة من قريش فقال لعليّ عليه السلام: أحمل عليهم، فحمل عليهم ففرّق جمعهم وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي، ثم أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة من مشركي قريش فقال لعليّ عليه السلام: احمل عليهم، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم وقتل شيبة ابن مالك أحد بني عامر بن لؤي، فقال جبرئيل: يا رسول الله إنّ هذه المواساة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّه منّي وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما، فسمعوا صوتاً: "لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلا عليّ".

لا ريب لأولي الألباب

فلا يرتاب أولو الألباب وأهل النهى والحجى وذوو العقول السليمة أنّ وصيّ النبيّ صلى الله عليه وآله وخليفته ومن قام مقامه شرعاً وعرفاً وعقلاً كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام لا غيره، لأنّه عليه السلام في آية المباهلة[6] بمنزلة نفس النبيّ صلى الله عليه وآله.

---

(١) الخصائص: ص٢٣.
(٢) مجمع الزوائد: ج٩ ص١٦٧.
(٣) مجمع الزوائد: ج٩ ص١٢٨.
(٤) كنز العمال: ج٦ ص١٥٤.
(٥) تاريخ الطبري: ج٢ ص١٩٧.
(٦) سورة آل عمران: ٦١.

فإذا ارتحل النبيّ إلى الملكوت الأعلى، فالعقل والشرع والعرف كلّهم يحكمون أنّ من يكون بمنزلة نفسه وبرتبته ومن له مراتبه ومنازله إلاّ النبوة، هو خليفته وقائم مقامه وإن لم يكن النبيّ صلى الله عليه وآله ناصّاً عليه، فكيف إذا كان صلى الله عليه وآله قد نصّ عليه غير مرة كما علمتم.

ألم يكن قوله صلى الله عليه وآله في جواب سلمان رضي الله عنه يوم سأله عن وصيّه: "فإنّ وصيّي وموضع سري وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني عليّ بن أبي طالب" نصّاً جلّياً على أن علياً عليه السلام كان وصيّه صلى الله عليه وآله؟.

ألم يكن قوله صلى الله عليه وآله لبضعته فاطمة عليها السلام: "يا حبيبتي أما علمت أنّ الله عزوجل اطّلع على الأرض اطّلاعة فاختار منها أباك فبعثه برسالته، ثم اطّلع إلى الأرض فاختار منها بعلك... أنا خاتم النبيّين وأكرم النبيّين على الله... وأنا أبوك، ووصيّي خير الأوصياء وأحبّهم إلى الله وهو بعلك" نصّاً صريحاً واضحاً على أنّ وصيّه صلى الله عليه وآله عليّ عليه السلام؟.

ألم يكن أوصياء الأنبياء خلفاءهم وقائمي مقامهم؟.

فما الدليل على نسخ هذه القاعدة في وصايا خاتم الأنبياء ووصيّه عليّ بن أبي طالب، فيقال إنّه كان وصيّه ولكن لم يكن خليفته وقائم مقامه بلا فصل؟!!.

النص الصريح على خلافة علي عليه السلام بلا فصل

إنّ قول النبيّ صلى الله عليه وآله: (عليّ منّي وأنا منه وهو وليّكم بعدي)[1]، لا ينكر صراحته في النصّ الصريح على خلافة عليّ عليه السلام له صلى الله عليه وآله بلا فصل إلاّ من لا معرفة له بالعربيّة، وبالأحاديث النبويّة، وبحقيقة الإسلام، أو يكون من النواصب والخوارج ومن أعداء عليّ عليه السلام ومبغضيه، وإلاّ فإنَّ الأمر أبين من النار على المنار، وأظهر من الشمس في رابعة النهار أنّ عليّاً عليه السلام كان منصوصاً بخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله.

والدّليل السّاطع والبرهان القاطع على ذلك من كتاب الله الحكيم: آية التطهير[2]، وآية المباهلة[3]، وآية الولاية: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۞ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[4]، وآية التبليغ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[5] وآية إكمال الدين وإتمام النعمة: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ ديناً**﴾[6].

---

(١) سنن الترمذي: ج٥ ص٥٩٠ ح٣٧١٢، مسند أحمد: ج٥ ص٦٠٦ ح١٩٤٢٦. مسند أبي داود الطيالسي: ص١١١ ح٨٢٩، الرياض النضرة: ج٣ ص١١٥. كنز العمال: ج١١ ص٥٩٩ ح ٣٢٨٨٣ وج١٣ ح٣٦٤٤٤.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٣) سورة آل عمران: ٦١.

(٤) سورة المائدة: ٥٥ ـ ٥٦.

(٥) سورة المائدة: ٦٧.

(٦) سورة المائدة: ٣.

ومن السنّة ما لا يحصى، ومنها:

حديث المنزلة، وحديث اجتماع عشيرة رسول الله صلى الله عليه وآله الأقربين في داره وإنذاره صلى الله عليه وآله إيّاهم وقوله صلى الله عليه وآله لهم: (من يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووليّكم من بعدي فقال عليّ عليه السلام: أنا أبايعك، فقال صلى الله عليه وآله وهو آخذ بيد عليّ عليه السلام: هذا أخي ووزيري وخليفتي ووارثي ووليّكم من بعدي)[1].

ويكفي قوله صلى الله عليه وآله: "علي وليّكم من بعدي" إثباتاً لما قلناه فإنّه من الأدلة القويّة والبراهين الساطعة على خلافة عليّ عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل، ولاشكّ في ذلك سنداً ودلالة.

وأما السّند فقد رواه جمع من أعاظم صحابة النبي صلى الله عليه وآله كعليّ عليه السلام وعمران بن حصين، وبريدة الأسلمي، ووهب بن حمزة، وابن عبّاس، وقد خرّجه جمع من أئمّة الحديث كالتّرمذي، وأحمد بن حنبل، والنسائي، وأبي داود الطيالسي، وأبي نعيم الأصفهاني، والخطيب البغدادي، وابن أبي شيبة، وابن جرير، والطبراني، والبزّاز وابن مردويه وأمثالهم.

وقد ذكر المحبّ الطبري[2] في الرياض النضرة[3] جملة من الأحاديث التي تمسّك بها الشيعة لخلافة عليّ عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل... وقال: ومنها وهو أقواها سنداً ومتناً حديث عمران بن حصين: "إنَّ علياً منّي وأنا منه وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي".

وحديث بريدة: "لا تقع في عليّ فإنّه منّي وأنا منه وهو وليّكم بعدي".

وأمّا دلالة الحديث على خلافة عليّ عليه السلام بلا فصل فظاهرة بيّنة لا مرية فيها للعارفين ببلاغة كلام العرب، فإنّ للفظ (الوليّ) معاني متعددة كالمحبّ، والصديق، والناصر، وابن العمّ، والجار، والحليف، وغير ذلك، ومن أظهر معانيه وأوضحها وأشهرها هو مالك الأمر، فكلّ من ملك أمر غيره بحيث كان له التصرّف في أموره وشؤونه فهو وليّه، فالسلطان وليّ أمر المملكة والرّعيّة، فله التصرّف في أمور المملكة وشؤون الرّعية لإيجاد النظام والانتظام، والأب أو الجدّ وليّ أمر الصبيّ والمجنون والسّفيه، والوارث وليّ إرث الميّت ودم المقتول وديته، وقد جاء الولي بمعنى الأولى بالتصرف.

ويؤيد هذا المعنى في المقام ما ورد في الباب قوله صلى الله عليه وآله: "فهو أولى الناس بكم بعدي".

ومهما كان فإنّ (الوليّ) في المقام بقرينة "من بعدي" صريح في معنى مالك الأمر، أو الأولى بالتصرف، إذ من المعلوم المبرهن أن المعتق والمعتق، والجار، والحليف، وما أشبه ذلك من معاني الولي ممّا لا يناسب المقام في الحديث الشريف، بل ممّا لا محصّل له، وقد يكون كذبًا محضًا، وقوله صلى الله عليه وآله: "من بعدي" ينافي

---

(١) انظر حديث يوم الدار في تاريخ الطبري: ج٢ ص٣١٩، الكامل في التاريخ: ج١ ص٤٨٧-٤٨٨، كنز العمال: ج١٣ ص١٣١ ح٣٦٤١٩، وص١٤٩ ح٣٦٤٦٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٣ ص٢١٠، شواهد التنزيل: ج١ ص٥٤٢.

(٢) كما في "فضائل الخمسة" ج٢ ص٩، تأليف: العلامّة المتتبع السيد مرتضى الفيروز آبادي.

(٣) الرياض النضرة: ج١ ص١٥٢.

إرادة المحبّ والصديق، والناصر... فينحصر المراد في مالك الأمر، أو الأولى بالتصرف، أو المتصرف في أمور المسلمين وفي شؤونهم، لأنّ هذه المعاني هي التي تناسب المقام وتكون صادقة بلا إشكال.

ومن جانب آخر لو فرضنا أنّ رسول الله ﷺ قصد من معنى (الولي) غير ما ذكرناه فلماذا قال كلاماً تمسك به جمع للدلالة على خلافة علي عليه السلام وهو ـ فرضاً ـ لم يقصده بل قصد غيره من دون ذكر القرينة، وهذا لا يصدر عن الإنسان العادي، فكيف برسول الله ﷺ وهو أعلم الناس وأعقلهم وأحكمهم.

فقوله ﷺ: "إنّ عليّاً منّي وأنا منه وهو وليكم من بعدي" نصّ صريح جليّ منه ﷺ إنّ علياً عليه السلام هو خليفته وقائم مقامه، وإمام المسلمين بعده ﷺ بلا فصل، وهذا يؤيده العقل والشرع، والعرف العارف.

هذا ولو ورد مثل هذا الحديث بل أضعف من ذلك في أحد الخلفاء الذين زعم أهل السنة بخلافتهم، لرأيناهم كيف يتمسكون به ويستدلون به على معتقداتهم؟

فمالكم كيف تحكمون؟.


شهر شعبان

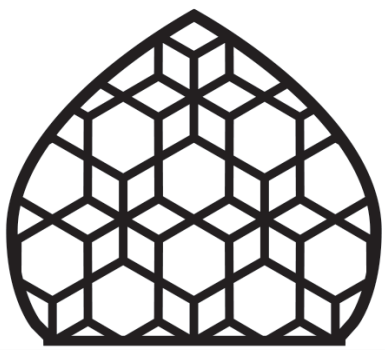

- شعبان المعظَّم من خلال الإطلالات العظيمة المباركة
- دعاء أهل الثغور للإمام زين العابدين عليه السلام -دراسة دلالية-
- إمامة المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف) وحياته الشخصية



شعبان المعظم من خلال الإطلالات العظيمة المباركة

الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي

تطل علينا أجواء شعبان المعظم؛ شهر رسول الله ﷺ، بما في هذا الشهر من ذكريات وأحداث، وبما تحمل هذه الأحداث من المعطيات الفكرية والروحية والأخلاقية، وبما تحمل من منابع الإيمان والعمل والحركة الجادة في رحاب الله عزّ وجلّ، باتجاه ما يحقق أهداف رسالته الخالدة في حياتنا.

وقد لايكون من باب المصادفة والعفوية أن تقترن وتتلاحق الأحداث والذكريات في هذا الشهر المعظم، بل من باب التخطيط الرباني لحياة هذه الأمة، كي تتحرك بين هذا الحدث وذاك، وأن تستذكر وتستلهم وتستفيد من أحداث تاريخها، لأن التاريخ جزء من حياة الأمة، وهو الذي يعطيها دفعا ويموّن حركتها بما يحمل لها هذا التاريخ من معاني ومفاهيم ومبادئ.

فلا شك أنَّ الأيام تتشرّف وتتقدّس لا من خلال حركتها الزّمنية، بل من خلال حركة الرّسالة، ومن خلال ما تحمل لها هذه الرسالة من معاني وعطاءات، لذلك سمّي شعبان المعظم؛ لأنّه يحمل عظمته من خلال كونه مساحة زمنية مليئة بأحداث عظيمة، ولا يكون الحدث عظيماً لأنّه حدث، بل لأنَّ صانع الحدث وبطله هو الرجل الرسالي العظيم الذي رسّخ وخلّد ومجّد تأريخ ذلك الحدث، فهناك عدة إطلالات في هذا الشهر المعظّم:

الإطلالة الأولى:

مولد أبي الأحرار الحسين عليه السلام، وهل هناك رجل أكفأ من الإمام الحسين عليه السلام يفتتح لنا هذه المساحة الزمنية بإطلالته وإشراقة مولده في الثالث من هذا الشهر؟ وهل هناك تاريخ أكفأ من تاريخه الذي تلتقي عنده مطامح الرسالة، وتمر من خلاله خطوات وحركة الأئمة الهداة عليهم السلام في سبيلها؟.

لاشكّ أنّ تاريخه تاريخ ممحّص ومتّصل بتاريخ جدّه المصطفى ﷺ وأبيه المرتضى عليه السلام، حيث إنَّ العنوان المشترك لحركة المعصومين عليهم السلام ومن حذا حذوهم، هو ثورة الإصلاح في الأمّة وإن اختلفت أساليب هذه الثورة.

إنَّ مصطلح الإصلاح يتّسع لكلّ الآفاق التي غرقت بالفساد والانحراف، سواء على مستوى التّصوّرات والمفاهيم، أو على مستوى العمل والنشاطات والعلاقات والأخلاق العامّة، أو على مستوى الحكم ومواقع السياسة وإدارة الدّولة.

فقد تبنى الإمام الحسين عليه السلام في هذه الحركة كلمة جده رسول الله ﷺ القائل: (**من رأى سلطانًا جائرًا مخالفًا**

لسنة الله ناكثًا عهده يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقًّا على الله تعالى أن يدخله مدخله...).

هذه الكلمة التي تدعو الأمة في كلّ عصر أن تستكشف هوية الحاكم، وتحقق في اتجاهاته وميوله، لترى هل أنها تصب في صالح الإسلام والمسلمين، أم أنها تصب في خدمة الذات والأنا والهوى؟.

الحسين عليه السلام المثل الخالد لخلق الإباء والسخاء والفداء

ليس من العجب في العظيم أن يكون صغيراً في سنّه، كبيرًا في نفسه، يتمتع بالإباء وعدم الرضا بالذّلّة، كما كان الحسين عليه السلام في صغر سنّه يترفّع عن أن تُمسّ كرامته ولو على مستوى الهزل، مما يؤكّد أصالة هذه الشّخصية وسموّ قدرها ورفعتها عن كلّ ما يخدش طارف العزّ وتاج الكرامة وإن كان هزلاً.

تروى بهذا الصّدد قصّة طريفة، تحمل هذا المعنى الذي تتّصف به شخصية الحسين عليه السلام: أنّ عمرو بن العاص كان في مجلس معاوية، وكان الإمام الحسين عليه السلام جالسًا، وكان عمره لا يتجاوز السّبع سنوات.

قال عمرو بن العاص مستهزءاً هزلاً-: يا ابن أمير المؤمنين، ما بال أولادنا أكثر من أولادكم ؟ فقال الحسين عليه السلام:

بغاث الطير أكثرهـــــا فراخًا وأم الصقـــــــــر مقلاة نزور

فقال عمرو بن العاص- وهو يريد إفحامه-: ما بال الشيب أسرع إلى شواربنا من شواربكم؟ قال الحسين عليه السلام: لأنّ نساءكم بخرة، فإذا ما جاء أحدكم إلى امرأته نهكت وجهه فابيضّ شاربه.

فقال عمرو بن العاص: ما بال لحاكم أوفر من لحانا؟.

قال الحسين عليه السلام بقوله تعالى: **(والبلد الطيّب يخرج نباته بإذن ربّه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا)**[1].

فقال معاوية لعمرو بن العاص: بحقي عليك إلا ما أمسكت عن سؤاله فإنّه ابن أبي طالب، فقال الحسين عليه السلام شعرًا:

إن عادت العقرب عدنا لهـا وكانت النعـــل لها حاضرة
قد درت العقرب واستيقنت أن ما لها دنيا ولا آخرة:[2].

وبصرف النَّظر عن مصدر هذه القصّة، فإنّ هناك ما يدل على عظمة النفس، وأصالة الجرأة لدى الحسين عليه السلام ممّا يدعوه للثأر للحق حيثما تعرض للسخرية من أعدائه.

ولا شكّ في أنّ النفس التي تثأر لقيمها وكرامتها، هي النفس الكريمة السامية التي لا تدّخر جهدًا في سبيل الحفاظ على تلك القيم، وعلى الآداب العريقة التي ترعرعت عليها واشتد عليها بناؤها.

لذا فإنّ الكرم والسخاء من الآداب العريقة التي توارثها الإمام الحسين عليه السلام عن أسلافه الطاهرين محمد وعلي (صلوات الله وسلامه عليهما)، وإلى أعمق جذور هذه الأسرة الهاشميّة، إذ سمّي جدّ النبيّ صلى الله عليه وآله هاشمًا،

(١) الأعراف: ٥٧

(٢) كلمات الإمام الحسين عليه السلام للشيخ الشريفي: ٢ / ٤٧ .

لأنّه كان يهشم الثّريد لقومه وضيوفه ويطعمهم بيده.

فلا شكّ أن تترشّح هذه الصّفة وأمثالها من الصفات الغر في ذرّيّة بعضها من بعض، فتتوارث كلّ كريمة من الخصال والخلال، بينما يتوارث الناس المال، والحطام، وما آل أمره إلى الفناء والزوال.

جاء أعرابي إلى المدينة يسأل عن أكرم الناس فدلّ على الإمام الحسينِ ﷺ، فلما مثل أمامه قال: سيدي إني قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن أدائها، فجئت أسأل عن أكرم الناس فدللت عليك.

فقال له الإمام الحسين ﷺ: يا أعرابي إنّي سائلك عن ثلاث مسائل، فإن أجبت عن واحدة أعطيتك ثلث المال، وإن أجبت عن اثنين أعطيتك ثلثي المال، وإن أجبت عن الكل أعطيتك الكل.

فأراد الإمام الحسين ﷺ، أن يضع العطاء في موضع الاستحقاق، وعلى أساس المعرفة الدقيقة، وكأنّه يريد أن يمزج بين عطاء المال وعطاء العلم.

فلو جهل الأعرابي الجواب لعلّمه الحسين ما جهل، ولو أجاب عن أسئلته لأثبت أنّ المال الذي أعطاه قد وقع في مقابل شيء هو: الحكمة المستفادة للأجيال على مرّ الزّمن.

لقد كان هذا الامتحان للأعرابي من معالم الدّقّة في تحرّك وتصرّف أهل البيت ﷺ الذين يريدون من الأمّة أن تكون دائمًا متعلّمة منهم ما ينفعها، وما يوجّه حركتها في عملية الأخذ والعطاء.

وهنا وقف الأعرابي أمام هذا الامتحان، وكلّه إجلال واحترام لهذه العبقرية والهيبة وقال: يا ابن رسول الله، أمثلك يسأل مثلي وأنت من أهل العلم والشّرف؟.

فقال الحسين ﷺ سمعت جدّي رسول الله ﷺ يقول: المعروف على قدر المعرفة، وهذه الكلمة تحمل للأمّة درسًا أخلاقيًّا ضخمًا، وتعلّمها أن يقوم عطاؤها وتعاملها على أساس القيم العليا والموازين الضّابطة.

فقال الأعرابي: يا ابن رسول الله سل عمّا بدا لك فإن أجبت وإلّا تعلّمت منك ولا قوة إلّا بالله.

فقال الإمام الحسين ﷺ: أي الأعمال أفضل؟.

قال الأعرابي: الإيمان بالله.

فقال الحسين ﷺ: ما النّجاة من الهلكة؟.

قال الأعرابي: الثقة بالله.

فقال الحسين ﷺ: ما يزين الرجل؟.

قال الأعرابي: علم معه حلم.

قال الحسين ﷺ: فإن أخطأه ذلك؟.

قال الأعرابي: مال معه مروءة.

قال الحسين ﷺ: فإن أخطأه ذلك؟.

قال الأعرابي: فقر معه صبر.

قال الحسين ﷺ: فإن أخطأه ذلك؟.

قال الأعرابي: فصاعقة تنزل عليه من السماء فتحرقه فإنَّه أهل لذلك، فضحك الإمام الحسين ﷺ، ورمى إليه بصرّة فيها ألف دينار، وأعطاه خاتمه، وفيه فص قيمته مائتا درهم، فقال: يا أعرابي أعط الذهب إلى غرمائك، واصرف الخاتم في نفقتك، فأخذه الأعرابي وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته)[1].

ويتجاوز سخاء الإمام الحسين ﷺ مواضع العطاء المالي، ليجمع إلى جانب ذلك، العطاء المعنوي، وهو: بناء شخصية الإنسان، وإشعاره بإنسانيّته وبحقّه في الحرّيّة.

فقد روي أنَّ للإمام الحسين ﷺ ضيعة (بستان)، وكان له غلام يقال له صافي، يعمل في ذلك البستان، فجاء الإمام الحسين إلى بستانه، فرأى غلامه صافي قد أحضر غداءه، وفيه رغيفان وقطعة لحم، وعلى مقربة منه كلب، فرمى الرّغيف الأوّل إلى الكلب ثم أتبعه بالثاني، ثم رمى قطعة اللحم.

كان الإمام الحسين ﷺ يرمق الموقف، فتقدّم إلى الغلام وسأله عن فعله، فأجاب: سيدي ليست هذه المدينة مدينة كلاب، ولاشكّ أنَّ هذا الكلب جاء من مكان بعيد وهو جائع، فأطعمته لأنّي أستطيع تحصيل طعامي يوميًّا.

فقال الإمام الحسين ﷺ: إذن يا صافي، إجعلني في حلّ من الدخول إلى بستانك.

فقال الغلام متعجبًا: سيدي، البستان بستانك وأنا خادمك، فلم تستأذن منّي؟.

قال ﷺ: وهبتك هذا البستان.

قال الغلام: سيدي إنّي أحب البقاء معك وفي خدمتك.

قال الحسين ﷺ: بلى وأعتقتك، فأنت حرّ لوجه الله.

فقال الغلام: سيدي كما وهبتها لي وجعلتني حرًّا، فإنّي أجعلها صدقة لوجه الله تعالى وأشتغل في إعمارها)[2].

أنظروا كيف يثمر الإحسان للغير، ويتحول إلى وهج في عواطفه ومشاعره، ليتحرّك في الناس عطاءً إثر عطاء.

كما ويروي لنا الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ: أنّ الحسين ﷺ، دخل الخلاء، فوجد لقمة من الخبز ملقاة على الأرض، فتناولها ودفعها إلى غلامه وقال: يا غلام ذكّرنيها إذا خرجت، فأكلها الغلام، فلما خرج الإمام الحسين ﷺ، سأله: أين اللقمة؟.

قال: أكلتها يا مولاي، فقال الإمام الحسين ﷺ: إذهب فأنت حرّ لوجه الله، ثم قال: سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: **(من وجد لقمة ملقاة فمسحها وأكلها أعتقه الله من النار)**، فلم أكن أستعبد رجلاً أعتقه الله من النار، وقد روي على غرار هذه القصة في عوالي اللئاليء ٢/ ١٨٨ منسوبة إلى الإمام الباقر ﷺ، ولا يستبعد تقدم هذا العمل من قبل جده الحسين ﷺ.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤ / ١٩٦

(٢) مستدرك الوسائل: ٧/ ١٩٢ بتصرف وإيجاز

ويسجّل لنا الإمام الحسين عليه السلام أدباً أخلاقياً عالياً تجاه نعم الله عزّ وجلّ علينا، لأنّ في قمّة شكر النعمة، هو: احترامها، واحترام النّعمة احترامٌ لمنعمها.

علاوة على أنّ احترام المطعومات من الواجبات الشّرعيّة في الفقه الإسلامي، فلا يجوز ترك المطعوم يتعرّض للإهانة وسحق الأرجل، كما يفعل جملة من الناس، دونما مبالاة بقدر وشرف النّعمة وقدسيتها.

وهناك نوع آخر من أنواع السّخاء، بل هو أقصى غاياته وأسمى مراتبه، وهو: الشهادة والفداء، فهو محطة الخلود ومعقل المجد في وجود الشهيد، لأنّه يهب البقاء لكلمة الله عزّ وجلّ والعزّة لرسالته، لذلك يهبه الله البقاء والخلود مع الكلمة العليا التي اغتذت من دمائه وترعرعت، فأصبحت تأريخًا ممجدًا، وصوتًا صادقًا مهيبًا، يملأ الدنيا دويًّا، وموقفًا جريئًا يرعب الطّغاة المستبدّين، ويزعزع عروش الظّالمين.

ولذلك فإنّ الحسين عليه السلام قد انتزع الخلود انتزاعًا، مع خلود القيم التي مات من أجلها، فنفسه خالدة في نفس كل مؤمن، وقلبه ينبض مع قلب كل محب، وعقله يتحرّك في العقول التي تصنع حضارة الشعوب، بل أن وجوده باق في وجود الأمّة التي آمنت به واستفادت منه واستقامت بهداه، ورسالته قائمة في رسالة الأمّة ومنهجها الذي أرشدها إليه وثبّتها عليه.

فلقد هانت لدى الحسين عليه السلام نفسه ودنياه، وعظم في نفسه دينه ورسالته، ولذلك كانت أوّل كلمة أطلقها في ساحة الطّف على مسامع القوم هي في تحقير الدنيا واسترخاص النّفس، وتعظيم الحق وإجلال الدين، فقال عليه السلام:

(إنّ هذِهِ الدُّنْيا قَد تَغَيَّرَت وَتَنكَّرَتْ وأدْبَرَ مَعرُوفُها، فَلَمْ يَبْقَ مِنْها إلاَّ صُبابَةٌ كَصُبابَةِ الإناءِ، وَخَسيسُ عَيْشٍ كَالمَرعَى الوَبيلِ، ألا تَرَوْنَ أنَّ الحَقَّ لا يُعْمَلُ بِه، وَأنَّ الباطِلَ لا يُتناهى عَنهُ، لِيَرْغَبْ المُؤْمِنُ في لِقاءِ اللهِ مُحِقّاً فَإنِّي لا أرَى المَوتَ إلاّ سَعادَةً، وَلاَ الحَياةَ مَعَ الظَّالِمينَ إلاّ بَرَماً. إنَّ النّاسَ عَبيدُ الدُّنْيا وَالدِّينُ لَعِقٌ عَلى ألسِنَتِهم، يَحُوطُونَهُ ما دَرَّت مَعائِشُهُم، فَإذا مُحِّصُوا بِالبَلاءِ قَلَّ الدَّيّانُونَ)[1].

وفي كلام له عليه السلام: **(خُطَّ المَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاةِ، وَ مَا أَوْلَهَنِي إِلَى أَسْلَافِي اشْتِيَاقَ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُفَ، وَ خُيِّرَ لِي مَصْرَعٌ أَنَا لَاقِيهِ، كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تَقَطَّعُهَا عُسْلَانُ الْفَلَوَاتِ، بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وَ كَرْبَلَاءَ فَيَمْلَأَنَّ مِنِّي أَكْرَاشاً جُوفاً، وَ أَجْرِبَةً سُغْباً لَا مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ، رِضَى اللهِ رِضَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصْبِرُ عَلَى بَلَائِهِ وَ يُوَفِّينَا أُجُورَ الصَّابِرِينَ، لَنْ تَشُذَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لُحْمَتُهُ هِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ تَقَرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ، وَ يُنَجِّزُ لَهُمْ وَعْدَهُ، مَنْ كَانَ بَاذِلًا فِينَا مُهْجَتَهُ وَ مُوَطِّناً عَلَى لِقَاءِ اللهِ نَفْسَهُ، فَلْيَرْحَلْ فَإِنِّي رَاحِلٌ مُصْبِحاً، إِنْ شَاءَ اللهُ)**[2].

ومن هنا امتزجت في موقف الإمام الحسين عليه السلام، الكلمة الصّادقة الثّائرة، التي تحمل روح الاستعداد للتضحية والفداء والتّفاني من أجل إحقاق الحق، امتزجت هذه الكلمة بالدم الزّكي المتدفّق من نحره ومن نحور الضّحايا

(١) بحار الانوار ٧٥/ ١١٦

(٢) المصدر نفسه ٤٤/ ٣٦٦

من أهل بيته وأنصاره، فكان هذا الامتزاج سببًا لخلود الموقف وبقاء الثورة على أبعد مديات التاريخ.

فنستوحي من هذه الكلمة، أنَّ الإمام الحسين ﷺ، كان يقرأ ما سيحدث لشيعته ومحبّيه على أبعد مديات التأريخ، حيث يقعون فريسة وهدفًا لتلك السّلالة الحاقدة الضّالّة، التي كانت ولا زالت تلاحق محبّي وأتباع أهل البيت ﷺ بسيف الحقد والظلم والوحشية الأموية الدّمويّة.

السلام عليك يا أبا الأحرار وقدوة الثوار يا أبا عبد الله الحسين، ستبقى القدوة لكلّ من شاء أنْ يترسّم طريق التّضحية والشّهادة، لإيقاظ وتوعية الضّمير الإنساني، وإثارة الإحساس الثوري لدى الأجيال المؤمنة المجاهدة.

وستبقى عبرة وعبرة وثورة ضدّ كلّ مظاهر الباطل والزّيف والفحشاء والمنكر والبغي، وأستميحك عذرًا عن أن أقول ما يعجز عن الوصول إلى سامق مجدك وقمّة عليائك:

كم ضمير تهزهُ اليوم مأساتك ... يا من بك استفاق الوجودُ

فمضى منشداً: يعيش حسينُ المجد ... فاستنهض اليراعَ النشيدُ

فدعاني لكي أناجيَ ذكرى ... قد بنى مجدَها الحسينُ الشهيد

الإطلالة الثّانية:

إطلالة أبي الفضل العباس ﷺ في الرابع من شهر شعبان المعظم، يوحي هذا الرّمز الخالد إلينا أنَّ أيّة حركة إصلاحية، وأي نشاط تغييري هو محتاج إلى قاعدة عسكرية مسلحة، يتسنّم هرمها ويحمل لواءها رجل مؤمن بالله تعالى، قويّ في ذاته، صالح كفوء أمين، وواعٍ لكلّ تفاصيل هذه الحركة، لا تغريه المطامع ولا تستهويه المصالح.

وهل هناك رجل أكفأ وأوفى لهذه الحركة من أبي الفضل العباس ﷺ؟ الذي شهد له المعصومون ﷺ بأنّه كان نافذ البصيرة صلب الإيمان لم يهتزّ أمام تحدّيات التّرغيب والتّرهيب، ولم تغير من موقفه كافّة العروض التي طرحت عليه، حيث ورد أنّ شمر بن ذي الجوشن نادى يوم الطف: أين بنو أختنا؟ أين العبّاس وأخوته؟ فرفض العباس أن يكلّمه، ولكن الحسين ﷺ ولثقته بالموقف الصّلب قال: أجيبوه ولو كان فاسقًا، فأجابه العباس ﷺ، فطرح شمر له ولأخوته الأمان، فردّ عليه بفحوى القول: لا بارك الله فيك ولا في أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لاأمان له؟.

فبقيت كلمة وموقفًا خالدًا لكلّ الأجيال، يؤكّد فيه العباس ﷺ أنّ القضية ليست قضية أمان ونجاة من حدّ السّيف، بل هي الرّسالة التي تتحرّك في دم الحسين ﷺ الذي عزم على ملاقاة الحتوف، فلابُدَّ من الطّاعة والدفاع والوفاء والصبر في خطّ هذه الرسالة التي عَلَمها ورائدها الحسين ﷺ.

لذا ورد في زيارة هذا البطل الشهيد: (أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبي المرسل والسبط المنتجب والدليل العالم والوصي المبلغ والمظلوم المهتضم..) وفي فقرات أخرى: (السلام عليك أيّها

العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين....).

حيث تؤكّد هذه الفقرات أنّ العنوان الذي كان يحمل هذا القائد العسكري اللامع، ويشدّه للإمام الحسين عليه السلام هو الطاعة لله ولرسوله ولأمير المؤمنين من بعده، وأما العاطفة الأخوية وإن كانت تحتل مساحة مهمّة في نفس أبي الفضل العباس عليه السلام فهي تصب في قناة خدمة الرسالة التي حملها الحسين عليه السلام وجاد بدفقات الدّم الزّكي من أجلها.

العباس عليه السلام رجل القوة والوفاء

لقد شاءت حكمة الله عزّ وجلّ أن تجتمع في مطلع شعبان المعظم مواليد الرّموز المشرقة في سماء التأريخ الإسلامي، وهم: الإمام الحسين عليه السلام في الثالث منه، وأخوه رجل القوة والوفاء أبو الفضل العباس بن علي عليهما السلام في الرابع منه، وولده الإمام زين العابدين عليه السلام في الخامس منه، ويتلو هذه المناسبات في النّصف منه مولد المنقذ الموعود الإمام الحجة المنتظر عليه السلام.

وعندما نقف أمام هذه الأسماء اللامعة، والشخصيات ذات الشأن السامق، نجد كل واحد منها يقترن بموقف حركي هو في غاية السمو، يعطي الأمّة ما تشاء من المعاني والمضامين العالية التي تحتاجها، ويفتح لها خطًّا من الخطوط التفصيلية من حقل التجربة الحية التي عاشها.

أما الحسين عليه السلام، فقد ولد في ولادته عنوان القوة والإباء، والرّفض لمواقع الذلة، وولدت معه الثورة ضد الطغاة المردة.

وأما أبو الفضل العباس عليه السلام فقد ولد في ولادته عنوان النصرة والمؤازرة للحق، والوفاء لرمز الإباء والثورة.

وأما السجاد عليه السلام فقد ولد في ولادته عنوان العبادة والإنقطاع الواعي اليقظ أمام كل ما يحيطه من خداع وكيد الحاكم الظالم.

وأما الإمام الحجة المهدي المنتظر (عج) فقد ولد في ولادته عنوان الثأر لله والحق، وذلك في يوم تجتمع فيه أمامه خلاصة سلبيات التأريخ، ليقول في حقها كلمته الفاصلة، ويؤسّس لها محكمته العادلة.

كل هذه العناوين التي ولدت مع هذه الرّموز الأربعة تحتاجها الأمة مجتمعة، لأنّها تمثّل عنوانًا واحدًا مشتركًا، يلتقي مع فكرة الوقوف مع الإسلام في كل المراحل التي عاشها هؤلاء.

لذلك إنّي أعتقد أنّ اجتماع هذه المناسبات في شهر رسول الله محمد صلى الله عليه وآله ما كان من باب العفويّة العادية، وإنّما هو أمر خاضع لتخطيط الله تعالى لوجود هذه الباقة من زهور الإمامة، ليتضوّع عطر هذه العناوين كلّها في حياة الأمّة في شهر رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّه مصدر استلهام لكلّ عناصر الخلود والبقاء للرسالة والتّأريخ.

ومن هذه الولادات مولد رجل العلم والقوّة والوفاء والنّصيحة والمؤازرة والنّصرة، أبي الفضل العباس بن

أمير المؤمنين عليه السلام، الشخصية التي التقت أجواء الإمامة، وعاشتها فكرًا وسلوكًا وموقفًا، كما أورد ابن الأثير: (أنَّ العباس زقّ العلم زقّا).

ولا غرابة في ذلك وهو ابن علي أمير المؤمنين عليه السلام القائل: (**علمني رسول الله ألف باب من العلم ينفتح لي من كل باب ألف باب**)، كما كان يمثّل عنصر القوّة والقيادة العسكرية في خطى ومواقف الثورة الحسينية العملاقة، لذا يقع الحديث في ثلاثة محاور:

المحور الأوّل: مقامه عند المعصومين عليهم السلام

فلقد نالت هذه الشخصية الفذّة جزءًا كبيرًا من الثناء والإطراء على ألسن الأئمّة المعصومين عليهم السلام الذين ينظرون الإنسان فيعرفونه بحقيقة الإيمان أو النّفاق، وقد ورد عنهم في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾[1].

ففي روايات عدّة عنهم عليهم السلام، كما عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: (**هم الأئمة**)[2]، أي: الذين هم يتوسمون بذكائهم وفراستهم في الشّخص صفته وموقعه وهويته الحقيقية.

فإذا كان الحديث الشريف أيّها الأحبّة يقول: (**اتقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله ويسمع بسمع آخر**)[3]، فما بالك بالإمام المعصوم عليه السلام الذي يعتبر قوله وفعله وتقريره حجّة على الناس؟.

لذا فإنَّهم لمعرفتهم بهذه الشّخصية اللامعة في سماء الرّسالة والتأريخ الإسلامي المشرّف، كانت أحاديثهم تصبّ على عمق المنزلة والقدر وسمو الحقيقة فيها.

فقد قال فيه الإمام زين العابدين عليه السلام: (رحم الله عمّي العباس فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإنّ للعباس عند الله تبارك وتعالى لمنزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة)[4].

علاوة على ذلك، وعلى مستوى التعامل نجد الإمام السجاد عليه السلام لمعرفته بهذه المنزلة، لم يسمح لبني أسد أن يحملوا جثمانه الطاهر بأنفسهم، بل انفرد الإمام عليه السلام بحمله ودفنه، كما صنع مع جثمان أبيه الحسين عليه السلام.

وقال فيه الإمام الصادق عليه السلام: (كان عمّنا العباس نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام وأبلى بلاء حسنًا، ومضى شهيدًا)[5].

وقد أشار الإمام الصّادق عليه السلام، إلى عمق بصيرة أبي الفضل العباس عليه السلام وصدق يقينه، وثباته في موقفه الذي

---

(١) الحجر: ٧٥

(٢) الأمثل – للشيخ مكارم الشيرازي: ٨ / ٩٨

(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ٧ / ٣٢٣

(٤) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتأريخ – محمد الريشهري: ١ / ٩٨ .

(٥) المصدر نفسه: ١ / ٩٩ .

تحدّى كل الظّروف والأحوال، وازدرى بكلّ المحن والأهوال، ومما يدلّ على ذلك من مواقف:

أ) رفضه الأمان الذي عرض عليه من قبل القيادة اليزيدية، حينما خاطبه الشمر بقوله: أين بنو أختنا؟ أين العباس وأخوته؟ فلم يجبه أحد منهم، حتى قال لهم الإمام الحسين ﷺ: (أجيبوه وإن كان فاسقا)، ولولا علم الإمام الحسين ﷺ وثقته بما سيكون الجواب، لما أوعز إليهم بالجواب، فقال له العباس ﷺ: ماذا تريد؟ قال له الشمر: لكم الأمان.

فقال له العباس ﷺ: (لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له ؟!) ليؤكّد له: أنَّ المسألة ليست مسألة أمان، أو بحث عن الحياة، أو صراع من أجل البقاء، وإنَّما هي رسالة تجذّرت حركتها في أعماق قلبه وروحه، وطاعة واجبة عليه لإمامة قائمة بالهدى والحق، لذلك تقرأ في زيارته (السلام عليك أيّها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين وللحسن والحسين..).

ب) تقديمه إخوته وأشقّائه إلى حلبة القتال، قبل أن يبرز إلى ميدان المنازلة، لغرض أن يطمئن أنّهم قد شاركوه الموقف والنّصرة للحسين ﷺ، فقال لهم: (تقدّموا حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله، وحتى أرزأ بكم) وهو يتحدّى بذلك تيّار العواطف الأخوية، في سبيل المؤازرة والنّصرة لإمام الحق، الذي يتصاغر أمامه البذل والتّضحيات، وتهون في سبيل نصرته المصاعب والعقبات.

ج) في أحرج المواقف وأقساها عليه، عندما قطعت يمينه، كانت له أرجوزته التي حفظها لنا التأريخ، والتي قالها غير مكترث ولا متردد:

والله إن قطعتمو يميني ... إني أحامي أبدا عن ديني

وعن إمام صادق اليقين ... نجل النبي الطاهر الأمين

هذه الأرجوزة التي يوضّح بها للأجيال، أنَّ الدّين والمعتقد والرّسالة، في وعيه وفي فكره ووجدانه، فوق الدّم والنّفس والجاه والمال، وأنّ هذه الحركة التي يقودها الإمام الحسين ﷺ إنَّما هي حركة إصلاح لواقع الأمّة، ينبغي أن تذوب فيها كلّ المصالح والذّوات، وتبقى الغاية وهي: حماية الدّين والرسالة ولإمام الصدق اليقين، ولم يقل: إنّي أحامي عن أخي؛ لأنّ القضية في وجدانه ووعيه ليست قضية أخوّة يدافع عنها من منطلق العاطفة، بل هي قضيّة قيادة يدافع عن حركتها الإصلاحية ورسالتها التي أعلنها الإمام الحسين ﷺ: (إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي) ضد حركة كل التحديات المنحرفة.

المحور الثاني: في كونه باب الحوائج

فإنّ العادة الجارية لله عزّ وجلّ في أوليائه، أن يظهر لهم المنازل الرّفيعة، بإظهار كراماتهم تقديرًا لعملهم، وتثمينًا لجهودهم في طاعة الله تعالى، وحثًّا للملأ على اقتفاء أثرهم والاقتداء بهم في الطّاعة والتقوى.

ومن خاصّة أولياء الله عزّ وجلّ، هو أبو الفضل العباس عليه السلام الذي بذل مهجته وكلّ ما يملك في سبيل نصرة الحقّ والرّسالة، ومؤازرة الموقف الثوري الخالد لأخيه الحسين عليه السلام لذلك استحق أن يكون واسطة في مجرى الفيض والعناية الرّبّانية على النّاس.

يقول السّيّد عبد الرّزّاق المقرّم في معرض حديثه عن العباس عليه السلام: أنَّ الحسين عليه السلام كان على علم وقصد عندما ترك العباس عليه السلام إلى جانب المشرعة، ولم يحمله إلى المخيّم، لأجل أن يبقى في مكانه هناك ويكون بابًا من أبواب الرّحمة، يتوسّل به المحبّون لقضاء حوائجهم، وكما قال الشاعر:

باب الحوائج ما دعته مروعـــــة ... في حاجة إلا ويقضـــــى حاجها

وعلى غرار ذلك أقول:

واسى حسينا وافتداه بنفســـــه ... فحباه من أسنى المكارم ربّـــــه

باب الحوائج ما دعاه مـــــروّع ... في كربه إلا ويكشف كربـــــه

كما يجب أن يكون الباب الذي من خلاله يتوصل الزّائر إلى حضرة الإمام الحسين عليه السلام، فتكون زيارة العباس عليه السلام خطوة أولى للدخول إلى حضرة الإمامة في ضريح الإمام الحسين عليه السلام.

وهناك قصّة ذكرت في أحد المجالس، عن الشيخ عبد الرحيم التستري المتوفى سنة ١٣١٣هـ، وهو من تلامذة الشيخ الأنصاري (قدس) قال: زرت الإمام الشهيد الحسين عليه السلام ثم قصدت أبا الفضل العباس عليه السلام.

وبينما أنا في الحرم المقدس، إذ رأيت زائراً من الأعراب معه غلام مشلول، فربطه بالشباك، وتوسّل وتضرّع إلى الله عزّ وجلّ بلغته البسيطة، وهو يندب صاحب القبر، وإذا بالغلام ينهض وليس به علة، وهو يصرخ: (شافاني العباس).

فاجتمع عليه الناس، وخرقوا ثيابه للتبرك بها، فلمّا أبصرت هذا بعيني، تقدّمت إلى الشّبّاك بنفسي وعاتبته عتابًا شديدًا، وقلت: يغتنم منك المعيدي وينقلب مسرورًا، وأنا مع ما أحمله من العلم والمعرفة فيك، والتّأدّب أمامك، أرجع خائبًا؟! لا أزورك بعد هذا أبدًا.

ثم راجعت نفسي وتنبهت لجفائي وسوء أدبي، فاستغفرت الله مما أسأت، ولما عدت إلى النّجف الأشرف، التقيت الشيخ الأنصاري، وأخرج لي صرتين، وقال: خذ هذا ما طلبته من أبي الفضل العباس عليه السلام (إشتر دارًا، وحج بيت الله الحرام)، وهي عين الحاجة التي في نفسي، ومن أجلها توسلت بأبي الفضل العباس عليه السلام.

هذه من علاه إحدى المعالي ... وعلى هذه فقس ما سواها.

المحور الثالث: مواقفه قبل الطف

فقد كان ﷺ كالجبل الأشم، وقلبه كالطود العظيم، فكانت مواقفه قبل الطف مع أبيه أمير المؤمنين ﷺ لامعة مشهودة.

فممّا يروى في بعض أيّام صفين: خرج مع جيش الإمام أمير المؤمنين ﷺ شاب على وجهه نقاب، تعلوه الهيبة، وتظهر على شمائله الشجاعة، كان يطلب المبارزة فيهابه الناس، فندب معاوية إليه أبا الشعثاء.

فقال: إن أهل الشام يعدونني بألف فارس، فكيف أبرز إلى هذا الشاب؟، ولكن أرسل إليه أحد أولادي.

وكان له سبعة أولاد، فكلما خرج إليه أحد منهم قتله، حتى قضى عليهم، فساء ذلك أبا الشعثاء وأغضبه، فبرز إليه بنفسه فألحقه بهم، فهابه الجميع، وأدهش أصحاب الإمام علي ﷺ من هذه البسالة، التي لا تعدو الهاشميين، ولم يكونوا يعرفونه، حتى كشف النقاب فإذا به قمر بني هاشم.

وكان له موقف آخر يوم شهادة أخيه الحسن المجتبى ﷺ، عندما رأى جنازة أخيه الحسن ﷺ ترشق بالسهام، لمنعها عن الدفن مع رسول الله ﷺ

فعظم عليه ذلك ولم يطق الصبر، حتى جرد سيفه من غمده، وأراد البطش بهم، لولا أن ذكّره الحسين ﷺ بكراهية أخيه الحسن ﷺ لذلك، بقوله له في بعض وصيته: (لا تهرق في أمري محجمة من دم)، فصبر أبو الفضل ﷺ وادّخر نفسه ليوم عاشوراء الطف.

وعذرا – أيها الأحبة – أن نقرن مأساة الطف بمناسبة ميلاده البهيج، لا لشيء إلا لأنه كان ولم يزل فرحة في قلب المصائب، وابتسامة في ثغر المأساة، وبلسمًا شافيًا لكلّ جرح فيها، بل كان موقفه وتضحيته ميلادًا لكلّ فضيلة وبطولة.

ومن هنا كان (اليوم السابع من المحرم) يومًا لامعًا في تأريخ عاشوراء، وهو اليوم الذي استبسل فيه أبو الفضل العباس ﷺ واندفع من بين مخالب الجموع المتوحشة، ليستسقي الماء لمخيم الحسين ﷺ، لإرواء عائلته وأطفاله، ولنعم ما قيل فيه:

بطل تورث من أبيه شجاعة ... فيها أنوف بني الضلالة ترغم

ما كر ذو بأس له متقدما ... إلا وفر ورأسه المتقدم

صبغ الخيولَ برمحه حتى غدا ... سيّان أشقر لونه والأدهم.

الإطلالة الثّالثة:

كانت إطلالة الإمام زين العابدين وسيد الساجدين علي بن الحسين ﷺ في الخامس من هذا الشهر المعظم، التي توحي لنا بأمرين:

أوّلاً: إنَّ الحركة الإصلاحية والنشاط التغييري يحتاج إلى رعاية الله وعنايته الدّائمة، فكان منهج الدّعاء الذي أسّسه الإمام السجاد ﷺ هو الوسيلة التي نستمد بها هذه العناية الرّبّانية، وهو مصدر التسديد الرّبّاني لكلّ حركة إصلاحية تصب في خدمة أهداف الرّسالة الإسلامية، حيث لا أثر للسيف ولا للقوة العسكرية مالم تكن هناك طاقة ووهج روحي تستمد به عناية السماء.

ثانيا: إنَّ منهج الدعاء في حياتنا، هو جزء مهم من حركة الإصلاح والتغيير، وهو قادر على أن يحقق ما يحققه الكفاح المسلح من التغيير في واقعنا، بما يحمل هذا المنهج من مفاهيم ومبادئ تؤكّد مواكبة الرسالة والتزامها كأمانة تدعو إلى عمل الخير، وهجران الشر، ومجانبة البدع، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر عبر صيغ من المناجاة والأدعية التربوية.

كما نقرأ في هذه الصيغة (اللهم وفّقنا في يومنا هذا وفي ليلتنا هذه لاستعمال الخير وهجران الشر وشكر النعم واتباع السنن ومجانبة البدع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحياطة الإسلام).

الإطلالة الرابعة:

إطلالة الإمام الثاني عشر الحجة الغائب المنتظر، في الخامس عشر من هذا الشهر المعظم، هذه الإطلالة تضعنا أمام أمرين مهمّين:

أوّلاً: إنَّ الحركة الإصلاحية الكبرى التي حمل لواءها الإمام الحسين ﷺ وبذل في سبيلها الغالي والنفيس من الدم والمال والأهل والأولاد، وهذا الكمّ من التضحيات الضّخمة يحتاج إلى الأخذ بالثأر، والاقتصاص من أعداء الرسالة ومن نصبوا العداء وأوقدوا الحرب على هذا الخط وأتباعه على مدى الأزمان، لذا جاء في دعاء الندبة (أين قاصم شوكة المعتدين، أين هادم أبنية الشرك والنفاق، أين مبيد أهل الفسوق والعصيان والطغيان، أين حاصد فروع أهل الغي والشقاق.....الخ).

ثانيًا: إنَّ هذه الإطلالة تضعنا أمام مسؤوليتنا تجاه قيادتنا المعصومة ورسالتنا الخالدة، فنحن ننتظر إمامًا غائبًا حاضرًا، وليس غائبًا مفقودًا، فهو غائب عن النظر والمشاهدة لكنه حاضر في أعماق الوجدان الإسلامي رسالة متحركة على خط المسؤولية دائمًا، تقوم حركتها على أساس الإيمان بثقل الإمامة بصفتها حبلاً ممدودًا إلى صف الكتاب الكريم من السماء إلى الأرض، لن ينقطع دورها عن حياتنا حتى يرث الله الأرض ومن عليها بظهور الحجة المنتظر لإقامة العدل على الأرض.

وهذا هو المضمون الذي يعطيه حديث الثّقلين الذي يرويه المسلمون على اختلاف مذاهبهم، (إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنَّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا ماذا تخلفوني فيهما).

وهكذا تضعنا هذه الإطلالة أمام مسؤوليتنا الشرعية في هذه المرحلة، وهي أن نؤدّي دورنا كأصحاب رسالة تحتاج منّا إلى دقّة الموقف ووعي المرحلة، وأن نبني حركتنا وخطواتنا والتزاماتنا على أساس فهمنا الواعي للملازمة بين الكتاب والعترة، هذه الملازمة التي من شأنها أن تحافظ على وجود الإسلام في حياتنا، وتصون فكرته وتحكم دوره ومساره في حلّ مشاكلنا وقضايانا.

شعبان المعظم من سلالم التّكامل الرّوحي

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)﴾ الإنسان آية ٢-٣ .

لقد خلق الإنسان ليخوض خضمًّا زاخرًا من الابتلاء من خلال حيثيّات نفسه وتكوينه ومن خلال محيطه، وهو لا يدري أين تنتهي به هذه عجلة الصراع، هل إلى انتصار الغرائز والوقوع في هوة سحيقة والنزول إلى مستوى البهائم، أم إلى انتصار الكمالات الروحية والعقلية، والصعود إلى مصاف الملائكة عبر سلالم السّمو والارتقاء.

وهكذا تسير عجلة العمر بالإنسان في طريق الحياة الشّائك الذي تكتنفه العقبات وتتعثر به الخطوات وتملأه الابتلاءات، لذا جاء في بعض أدعية شعبان المعظّم الواردة عن الإمام أمير المؤمنين وولده المعصومين عليهم السلام:

(إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك...)، ذلك لأنَّ عمر الإنسان في خضمّ الصراع والابتلاء لا يخلو من إحدى ثلاث حالات:

١- أن يكون العمر مجمّدًا لا حراك فيه ولا ارتقاء ولا نفع، كمن يستقل عجلة يقودها غيره في سفر له نحو نقطة يريد أن ينتهي إليها، فينام من نقطة البداية حتى يستيقظ عند نقطة النهاية، فلم يستفد شيئا، ولم يستفد منه غيره ولم يستمتع بالمشاهدات خلال الرّحلة سوى قطع المسافة.

إذن، فهو الذي استوت عنده الساعات والأيّام دون أن يحقّق شيئًا من التّكامل والنّفع لا لنفسه ولا لغيره، فعاش مغبونًا ومات مغبونًا، وهو الذي قال فيه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: (من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان يومه شرًّا من أمسه فهو ملعون).

٢- أن يكون العمر خاسرًا، تتناقص عنده الحركة يومًا بعد آخر، وتتراكم عليه هموم الدنيا وآثامها حينًا بعد حين، فهو في تراجع مستمر لا يستطيع أن يهتدي إلى ساحل من سواحل الخير.

وهو كمن يقود عجلة السفر في الطّريق فتخرج به عن المسار المعبّد إلى طريق شائك متعرّج، لا يدري إلى أين تنتهي به رحلة العمر حتى يفاجأ بما لا تحمد عقباه من خسارة الرحلة.

وهو الذي تشمله الفقرة الثانية من حديث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (...ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون).

٣- أن يكون العمر متحرّكا في طريق التكامل، متساميًا عن مواقع الضّعف، يتحرّى طرق الاستثمار السليم الذي يرتفع به إلى الله عزّ وجلّ، تستوقفه المحطّات والمواقع التي يتزود منها طاقة الحركة، فهو يقف ليتأمّل لا ليتبلد، ويتأمل ليتحرّك لا ليرقد، ويتحرّك ليتكامل لا ليلهو.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (رجب شهر الاستغفار لأمتي أكثروا فيه من الاستغفار فإنّه غفور رحيم، وشعبان شهري، استكثروا في رجب من قول: استغفر الله، وسلوا الله الإقالة والتوبة فيما مضى، والعصمة فيما بقي من آجالكم، وأكثروا في شعبان من الصلوات على نبيكم إلى أن قال: وإنّما سمّي شعبان شهر الشفاعة، لأنّ رسولكم يشفع لكل من يصلي عليه فيه...الحديث)[١]

وبنفس المضمون، عن إسماعيل بن أبي زياد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (رجب شهر الاستغفار لأمتي أكثروا فيه الاستغفار، فإنّه غفور رحيم، وشعبان شهري. استكثروا في رجب من قول أستغفر الله، وسلوا الله الإقالة والتّوبة فيما مضى والعصمة فيما بقي من آجالكم..)[٢].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان يصومه ويقول: (شهر رجب شهري وشعبان شهر رسول الله صلى الله عليه وآله وشهر رمضان شهر الله عزّ وجلّ)[٣]

فكأن الأيام التي تمر على الإنسان المؤمن تتراكم بينه وبين ربه تعالى حجب تثقل الروح العبادية، وتضع أمامها عقبة من الظلمة التي تكاد تبتعد بها عن معدن العظمة الربانية وعز القدس الإلهي، فكان رجب شهر الاستغفار وهو المحطّة الأولى في رحلة العمر المضنية، للتخلص من المثقلات التي أثقلت هذه العجلة.

وشعبان المعظم هو المحطّة الثانية من محطّات التأهيل الروحي للوصول إلى باحة القدس الإلهي، لذا جاء في مقطوعة الدعاء التي في صدر الحديث، سؤال المؤمن لربّه تعالى أن يهب له مسألتين خطيرتين:

الأولى: أن يهب لنا كمال الانقطاع إليه عزّ وجلّ، بمعنى: أن تنقطع إليك قلوبنا ومشاعرنا ونتوجّه إليك بكلّ أحاسيسنا، ونخلص إليك أعمالنا وطاعتنا، لنتأهل للوصول إلى باحة لطفك وعنايتك.

الثّانية: أن ينير بصر قلبه بضياء النّظر إليه عزّ وجلّ، لأنَّ بهذا الضياء يستطيع أن يخترق الحجب للوصول إلى معدن العظمة وعزّ القدس الإلهي.

ومن الملاحظ دقّة تعبير المعصوم عليه السلام في اختياره ما يليق من الكلمات.

---

(١) سنن النبي الأكرم / ٧٢: ٣

(٢) بحار الأنوار: ٩٤ / ٣٣ – ٣٤

(٣) سنن النبي الأكرم / ٧١: ٤

فقد قال: (وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك)، ولم يقل: وأنر أبصارنا، لأنّ التّطلّع للوصول إلى الله تعالى والنظر إليه لم يكن عبر الحدود والمواقع المكانية، لأنّه عزّ قريب في علوّه وعال في قربه ودنوّه، ولأنّ المؤمن يرى الله تعالى ببصر القلب لا بحاسّة البصر، فهو تعالى قريب منه بالرحمة والعناية والرّعاية والرّقابة ودقّة الملاحظة، وبعيد عنه بالجلال والكبرياء والعظمة وكنه الذّات، فلا القرب يستنقص من عظمته وعزّ جلاله، ولا البعد يستنقص من علمه به ورعايته له.

ومن ناحية أخرى: قال: (بضياء النّظر إليك) ولم يقل بالنّظر فقط، لأنَّ النظر حتى في مجال الماديات قد يتحقّق ولا تتحقّق الرّؤية الواضحة، وذلك عندما يكون الإنسان مشرئبًّا بالنّظر إلى الأشياء ولكنه يفتقد حزمة الضّوء التي يستطيع أن يستكشف بها الكثير من المعالم، فلا يستطيع أن يتوصّل إلى رؤية واضحة يستكشف بها معالم هذا المشهد أو ذاك، فكذلك الرّؤية القلبية لا تتحقّق ما لم تكن هناك حزمة من الضياء التي تخترق كلّ الحواجز.

ومن ناحية ثالثة، قال: (حتى تخرقَ أبصارُ القلوب حُجبَ النّور فتصل إلى معدن العظمة...) ولم يقل: حجب الظلام، لأنّه لا ظلام أمام بصر القلب وقوّة الروح، إذ إنَّ المؤمن يسعى نوره بين يديه فتذوب أمامه المسافات والحواجز والظّلمات.

إذن: فمن أجل التّأهّل للقرب ينبغي أن نستفيد من شهر شعبان المعظم كمحطة للتأمل والحركة والتكامل من خلال منطلقين:

الأول: من خلال قدر ومكانة هذا الشهر، الذي يعدّ بوّابة الأدب مع الله تعالى بالتقديس له والتعظيم لجلاله، والتّذلّل إليه بالمسألة والطلب، ثم الدخول إلى ساحة قدسه من خلال الاستنان بسنّة نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله، كما يقول الدعاء:

(وَهذا شَهْرُ نَبِيِّكَ سَيِّدِ رُسُلِكَ، شَعْبانُ الَّذي حَفَفْتَهُ مِنْكَ بِالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوانِ، الَّذي كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ يَدْأَبُ في صِيامِه وَقِيامِه في لَيالِيهِ وَاَيّامِه بُخُوعاً لَكَ في اِكْرامِه وَاِعْظامِه اِلى مَحَلِّ حِمامِه، اَللهُمَّ فَاَعِنّا عَلَى الْاِسْتِنانِ بِسُنَّتِه فيهِ، وَنَيْلِ الشَّفاعَةِ لَدَيْهِ، اَللهُمَّ وَاجْعَلْهُ لي شَفيعاً مُشَفَّعاً وَطَريقاً اِلَيْكَ مَهيعاً..)

لذا فإنّ مَثَله كمثل الركوع في الصلاة، الذي عبّر عنه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: (...والركوع أوّل والسجود ثان فمن أتى بمعنى الأول صلح للثاني، وفي الركوع أدب وفي السجود قرب، ومن لا يحسن للأدب لا يصلح للقرب، فاركع ركوع خاضع لله عز وجل، متذلّل بقلبه، وجل تحت سلطانه، خافض لله بجوارحه خفض خائف حزين على ما يفوته من فوائد الراكعين)[1]،

إذ يستوحى من هذا الحديث، أنَّ الركوع في الصلاة تعظيم لمن تريد التقرّب إليه، فمن لم يعظّم الله تعالى في فكره وقوله وفعله لم يتأهّل للدخول إلى ساحته.

---

(١) مصباح الشريعة: ١ / ٣٧

الثاني: من خلال أحداثه ومناسباته، بمعنى: أن نولد مع ميلاد القيم والمثل العليا والمبادئ التي تستوحى من الأحداث التي وقعت في هذا الشهر المعظّم.

أن يولد فينا الإباء، وروح التّحرر من قيود الذّات والأنا، والرّفض لكلّ ما هو دنيء، والتّضحية بمصالحنا وأنانياتنا وذواتنا، مع ميلاد أبي الأحرار الإمام الحسين بن علي عليهما السلام.

وأن تولد فينا الرّوح العباديّة المتعلّقة بالمثل الأعلى والسند الأكبر جل في علاه، مع ميلاد زين العابدين وسيّد الساجدين علي بن الحسين السجاد عليه السلام.

وأن يولد فينا الوفاء والنّصيحة وصدق الإخاء والمواساة للمؤمنين مع ميلاد بطل العلقمي الصابر أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام المواسي لأخيه الحسين عليه السلام.

وأن يولد فينا الاستعداد لحمل المسؤولية والعمل على نشر العدل في أنفسنا وأهلينا والثأر لديننا ورسالتنا، والاستعداد لنصرة الإمام الحجة المنتظر عليه السلام في غيبته وحضوره، وذلك من خلال وعينا لموقعنا في التأريخ، وما هو القدر الذي أولاه لنا رسول الله صلى الله عليه وآله لقاء ولائنا وحبّنا لأهل البيت الطاهر عليهم السلام لننطلق من هذا المنطلق في حركتنا لمعرفة.

أوّلاً: ما هي النّصرة الحقيقية لأهل البيت عليهم السلام وكما دلّت بعض النّصوص الواردة على: (أنّ في الجنة ثلاث درجات، أعلاها لمن أحبّهم بقلبه ونصرهم بلسانه ويده).

ثانيا: ما هي الأسباب والطّرق التي تتمثّل فيها النّصرة الحقيقية لأهل البيت عليهم السلام، وهي.

أ- دراسة واستيعاب محاور الحركة والسلوك الذي عليه أهل البيت عليهم السلام وما أعطوه من معالم هذا الخط، ومن أساليب العمل وترسيخ جذور العقيدة الإسلامية الصّحيحة، وقواعد المذهب الحق.

ب- العمل على ضوء هذا الوعي، والانطلاق من واقع المعرفة لمنهج أهل البيت عليهم السلام وأخلاقهم لخوض ميدان ومعترك الصراع ضد الحركات الضّالّة المعاصرة.

ج- نكران الذّات والتّضحية بكلّ العناوين، وتجاوز كافة الاعتبارات المادّيّة والجاهية، والمراكز الاجتماعية والسياسية في سبيل المذهب الهادي إلى الحق.

د- رفض ونبذ الخلافات، وتحكيم منطق العقل، وتدعيم الرابطة بأهل البيت عليهم السلام وأن يكون حبّهم جامعًا لكلّ التّطلّعات والأهداف والغايات، والاهتمام بدراسة تراثهم وتأريخهم الحافل بالتضحيات، والمفعم بالقيم السَّامية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

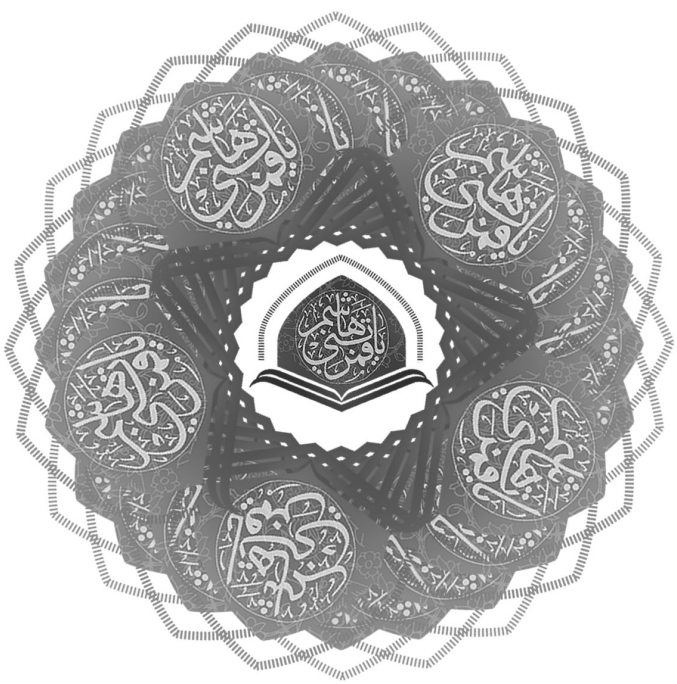

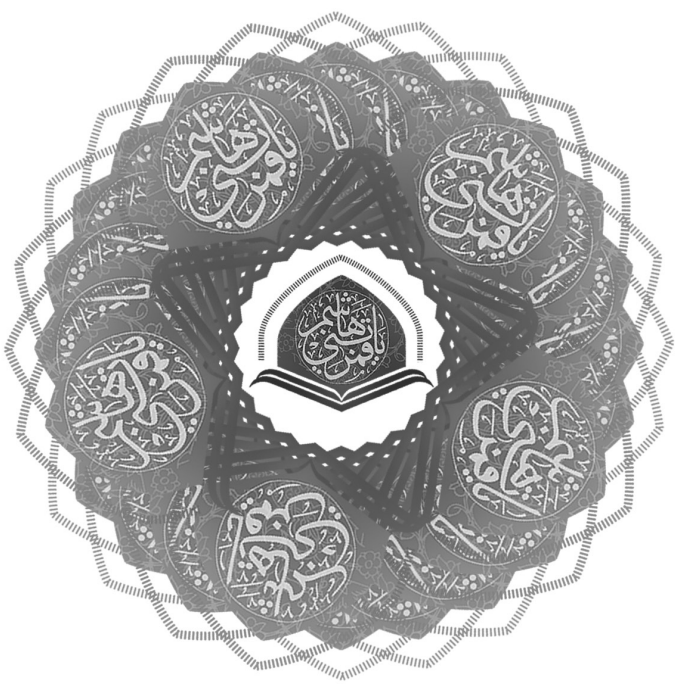

دعـــاء أهل الثغـــور للإمام زين العابدين عليه السلام دراسة دلالية

م.م أحمد راضي جبر

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، خالق الخلق ورازقهم، فالق الحبِّ والنوى، حمدًا يوازي نعمه، كما يحبّ ويرضى، والصلاة والسلام على سيّد الخلق المبعوث رحمة للعالمين، محمد المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين مصابيح الدجى وسفن النجاة .

أما بعدُ

فيعدُّ الدعاء من أقرب الطرق التي يسلكها العبدُ لطلب العون والمدد من المولى جل وعلا، وهذه الغاية تعدُّ أدنى مراتب الدعاء، فإذا صدرت كلمات الدعاء من القلب، وتجاوزت اللسان، أحسَّ العبدُ بلذة لا توصف وهو يخاطب الله تبارك وتعالى، يسبح في نورانية الحضرة المقدسة، ولهذا كان ((أولياء الله لا يتلذذون بشيء كالدعاء، فإنَّهم يكشفون لدى محبوبهم الحقيقي كل طموحات وآمال قلوبهم ويهمهم الدعاء نفسه، والطلب والاحتياج أكثر مما تهمهم مطالبهم، وتحقيق آمالهم لا يشعرون بالملل والتعب أبدًا في تلك اللحظات)) [1] . فهي لحظات اللقاء بالمعشوق الأزلي .

وقد يورد إشكال وهو إذا كان الله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، فما جدوى الكلمات التي يخاطب بها العبد ربَّه عز وجل طالبا منه حوائجه، ولدفع الضرر عنه، فيردُّ ذلك الإمام الصادق عليه السلام: ((إن الله تبارك و تعالى ليعلم ما يريد العبد إذا دعاه، و لكن يحب أن يبث إليه الحوائج و إذا دعوت فسم حاجتك و ما من شي ء أحب إلى الله سبحانه من أن يُسألَ)) [2] .

من هذا المفهوم جاءت فكرة هذا البحث وهي إبراز أثر الدعاء على الروح الجهادية للمؤمنين، مستندا إلى أدعية سيد الساجدين الإمام زين العابدين عليه السلام ولا سيما دعاء الثغور الذي يعدُّ بحقٍّ أكبر زادٍ يتزود به المجاهد، فهذا الدعاء فيه من الطاقة الإيجابية التي تستنهض المقاتلين لحفظ البلاد والعباد من أعداء الله تعالى والإنسانية .

واقتضت خطة البحث أن تقسم على مبحثين أحدهما: يدرس الدلالة التركيبية من حيث: دلالة الجملة، ودلالة التنكير، . أما المبحث الآخر فاشتمل على دلالة حروف المعاني . وسبق هذين المبحثين تمهيد ومقدمة .

(١) الدعاء، مرتضى مطهري ٧ .

(٢) الدعوات، قطب الدين الراوندي ٥ .

التمهيد

الدعاء من الأغراض البلاغية التي يخرج لها الأمر و النهي، والأصل في الدعاء أن يكون : ((كالنداء إلا أن النداء قد يقال بيا أو أيا، ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو يا فلان، وقد تستعمل كل واحد منهما موضع الآخر، قال تعالى: ﴿ **كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء** ﴾[1] ويستعمل استعمال التسمية نحو دعوت ابني زيدا، أي سميته، قال تعالى: ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا** ﴾[2] ... ودعوته إذا سألته وإذا استغثته، قال تعالى: ﴿ **قالوا ادعُ لنا ربك** ﴾[3] أي سله))[4] .

فإنَّ لهذه الكلمة معانيَ متقاربة فهي تشبه النداء والسؤال، والسؤال هنا على وجه التضرع والاستكانة ، لأنه صادر من العبد إلى الرب، من هذا يتضح أنَّ الأمر إذا كان صادرًا من الأدنى إلى الأعلى كان بمعنى الدعاء.

ويعدُّ الدعاء أفضل سلاح يتوسل به إلى الحق تبارك وتعالى للحصول على حاجاته منه، فهو حصن يتحصن به العبد من مكاره الدنيا وعقوباتها، قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعاؤكم** ﴾[5] . ومعنى هذه الآية المباركة: ((أيُّ عبءٍ يعبأ بكم لولا دعاؤكم، يعني أنكم لا تستأهلون شيئاً من العبء بكم لولا عبادتكم، وحقيقة قولهم ما عبأت به: ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبئاً عليّ، كما تقول: ما اكترثت له))[6].

وقد جعل الله تبارك وتعالى الدعاء العبادة كلها، إذ يقول: ﴿ **وقَالَ رَبُّكمُ ادْعُوني أَستَجِب لَكمْ إِنَّ الَّذِينَ يَستَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتي سيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾[7]، إذ يروى عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية المباركة أنه قال: ((الدعاء هو العبادة التي قال الله عز وجل: ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ ادع الله عز وجل ولا تقلْ إن الله قد فرغ منه))[8].

ولأهمية الدعاء في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ارتأى الباحث أن يكون ميدان دراسته نصًّا مباركاً لإمام مكرَّم أفنى عمره في عبادة الحق جل وعز، حتى لُقِّب بسيد الساجدين ألا هو الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، إذ ورثنا عن هذا الإمام المقدس إرثاً مباركًا هو الصحيفة السجادية، التي تعد بحقٍّ برنامجَ عملٍ للفرد المسلم .

تعدّدت مضامين الأدعية في الصحيفة السجادية [9]، ومن هذه الأدعية دعاء أهل الثغور الذي يتضمن

---

(١) سورة البقرة ، من الآية ١٧١ .

(٢) سورة النور من الآية ٦٣ .

(٣) سورة البقرة، من الآية ٦٨ .

(٤) مفردات ألفاظ القران ١٩٠ .

(٥) سورة الفرقان، من الآية ٧٧ .

(٦) الكشاف ٤/ ٤٨٩ .

(٧) سورة فاطر، الآية ٦٠ .

(٨) نور الثقلين ٤/ ٨٦ .

(٩) ينظر: الصحيفة السجادية الكاملة من أدعية الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، منشورات العتبة العلوية المقدسة، تقديم السيد محمد باقر الصدر .

مناجاة الإمام السجاد عليه السلام للباري تعالى يسأله أن يحمي بلاد المسلمين من كيد الكافرين، وأن يؤيد حماة المسلمين المرابطين على حدودنا بتلك العبارات التي تبعث العزة والحمية في نفوس المجاهدين .

وجاء هذا الدعاء على شكل فقرات، رصع هذا الدعاء بأماكن متفرقة منه بالصلاة على النبي وآله مراتٍ متعددة، وزيَّن دعاءه باقتباس معاني كثير من الآيات المباركات، كقوله عليه السلام: ((وشرّد بهم من خلفهم، ونكل بهم من ورائهم، واقطع بخزيهم أطماع من بعدهم)) إذ اقتبس هذا المعنى من الآية المباركة: ﴿ **فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾[1] . ويتراءى للباحث أن الإمام عليه السلام قد اقتبس قوله عز وجل: ﴿ **وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**﴾[2]. في قوله عليه السلام: ((اللهم عقم أرحام نسائهم، ويبس أصلاب رجالهم)) .

وفي قوله عليه السلام: ((وامددهم بملائكة من عندك مردفين حتى يكشفوهم إلى منقطع التراب قتلا في أرضك وأسرا)) نجد هذا المعنى تزوَّده من قوله تعالى: ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾[3] .

إنَّ هذا الدعاء قد قُسِّم على أقسام افتتحه بالصلاة على النبي وآله، وقد تكررت هذه الصلاة كثيرًا في الدعاء، **والقسم الثاني** الدعاء للمجاهدين المرابطين في سوح الجهاد يصدون أعداء الله والإسلام ويردون كيدهم في نحورهم . كقوله عليه السلام: ((وأنسِهم عند لقائهم العدو ذكرَ دنياهم الخداعة الغرور، وامح عن قلوبهم خطرات المال الفتون، واجعل الجنة نصب أعينهم، ولوح منها لأبصارهم ما أعددت فيها من مساكن الخلد، ومنازل الكرامة والحور الحسان والانهار المطردة بأنواع الأشربة والأشجار المتدلية بصنوف الثمر حتى لا يهم أحد منهم بالإدبار، ولا يحدث نفسه عن قرنه بفرار)) .

والقسم الثالث: يدعو على أعداء الدين المعتدين الذين يتربصون بالإسلام وأهله الدوائر بأن يضعف قوتهم ويشتت شملهم وما شابهه، كقوله عليه السلام: ((اللهم افلل بذلك عدوهم، واقلم عنهم أظفارهم، وفرّق بينهم وبين أسلحتهم، واخلع وثائق أفئدتهم، وباعد بينهم وبين أزودتهم وحيرهم في سبلهم، وضللهم عن وجههم، واقطع عنهم المدد، وانقص منهم العدد، واملا أفئدتهم الرّعب، واقبض أيديهم عن البسط، واخزم ألسنتهم عن النطق، وشرّد بهم من خلفهم، ونكّل بهم من ورائهم، واقطع بخزيهم أطماع من بعدهم)) .

والقسم الرابع: يدعو فيه (صلوات الله عليه) لمن كان يزود المجاهدين وأعان أهليهم وذويهم بالمال، أو يمدُّ المجاهدين بالعتاد والسلاح، فهؤلاء كان لهم نصيب من دعاء الإمام عليه السلام. كقوله عليه السلام: ((اللهم وأيّما مسلم خلف غازيًا أو مرابطًا في داره، أو تعهّد خالفيه في غيبته، أو أعانه بطائفة من ماله، أو أمدّه بعتاد، أو شحذه

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٥٨ .

(٢) سورة نوح، الآية ٢٥ .

(٣) سورة الأنفال، الآية ٩ .

على جهاد، أو أتبعه في وجهه دعوة، أو رعى له من ورائه حرمة، فاجر له مثل أجره وزنًا بوزن، ومثلاً بمثل، وعوّضه من فعله عوضًا حاضرًا يتعجّل به نفع ما قدم وسرور ما أتى به، إلى أن ينتهي به الوقت إلى ما أجريت له من فضلك، وأعددت له من كرامتك))

وكان القسم الخامس لمن ضعف عن الجهاد ولم يتمكن من تجهيز جيوش المسلمين لقصر ذات اليد سهمٌ في دعائه، ولم يُحرموا من هذه النعم التي سألها عليه السلام الله تعالى، كقوله عليه السلام: ((اللهم وأيّما مسلم أهمّه أمر الإسلام، وأحزنه تحزّب أهل الشرك عليهم فنوى غزوى، أو همّ بجهاد فقعد به ضعف، أو أبطأت به فاقة، أو أخّره عنه حادث، أو عرض له دون إرادته مانع فاكتب اسمه في العابدين، وأوجب له ثواب المجاهدين، واجعله في نظام الشّهداء والصّالحين)) .

المبحث الأوّل: الدّلالة التّركيبيّة

توطئة

إنَّ معنى التركيب في العربية هو: ضمُّ كلمةٍ إلى أخرى بشرط إفادة المعنى[1]، فالكلمة وحدها يتكفّل بمعناها المعجم اللغوي، وقد يختلف هذا المعنى ويتعدّد بحسب تركيب المفردة مع غيرها في الجملة، فمثلاً كلمة (عين) لها معانٍ متعدّدة في المعجم، لا يتضحُّ المراد منها وحدها، حتى تقرن مع سواها في تركيب فيتضح معناها، فهناك فرق في دلالة العين في الآيتين الكريمتين: (فيهما عينان تجريان) و (ألم نجعل له عينين)، فلو جاءت كلمة (عينان) مستقلة مفردة لما تبيَّن معناها، وتحمل آنذاك المعاني التي وُضعت لها كلها، ولكن لمَّا دخلت في جملة وتعالقت مع غيرها في تركيب، أفادت معنًى واحداً لا غير، فالأولى تعني نبع الماء، والأخرى تفيد العين الباصرة .

وقد حُدَّت الدَّلالة التركيبية بأنَّها: الدّلالة الناشئة من العلاقة بين وحدات التركيب، أو المستمدة من ترتيب وحداته على نحو يوافق القواعد[2]، وأطلق عبد القاهر الجرجاني على هذا الدّلالة التركيبية اسم (النظم)، قال: ((واعلمْ أنْ ليسَ النظم إلا أن تضعَ كلامَك الوضعَ الذي يَقتضيهِ علمُ النّحو، وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه، وتعرفَ مناهجَهُ التي نُهِجَتْ، فلا تزيغ عنها وتحفَظ الرُّسومَ التي رُسمتْ لك فلا تُخلَّ بشيءٍ منها))[3] .

وتتجلى الدّلالة التّركيبية في الجملة، سواء كانت فعلية أو أسمية، وقد تكفّل بدراستها علم النحو، وقد عرَّفها النحويون بأنَّها ((الكلام الذي يحسن السكوتُ عليه))[4]، وقد ((عُنِي هؤلاء العلماء بدراستها من حيث بنيتها السطحية، وبنيتها العميقة، فقد حرصوا على أن يبيِّنوا كلَّ ما يتعلق بأساليب الكلام العربي، وإظهار

(١) ينظر: الأصول في النحو ٢ / ١١١، واللباب في علل الإعراب ١ / ٥٠٥ .

(٢) ينظر: أثر الوقف على الدلالة التركيبية ٦٧-٦٨ .

(٣) دلائل الإعجاز ٧٧ .

(٤) شرح ابن عقيل ١ / ١٤ .

خصائصه النحوية والبيانية، والإشارة إلى مواطن الحسن والقبح فيه)) [1] .

وعملهم هذا كان عن طريق دراسة العلاقات القائمة بين مفردات التركيب، فمن تحليل النصِّ يُعرَف الفاعلُ من المفعولِ، والمسندُ من المسندِ إليه، وختاماً المعنى المقصود من هذا التركيب، وهي الغاية الأساسية للغة [2]، فإنَّما وُضِعَتِ اللغة لوظيفةٍ معيَّنةٍ، وقد بيَّن ابنُ جني هذا المعنى بقوله: ((اللغة أصوات يعبِّرُ بها كل قوم عن أغراضِهم)) [3] .

وقد درس الباحث بعضاً من مظاهر الدلالة التركيبية في نصّ دعاء الثغور للإمام السجاد عليه السلام، قسمتها على مطلبين:

المطلب الأول: دلالة التنكير

لقد عرَّف المعجميون النكرة بتعاريف متعددة، تكاد تكون متقاربة، يجمعها جامع عام وهو أنها كل ما دلّ على شيءٍ مجهولٍ [4]، أمَّا النحاة فقد وضعوا حدوداً لها أيضا حالهم بذلك حال المعجميين وتكاد تكون متشابهة كذلك ، فحدَّها ابن السرّاج (٣١٦ هـ) بأنّها ((كلُّ اسمٍ عَمَّ اثنَينِ فصاعداً)) [5]، وعرّفها الزجاجي بقوله: ((كلُّ اسمٍ شائعٍ في جنسِه، ولا يخصُّ به واحد دون آخر)) [6]، وعرفها الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) بأنها: ((ما وُضِعَ لشيءٍ لا بعينه، كرجلٍ، وفرسٍ)) [7] .

وقد عرفها البلاغيون بتعريفات تكاد تكون تعريفات النحاة أنفسهم . قال الجرجاني: ((إن النكرةَ ما عَمَّ شيئين فأكثر، وما أريدَ به واحدٌ من جنس لا بعينه))[8] .

والذي يُفهَم من هذه التعريفات أنَّ النكرةَ تفيد العموم و الشمول، فلو قلتَ : رأيتُ إنساناً. لدلَّت لفظة (إنسان) على كل شخصٍ يصدق عليه هذا المسمى .

وبهذا المعنى ذهب النحويون إلى أن الأصل هو النكرة، لأنَّها تفيد العموم، فإذا أردت أن تخصص أتيت بالمعرفة . قال سيبويه: ((واعلَمْ أنَّ النكرةَ أخَفُّ عليهم مِنَ المعرفةِ، وهي أشدُّ تَمَكُّناً، لأنَّ النكرةَ أوَّلٌ، ثم يَدْخُلُ عليها ما تُعَرَّف به)) [9] .

وتابعه في ذلك المبرِّدُ أيضاً، قال: ((وأصلُ الأسماء النكرة، وذلك لأنَّ الاسم المنكَّر هو الواقعُ على كلِّ شيءٍ من أمَّتِه، لا يُخصُّ واحداً من الجنس دون سائره، وذلك نحو: رجل، وفرس، وحائط، وأرض، وكلُّ ما كان

---

(١) الدلالة النحوية في شرح نهج البلاغة لميثم بن علي البحراني ٧٢ .
(٢) ينظر: المصدر نفسه ٣٥ .
(٣) الخصائص ١/ ٣٣ .
(٤) ينظر: الصحاح (نكر)، و القاموس المحيط (نكر) .
(٥) الأصول في النحو ١ / ١٧٥.
(٦) الجمل في النحو ١٧٨ .
(٧) التعريفات ٢٤٢ .
(٨) أسرار البلاغة ٩٥ .
(٩) كتاب سيبويه ١/ ٢٢.

داخلاً بالبِنْيَة في اسم صاحبه فغيرُ مميزٍ منه، إذ كان الاسمُ قد جَمَعَهُما)) [1] .

ووردت النكرة في دعاء الثغور للإمام زين العابدين عليه السلام في مواضع متعددة، استشف منها الباحث دلالات مختلفة، ومنها:

١ – في قول الإمام السجاد عليه السلام: (لا تأذن لسمائهم في قطر، ولا لأرضهم في نبات) .

جاء هذا القول في معرض دعائه على أعداء الإسلام، وهو القسم الثاني من قسمي دعاء الثغور، وتضمن دعاءه عليه السلام على الكفار والمنافقين الذي يكيدون بالإسلام والمسلمين المكائد، ويتربّصون بهم الدوائر .

وتبرز دلالة التنكير واضحة في المفردتين (قطر، ونبات) ومن المعلوم أنّ النّكرة تفيد العموم، فهو عليه السلام يطلب من الله تعالى أن يمنعَ عنهم جنس القطر قليلاً كان أو كثيرًا، وهذا المعنى أداه تنكير مفردة (قطر)، فلو جاءت معرفةً لفُهِم منها قطرٌ بعينه، وهذا المعنى لا يريده المتكلم، وإنَّما أراد منع جنس القطر عن الأعداء، ولذلك جيء بـ(قطر) نكرةً لا معرفة .

ونظير هذا المعنى ما ورد في الدّعاء نفسه بقوله عليه السلام: (ولا لأرضهم في نبات) . فيستشف الباحث من تنكير (نبات) أنّها تفيد العموم لا نبات بعينه، فالإمام عليه السلام يسأل الله تعالى ألّا ينبت في أرض الأعداء نباتًا مهما كان نوع هذا النبات، وأن تبقى جرداء خالية .

ومما جاء في القرآن الكريم بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿ **إن اللهَ يأمركم أن تذبحوا بقرةً** ﴾ [2] . فقد ذكر المفسرون بهذه الآية المباركة أنّ موسى عليه السلام قد طلب من بني إسرائيل أن يذبحوا (بقرة) وقد وردت (بقرة) نكرة والمعنى الذي أفاده التنكير هنا هو العموم والشمول أي إنّهم لو ذبحوا أي بقرة لجاز لهم، ويعضد هذا المعنى حديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: ((والذي نفسُ محمدٍ بيدِه لو اعترضوا بقرةً فذبحوها لأجزأَتْ عنهم، ولكنْ شدَّدوا فشدّد اللهُ عليهم)) [3]، ولكن بني إسرائيل – ببغيهم وعنادهم – أخذوا يسألون موسى عليه السلام عن هذه البقرة، فعاقبهم الحق تبارك وتعالى بأن جعل لهذه البقرة أوصافاً غالية الثمن، فجالوا يبحثون عنها ((واستقصوا في طلبِ الوصفِ، فلمَّا تعيَّنت، لم يجدوها بذلك النعت، إلا عندَ إنسانٍ معيَّنٍ، ولم يبِعْها إلا بأضعافِ ثمنِها)) [4].

ويفهم من هذا المقطع من الدعاء الكريم للإمام عليه السلام بثُّ روح العزيمة في نفوس المجاهدين والمرابطين، بأن هناك سلاحاً إلهياً يسندهم، فيتحسسون بالقوة الإلهية وهي تقاتل أعداء الخالق والخلق تعينهم على مجاهدتهم، حتى تحقيق النصر المؤزّر .

٢ – في قول الإمام عليه السلام داعيًا للمجاهدين: ((اللهم وأيّما غاز غزاهم من أهل ملتك أو مجاهد

---

(١) المقتضب ٤ / ٢٧٦ .

(٢) سورة البقرة، من الآية ٦٧ .

(٣) تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب ٣٣٥ .

(٤) مفاتح الغيب ٣/ ١٢٢ .

جاهدهم من أتباع سنتك ليكون دينك الأعلى، وحزبك الأقوى وحظك الأوفى فلقّه اليسر وهيئ له الأمر، وتولّه بالنجح، وتخيّر له الأصحاب)) .

فقد وردت النكرة في هذا المقطع من دعائه عليه السلام بقوله (غازٍ، ومجاهد)، فقد جاءت نكرةً، لأنَّ الإمام لم يخصّص مجاهداً بعينه من دون سواه بهذا الدعاء، فكل غازٍ يحارب أهل الشرك ممَّن يريدون الشّرَّ بأهل الإسلام أن يغمره الله تعالى بعفوه ورحمته، وأن ييسرَ أمره، فالإمام عليه السلام يريد أن تعمَّ الرّحمة الإلهية المجاهدين جميعهم، ولهذا جاء بلفظ (غازٍ) نكرة لا معرفة . وهذه الدلالة فيها ما فيها من الدفع المعنوي للمقاتل، فكل مقاتل منهم يشعر بأنّه محط عناية الله تعالى، ولا فرق بين القائد والمقود، فكلهم سواء بعين الإمام السجاد عليه السلام يدعو لهم بوصفهم دروعاً يحمون العباد والبلاد .

٣- في قوله عليه السلام طالبًا العزة للمجاهدين: ((ولا تعفر لأحد منهم جبهة دونك)) .

فقد وردت النكرة مرتين بهذا النص، في (أحد، و جبهة) . وقد يرى الباحث أنَّ دلالة هذه النكرة في الموضعين العموم والشمول . فالإمام زين العابدين عليه السلام يسأل الله تعالى ألَّا يحنيَ أيَّ مجاهد ويخضع لأي مخلوقٍ، فهذه الجباه التي سجدت لله لا تنحني لغيره، هذه من حاجات الإمام صلوات الله عليه يطلبها من الحق جل وعلا . ويقوّي هذا المعنى ما ذكره العلامة الطباطبائي في الميزان في معرض تفسيره قوله تعالى: (و ما نرى لكم علينا من فضل)[1] ، فيرى العلامة أن مجيء النكرة في سياق النفي دالٌّ على العموم، قال: ((المراد نفي مطلق الفضل من متاع دنيوي يختصون بالتنعم به أو شيء من الأمور الغيبية كعلم الغيب أو التأيد بقوة ملكوتية، و ذلك لكون النكرة فضل واقعة في سياق النفي فتفيد العموم))[2].

٤- قال الإمام السجاد عليه السلام طالبا العون والمدد من الله تعالى لتقوية صفوف المجاهدين: ((وامددهم بملائكة من عندك مردفين حتى يكشفوهم إلى منقطع التراب قتلاً في أرضك وأسرًا، أو يقروا بأنَّك أنت الله الذي لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك)) .

إذ وردت (ملائكة) نكرة في هذا المقطع من الدعاء، والذي يراه الباحث في دلالة هذه النكرة الكثرة، فهو عليه السلام يسأل الله تعالى أن يُنزِلَ ملائكة كثيرين يعينوهم في جهادهم وقتالهم، حتى تتمَّ مهمة المجاهدين بأن يُبعدوا أعداء الله من أرض المسلمين، أو أن يخضعَ هؤلاء المعتدين إلى حوزة الإسلام ويؤمنوا بالله تعالى الواحد الأحد، وهذا الإمداد الإلهي بالملائكة هو من متطلبات النصر الغيبية التي يسند بها الباري عز وجل عباده المخلصين، في مواقف الرهبة والشدة، وقد ورد مثله في مواطن للقتال، ذكرها التعبير القرآني كقوله تعالى: ﴿ **إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ* بَلَى إِن تَصبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ* مَا جَعَلَهُ اللهُ**

(١) سورة هود، من الآية ٢٨ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن ١٠ / ١٠٦ .

إِلا بُشرَى لَكُم وَلِتَطمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصرُ إِلا مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الحَكِيمِ ﴾ [1] .

فهذه الآيات المباركة تتحدث عن حال المؤمنين في معركة بدر الكبرى، ومن المعلوم أن عدد جيش الإسلام في تلك المعركة كان ثلاث مئة وثلاثة عشر مقاتلا، فأمدهم الله تبارك وتعالى بخمسة آلاف من الملائكة، يؤازرونهم ويقوون شوكة الإسلام .

ونلحظ أنَّ الإمام﵀استعمل الفعل (امددهم) بفك الإدغام، مناسبةً للمعنى، ويدل على ذلك أنَّ فكَّ الإدغام في الآية المباركة ورد مع العدد الأكثر (يمددكم بخمسة آلاف) ذلك أنَّ الإمداد المتتابع يقوّي عزيمة المقاتلين ويوهن شوكة الأعداء .

المطلب الثاني: دلالة الجملة

قُسّمت الجملة في العربية من حيث ابتدائها باسم أو فعل إلى جملة اسمية وجمل فعلية، والذي يفيدنا في هذا التقسيم في موضوع بحثنا هو دلالة الاسم، ودلالة الفعل .

فالاسم هو: ((ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، وهو ينقسم إلى: اسم عين، وهو الدال على معنى يقوم بذاته، كزيد وعمرو، وإلى اسم معنى، وهو ما لا يقوم بذاته، سواء كان معناه وجوديًّا كالعلم أو عدميًّا كالجهل)) [2] .

فهو حدثٌ مجردٌ من الزمن، فيصلح لكل زمان، ولذلك لا تتغير صورته بتغير الجمل الداخل فيها، بخلاف الفعل فحدَّه النحويون بأنه: ((ما دلَّ على معنًى وزمانٍ، وذلك الزمان إما ماض وإما حاضر وإما مستقبل)) [3] . فالفعل حدثٌ مقترنٌ بزمن، ولذلك تتعدد صوره تبعاً لزمنه، فلو قلنا:

كتبَ زيدٌ .

يكتبُ زيدٌ .

لنجد أنَّ صورة الفعل اختلفت بين الماضي والمضارع، لاختلاف زمنه الجملة، أما الاسم (زيد) فبقيت صورته ثابتة، على الرغم من تغير زمن الفعل، لأن الاسم حدثٌ مجرد من الزمن، والفعل حدث مقترن بزمن .

وعلى هذا المعنى نجد أن الجملة الفعلية تتسم بالتغير والتبدل، أما الجملة الاسمية فهي ثابتة . ومثالاً على ذلك قول النبيِّ الأكرم ﷺ في سورة الفاتحة: ((قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ العَبْدُ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، قَالَ اللهُ؛ حَمِدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ اللهُ: أثنى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

(١) سورة آل عمران الآيات: ١٤ – ١٦ .

(٢) التعريفات ٦ .

(٣) الأصول في النحو ١/ ٣٨ .

نَسْتَعِينُ، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: اهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)) [1] . فالذي كان لله تبارك وتعالى هي (الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين) ولا يخفى على القارئ أنَّ هذه الألفاظ أسماء كلها، وتدل على ثبوت هذه الصفات للحق عز وجل، فصفاته سبحانه وتعالى ثابتة له في كل زمان ومكان، لا تخضع لقواعد الزمن والتغيير، فإذا ما انتقل إلى القسم الآخر الخاص بالعبد، تغيرت الجمل إلى جمل فعلية وهي: ((إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم ...)) فالعبادة والاستعانة لا تكون أحداثاً ثابتة عند المرء، وإنما متغيرة ومتبدلة تبعاً لهذا العبد من سواه، ولذلك جاء الخطاب بأسلوب الجملة الفعلية .

وقد جاء أسلوب الخطاب في دعاء أهل الثغور للإمام زين العابدين عليه السلام بمجمله بأسلوب الجملة الفعلية، بوصفه دعاءاً، يسأل الله تبارك وتعالى حاجاتٍ متعددة، لأحوال مختلفة، فمن الطبيعي أن يستعمل عليه السلام الأفعال بدلا من الأسماء .

وجاءت هذه الجمل الفعلية بأساليب متعددة منها:

١) النداء وفعل الأمر: وقد افتتح دعاءه عليه السلام به، بقوله: (اللهم صلِّ على محمد وآله) وجاء النداء بقوله: (اللهم) و هذه المفردة هي ((نداءٌ والميمُ ها هنا بدلٌ من يا، فهي ها هنا فيما زعم الخليل رحمه الله آخرَ الكلمة بمنزلة (يا) في أولها، إلا أنَّ (الميم)ها هنا في الكلمة كما أنَّ (نون) المسلمين في الكلمة بُنيت عليها. فالميم في هذا الاسم حرفان أولُهما مجزومٌ، والهاء مرتفعةٌ لأنه وقع عليها الإعراب)) [2] . ثم جاء بفعل الأمر وهو (صلِّ). واستعمل الإمام عليه السلام في هذا الدعاء وغيره فعل الأمر إذا أراد أن يُنعمَ عليه الله تعالى بحاجاته، وقد تكررت جملة (اللهم صلِّ على محمد وآله) مراتٍ متعددة في هذا الدعاء .

٢) الدعاء بفعل الأمر: الأمر هو ((طلب وقوع الفعل من الفاعل المخاطب بغير لام الأمر مثل: (جئْ و اجتهدْ وتعلمْ))) [3] . واحترز بهذا التعريف عن معنى الامر بلام الامر ؛ فهذه اللام تدخل على الفعل المضارع وتفيد معنى الامر، إلا انه ليس بأمر بالمعنى الاصطلاحي، وقد وضع الغلاييني علامة له بـ((أن يدل على الطلب بالصيغة، مع قبوله ياء المؤنثة المخاطبة مثل اجتهدي)) [4] ، وذهب الراغب في المفردات إلى أبعد من ذلك، إذ قال: ((والأمر التقدم بالشيء سواء كان ذلك بقولهم افعلْ وليفعلْ أو كان بلفظ خبر نحو قوله تعالى: ﴿**والمطلقات يتربصن بأنفسهنّ** ﴾ [5] . أو كان بإشارة أو غير ذلك، ألا ترى ما سمّى إبراهيم في المنام من ذبح ابنه أمرا، قال تعالى: ﴿ **إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى، قال يا أبتِ افعل ما تؤمر**﴾ فسمى ما رآه في المنام من تعطي

(١) صحيح مسلم، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة برقم (٣٩٥) ١ / ٢٩٦ .
(٢) الكتاب ١/ ١٣٢ .
(٣) جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلاييني، ١/ ٢٧ .
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٧
(٥) سورة البقرة، من الآية ٢٢٨ .

الذبح أمرا)) [1] . وتخرج دلالة الأمر من الإلزام إلى الدعاء إذا كان الآمر أدنى رتبة من المأمور .

وجاء الدعاء بأسلوب الأمر بدعاء الإمام عليه السلام كثيرا، وكان على قسمين، منها كان يدعو للمجاهدين المرابطين بثغور المسلمين يسأل الله تعالى أن يمنَّ عليهم بصنوف الرحمة والنصر والظفر، فمن ذلك قوله عليه السلام: ((وحصن ثغور المسلمين بعزتك، وأيد حماتها بقوتك، وأسبغ عطاياهم من جدتك)) .

والآخر: يدعو على أعداء الله والإسلام، ومن ذلك قوله عليه السلام: ((اللهم أخل قلوبهم من الامنة وأبدانهم من القوة، وأذهل قلوبهم عن الاحتيال وأوهن أركانهم عن منازلة الرجال، وجبنهم عن مقارعة الابطال، وابعث عليهم جندا من ملائكتك ببأس من بأسك كفعلك يوم بدر، تقطع به دابرهم وتحصد به شوكتهم، وتفرق به عددهم، اللهم وامزج مياههم بالوباء، وأطعمتهم بالادواء، وارم بلادهم بالخسوف، وألح عليها بالقذوف)) .

٣) الدعاء بأسلوب النهي: ينعقد النهي بـ(لا) الناهية الداخلة على الفعل المضارع، وهذا التركيب الطلبي يخرج إلى معنى الدعاء إن كان المنهي أدنى رتبة من المخاطب به، وقد جاء هذا الأسلوب بدعاء أهل الثغور كثيرا أيضاً، وكان في معرض دعائه على أعداء الإسلام والمسلمين، فمن ذلك قوله عليه السلام: ((لا تأذن لسمائهم في قطر، ولا لأرضهم في نبات)) و ((ولا تعفر لأحد منهم جبهة دونك)) .

وقد ختم الإمام عليه السلام دعائه بجملة اسمية واحدة، عند مدحه الله تعالى بذكر صفاته المقدسة، وتقديس أسمائه الحسنى، فقال: ((إنك المنان الحميد المبدئ المعيد الفعال لما تريد))

(١) مفردات ألفاظ القران الكريم ٣٢ .

المبحث الثاني

دلالة حروف المعاني

يعدُّ الحرف القسم الثالث من الكلم، وعناه سيبويه بقوله: ((وأمَّا ما جاءَ لِمَعْنًى، وليسَ باسْمٍ، ولا فِعْل، فنحو: ثُمَّ، وسوفَ، وواو القسم، ولام الإضافة، ونحوها)) [١]، فهو لفظ ليس له معنًى في نفسه، وإنما يتضح في غيره [٢] .

وكان عمل النحويين فيما يخص الحرف على نوعين:

الأول: درسوا هذه الأدوات من حيث عملها ، فقد شملت هذه الدراسات حروف المعاني في تناولها ((قواعدَ النَّحْوِ إجمالاً، فهي إذاً لا تَفْصِلُ الأدواتِ عن القواعدِ الأمِّ، وإنَّما تنظرُ إليها على أنَّها جُزْءٌ وثيقٌ منها، فكتابُ سيبويه مثلاً غنيٌّ بمباحثِ الحروفِ وأشكالِ ورودِها في كلامِ العربِ، ولكنَّه لم يَعْقِدْ فَصْلاً خاصاً بكلِّ أداة، لِيُعَدِّدَ معانيها ويذكرَ أحكامَها، و إنَّما تَتَفَرَّقُ فيه هذه المعاني بين ثنايا الكتابِ ، فهو قدْ يَذْكُرُ الأداةَ ضِمْنَ أُسْرَتِها، كقوله: (بابُ ما يعملُ من الأفعالِ فيجزمها وذلك: لَمْ، ولَمّا، واللامُ التي في الأمْرِ))) [٣]، وما عملَه الزَّجَّاجي في كتابه (اللامات)، إذ جمع الأحكام النحوية لكل حرفٍ [٤] .

والقسم الآخر: دراسات تنظر إلى دلالات هذه الحروف من معانٍ مختلفةٍ ، ومن هذه الدراسات ((منازل الحروف للرّماني ... عرض فيه لأهم الأدوات العربية، فذكر المعاني المشهورة لها وضرب مثلاً لكل معنى)) [٥].

والذي يهمنا من هذه الدراسات القسم الثاني، إذ تعددت دلالات النص باختلاف المعنى الذي يؤديه الحرف، وقد وردت دلالات متعددة لحروفٍ مختلفة في دعاء الإمام السجاد عليه السلام، منها:

*** دلالة الحرف (الباء):**

الباء من الناحية النحوية حرفٌ مختص بالأسماء، ولهذه العلة تعمل الجر في الاسم [٦] ، أما من الناحية الدلالية، فقد تعددت دلالات هذا الحرف بحسب السياق، مع انها ترجع في الأصل إلى معنًى جامع هو الإلصاق [٧]، وهو الذي اكتفى به سيبويه ولم يذكر غيره ، وسمّاه (الإلزاق) ، قال: ((وباءُ الجرِّ إنَّما هي للإلزاق والاختلاط، وذلك قولُكَ: خَرَجْتُ بِزيدٍ، ودَخَلْتُ بِهِ، وضربتُه بالسَّوْطِ: ألزقتَ ضَرْبَكَ إيَّاه بالسَّوْطِ، فما اتَّسَعَ مِنْ هذا في الكلام فهذا أصلُهُ)) [٨].

وتابعه في ذلك ابن السّراج، ومَن جاء بعده ، وجعل المرادي للإلصاق معنيين هما: ((حقيقي، نحو:

---

(١) كتاب سيبويه ١/ ١٢ .

(٢) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني ١/ ٦ .

(٣) رصف المباني (مقدمة المحقق) ١٣ .

(٤) ينظر: كتاب اللامات ٣١، و اللامات: الهروي (مقدمة المحقق) ٢٠ .

(٥) اللامات: الهروي (مقدمة المحقق) ٢٠ .

(٦) ينظر: الجنى الداني ٣٦ .

(٧) ينظر: المقتضب ١/ ١٧٧ ، وحروف المعاني (الزجاجي) ٤٧، والصاحبي في فقه اللغة ١٣٨ .

(٨) كتاب سيبويه ٤/ ٢١٧ .

أمسكت الحبل بيدي ... الثاني: التعدية: وباء التعدية هي القائمة مقام الهمزة، في إيصال معنى اللازم إلى المفعول به. نحو (ذهب الله بنورهم)))[1] .

وجعل المبرد معنىً آخر مستقلا عن (الإلصاق) هو (الاستعانة)، قال في حروف الجرِّ: ((ومنها الباءُ التي تكون للإلصاق والاستعانة، فأمّا الإلصاق فقولُك: (مررتُ بزيدٍ، وألممتُ بك)، وأمّا الاستعانة فقولُك: كتبتُ بالقلم))[2] .

وقد وجد الباحث دلالات متعددة للباء في دعاء الامام السجاد عليه السلام ومنها:

١ – في قوله عليه السلام داعيا لتحصين حصون المسلمين من الأعداء: ((وحصن ثغور المسلمين بعزتك، وأيد حماتها بقوتك)) .

فقد تعددت دلالة الباء في هذا النص تختلف دلالة النص بحسب هذه الدلالة، فلو جعلنا دلالة الباء الإلصاق تكون دلالة النص: أن الإمام عليه السلام يسأل الله تبارك وتعالى أن يمنَّ علينا بتحصين حدودنا وهذا التحصين مصحوبا بالعزة والمنعة، وأن يرزق المجاهدين المرابطين في سوح الوغى تأييده ونصره، وهذا التأييد يأتي مصحوباً بقوة الله تعالى، هذا المعنى الذي استشفه الباحث من دلالة الباء الإلصاقية، أما الدلالة الثانية التي تحتملها الباء في الموضعين هذين، هي الاستعانة ويكون المعنى تبعاً لهذه الدلالة أن تحصين ثغور المسلمين يكون مستعيناً بعزة الله تعالى، والتأييد الإلهي يتحقق بالاستعانة بقوة الله تبارك وتعالى .

والدلالة التي يراها الباحث أقرب إلى روح النص هي الدلالة الأولى فحماية بلاد المسلمين تأتي مصحوبة بعزة الله تعالى وتأييده ملاصقا لقوته عز وجل، هذه الدلالة فيها من الطاقة الإيجابية التي تزيد من عزيمة المقاتلين المجاهدين بأنهم بعين الله يمطرهم بحمايته وقوته وعزته.

* دلالة حرف (في):

(في) حرف مختص بالأسماء، عمله الجرُّ ، وله معانٍ تسعة، هي الظرفية وهي الأصل فيها ولم يذكر البصريون سوى هذا المعنى له[3] ، والمصاحبة، والتعليل، و المقايسة، وقد ضمنوها معاني حروفٍ أخرى مثل (على، والباء، و إلى، و من) وقد تأتي زائدة[4] .

وقد وردت دلالات مختلفة لهذا الحرف في دعاء الإمام السجاد عليه السلام تعددت دلالة النص بحسب كلِّ دلالة، منها:

١ – في قول الإمام عليه السلام: (والطف لهم في المكر) .

---

(١) الجنى الداني ٣٦ ، وينظر: الأصول في النحو ١ / ٤١٢– ٤١٣، والمفصل ٢٩٠، وشرح المقدمة الجزولية الكبير ٢ / ٨٢٨، وارتشاف الضرب ٤ / ١٩ .

(٢) المقتضب ١ / ٣٩ .

(٣) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني ٢/ ٤١ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٤٢ .

فالمعنى الأول الذي يُفهم لـ(في) في هذا النص التعليل، وهو من المعاني التي أثبتها المرادي لـ(في)، وتكون دلالة النصِّ: أنَّ الإمام﵇يسأل الله تبارك وتعالى أن يمنَّ على عباده المجاهدين بلطفه ورحمته حتى يكون هذا اللطف درعاً يتدرعون به من مكر الأعداء الذين نصبوا لهم المكائد، ويتحينون الفرص ليهجموا على بلاد المسلمين الآمنة .

ويعضد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ** ﴾ [1]، فكانت هؤلاء النسوة يلمْنَ امرأة العزيز لأنها عشقت فتاها، فكادت لهنَّ هذه المكيدة، حتى رأينهَ فدهشنَ من جماله﵇فقطعنَ أيديهنَّ، فقالت لهنَّ: ((عيَّرْتُنّني في الافتتان به حيث رَبَأْتُن بمحلِّي بنسبتي إلى العزيز، ووضعتُنَّ قدرَه بكونه من المماليك أو بالعنوان الذي وصفْنه به فيما سبق بقولهن: امرأةُ العزيز عشِقت عبدَها الكَنعاني، الذي صورتُنّ في أنفسكن وقلتنّ فيه وفيَّ ما قلتن، فالآن قد علمتُنّ من هو وما قولُكن فينا)) فإن لوم هؤلاء النسوة لامرأة العزيز إنما كان بسبب يوسف أو بسبب حبِّها له [2] .

أما الدلالة الأخرى التي تُفهَم من (في) في هذا النص المبارك، فهي الدلالة الأم لهذا الحرف، وهي الظرفية ويكون المعنى حينئذٍ: أن الإمام﵇يسأل الله تعالى أن يرزق عباده لطفه وتأييده ونصره، في حال مكر الأعداء لهم، فهم قد جيَّشوا الجيوش وشوشوا عقول الناس، تمهيداً للانقضاض على بلاد الإسلام، فعاثوا الخراب والدمار في العباد والبلاد، فالإمام﵇يدعو الحق تعالى ان يعين المجاهدين بعونه ولطفه في حال مكر الأعداء بهم . والله أعلم .

ويتراءى للباحث صحة المعنيين (التعليل والظرفية)، ففيهما من المعاني التي تعين المجاهد – لو وعاها – على جهاد أعدائه، فيعتقد تمام الاعتقاد أنه بعين الله يحميه من مكر الكفار .

*** دلالة الحرف (عن):**

(عن) حرف جرٍّ، ولها معانٍ متعددة، إلا ان أصلها المجاوزة، ولم يثبت البصريون سواه لها [3] ، ومثله قولهم: ((رميت عن القوس: لأنه يقذف عنها بالسهم ويبعده. ولكونها للمجاوزة عدي بها: صد، وأعرض، ونحوهما، ورغب، ومال، إذا قصد بهما ترك المتعلق. نحو: رغبت عن اللهو، وملت عنه)) [4] . أما المعاني الأخرى الفرعية عن هذا الاصل فهي: (البدل، والاستعلاء، والاستعانة، والتعليل، و ضمَّنوها معنى (في) ومعنى الظرف (بعد)) . وقد ورد هذا الحرف في دعاء الإمام السجاد﵇يحتمل اكثر من دلالة يختلف المعنى بحسب كلِّ دلالة، ومنها

١ – في قول الإمام﵇: ((اللهم اشغل المشركين بالمشركين عن تناول أطراف المسلمين، وخذهم بالنقص

---

(١) سورة يوسف، من الآية ٣١ – ٣٢ .

(٢) ينظر: مغني اللبيب ١/ ١٦٨.

(٣) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني ٢/ ٣٣.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٣٣ .

عن تنقصهم، وثبطهم بالفرقة عن الاحتشاد عليهم)) .

فالدلالة الأولى التي تُفهَم من (عن) في هذا النص هي المجاوزة، وعلى هذه الدلالة يكون معنى النص، أن الإمام﵇يسأل الله تبارك وتعالى أن يكون انشغال المشركين بعضهم ببعض وهذا الانشغال يكون مجاوزا المسلمين وبعيداً عن حدودهم، حتى يأمن المسلمون أذى المشركين واعتداءاتهم .

أما الدلالة الأخرى التي يستشفها الباحث من النص هي البدلية، فالامام﵇يدعو الله تعالى أن ينشغل المشركون بأنفسهم حتى توهَن قواهم، بدلا من مهاجمة بلاد المسلمين، وأن يأخذهم النقص بالأموال والجنود، بدلا من أن يتسببوا في احتلال بلادنا وينهبوا خيراتنا ممّا يتسبب بنقص المؤنة للمسلمين، وأن تصيبهم الفرقة والتشتت بدلا من توحيد صفوفهم وتحشيدها لغزو بلاد الآمنين .

ويسند هذا المعنى قوله تعالى: ((إن الذين كفروا لن تغنيَ عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً) [1]، فالآية المباركة تبين حال الكفار الذين لا يؤمنون بالبعث ولا بالحساب، فيخبرهم الحق تعالى أنَّ أموالكم التي جمعتموها وأولادكم على كثرتهم لن تكون في العذاب بدلاً عنهم [2] .

٢- في قوله﵇: ((اللهم وقو بذلك محال أهل الاسلام، وحصن به ديارهم، وثمر به أموالهم وفرغهم عن محاربتهم لعبادتك، وعن منابذتهم للخلوة بك حتى لا يعبد في بقاع الأرض غيرك)) .

لَّما فرغ الإمام﵇من سؤاله الله تعالى أن يوهن كيد الكافرين، ويُضعف قوتهم العددية والاقتصادية وغيرها، يبيِّن﵇أنّه إن ضعف المشركون انشغلوا بعضهم ببعض، وتقوى بذلك شوكة المسلمين، وتكون بلادهم درعاً حصينة بوجه الغزاة، ويسود البلاد والعباد الأمن والطمأنينة والرخاء، فإذا أمِن المسلمون التجؤوا إلى الحق تبارك وتعالى يعبدونه، ويناجونه ليل نهار .

وقد ورد الحرف (عن) في هذا النص المبارك للإمام﵇احتمل الباحث فيه دلالتين يختلف معنى النص تبعاً لكل دلالة، وهما:

الدلالة الاولى: المجاوزة، ويكون المعنى بحسب المجاوزة: أن يتفرغ المجاهدون إلى عبادة الحق تعالى منصرفين عن قتال المعتدين، وأن يناجوه عز وجل، وهم قد تجاوزا وانصرفوا عن مناوشة الأعداء ومراقبتهم، فالمشركون لا يؤمَنون بأية لحظة قد يهجمون على البلاد، ولهذا سأل الإمام﵇الله تعالى أن يوهنَ كيدهم ويشغل بعضهم ببعض ويفرقهم حتى يأمن المسلمون، وينصرف المجاهدون عن قتال الكافرين إلى عبادة الله ومناجاته.

الدلالة الأخرى: البدلية، ويكون المعنى هنا: أن الإمام (صلوات الله عليه) يسأل الله تبارك وتعالى أن يُنعم على المجاهدين أنهم بدلاً من قضاء نهارهم وليلهم وهم يدافعون عن بيضة الإسلام، يحمون الأرض

---

(١) سورة آل عمران، من الآية ١٠ .

(٢) ينظر: الوجيز ١ / ٣٨٤ .

والعرض، لا يعلمون متى يهجم عليهم الكافرين، بدلا من حالهم هذا أن يفرق شمل الكافرين ويوهن قواهم، و أن يبتليهم بنقص أموالهم وعددهم، فإذا كان هذا انشغل المجاهدون باللقاء الإلهي، ومتّعوا أنفسهم بلذة الدعاء والمناجاة مع المعشوق الأزلي سبحانه وتعالى بدلاً من حالتهم الأولى .

ويرى الباحث أنه وإن اختلف دلالة الحرف (عن) في هذا المقطع من دعاء الإمام، ففي كلتا الدلالتين معنى يُحفِّز المجاهد على جهاده، ويذَكِّره بعلة خلقه، فالإنسان إنما خلقه الله تبارك وتعالى لأن يعبده وحده لا شريك له .

نتائج البحث

بعد هذه السياحة الفكرية والروحية، وأنا انتقل بين كتاب الله العزيز وبين نفحات الإمام السجاد عليه السلام وعنايته الأبوية للمجاهدين والتي تمثلت في دعاء أهل الثغور، خرجت هذه الدراسة بثمار، منها:

- اقتباس الإمام السجاد عليه السلام كثيراً من معاني دعائه من القرآن الكريم . وهو أمر طبيعي إذ يعدُ القرآن المعين الذي يغترف منه أولياء الله .
- اتضح أنَّ هذا الدعاء قد قُسِّم على أقسام افتتحه بالصلاة على النبي وآله، وقد تكررت هذه الصلاة كثيرًا في الدعاء، والقسم الثاني الدعاء للمجاهدين المرابطين في سوح الجهاد يصدون أعداء الله والإسلام ويردون كيدهم في نحورهم . والثالث يدعو على أعداء الدين المعتدين الذين يتربصون بالإسلام وأهله الدوائر بأن يضعف قوتهم ويشتّت شملهم وما شابهه، والقسم الآخر يدعو فيه (صلوات الله عليه) لمن كان يزوّد المجاهدين وأعان أهليهم وذويهم بالمال، أو يمدُّ المجاهدين بالعتاد والسلاح، فهؤلاء كان لهم نصيب من دعاء الإمام عليه السلام. وكان لمن ضعف عن الجهاد ولم يتمكن من تجهيز جيوش المسلمين لقصر ذات اليد سهمٌ في دعائه، ولم يُحرموا من هذه النعم التي سألها عليه السلام الله تعالى .
- استشف الباحث دلالات متعددة للتنكير في دعاء الإمام عليه السلام منها العموم والشمول ولاسيما التي جاءت في سياق النفي، وأفادت التكثير .
- استعمل الإمام عليه السلام في دعائه كلِّه ما خلا الجملة الأخيرة منه، اسلوب الجملة الفعلية، لما تتسم فيه من تغير مستمر يتناسب وحالة المدعو له أو المدعو عليه، في حين نراه استعمل الجملة الاسمية حينما ذكر صفات الحق سبحانه وتعالى وأسماءه فهي صفات ثابتة لا متغيرة فذكرها بما يناسبها وهي الجملة الاسمية .
- في دلالة الحروف، وجد الباحث أنَّ هناك حروف المعاني احتملت أكثر من دلالة، تغير المعنى بحسب كلِّ دلالة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين .

مصادر البحث:

القرآن الكريم

* أثر الوقف على الدلالة التركيبية: د. محمد حبلص، دار الثقافة العربية، دمشق، ١٩٩٣ م .

* ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان النحوي (أثير الدين محمد بن يوسف ت ٧٤٥هـ)، تحقيق د. رجب عثمان محمد، ومراجعة د. رمضان عبد التواب، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م .

* أسرار البلاغة: الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمن ت ٤٧١ هـ)، تحقيق هـ . رتير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٩م .

* الأصول في النحو: ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل ت ٣١٦هـ)، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦ م .

* التبيان في تفسير القرآن: الطوسي، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، طبعة قم، ١٤٠٩ هـ .

* تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب: ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ)، تحقيق عبد الغني بن حميد بن محمود الكبيسي دار حراء، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٦هـ .

* التعريفات: الجرجاني (علي بن محمد بن علي ت٨١٦هـ)، تحقيق:إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٢ م .

* جامع الدروس العربية: الشيخ مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط ٢٨، ١٩٩٣م .

* الجمل في النحو: الزجاجي ، تحقيق د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٤، ١٩٨٨م .

* الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي (الحسن بن قاسم ت ٧٤٩ هـ)، تحقيق د. فخر الدين قباوة و الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م .

* حروف المعاني: الزجّاجي، حققه وقدم له د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦م .

* الخصائص: ابن جني (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٢م .

* الدعاء: مُرتضَى مُطهري، قم المقدسة، دار الزهراء ﷺ، ط٢، ١٤٣٠ هـ .

* الدعوات: الراوندي (قطب الدين سعيد بن هبة الله ت ٥٧٣هـ)، تحقيق عبد اللطيف الكوهكمري ، عنيت بطبعة مكتبة المرعشي، قم، ١٤٠٦هـ .

* الدلالة النحوية في شرح نهج البلاغة لميثم بن علي البحراني، احمد راضي جبر، رسالة ماجستير، جامعة بابل، ٢٠١٣ م . (غير منشورة).

* دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلَّق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٥، ٢٠٠٤م.

* رصف المباني في شرح حروف المعاني : المالقي (أحمد بن عبد النور ت ٧٠٢هـ)، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٥م .

* شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل ت٧٦٩هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط ٢٠، ١٩٨٠م .

* شرح المقدمة الجزولية الكبير : الشلوبين، تحقيق د. تركي بن سهو بن نزال العتيبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م .

* الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ)، تحقيق الشيخ أحمد صقر، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥ م .

* الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد ت في حدود ٤٠٠ هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي ، مصر، ١٩٦٧م .

* صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج (أبو الحسين القشيري النيسابوري ت ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، (د . ت).

* الصحيفة السجادية الكاملة من أدعية الإمام زين العابدين علي بن الحسين ﷺ، منشورات العتبة العلوية المقدسة، تقديم السيد محمد باقر الصدر .

* القاموس المحيط: الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن

يعقوب ت ٨١٧هـ) ، دار الجيل، بيروت، ١٩٥٢ م .
* كتاب سيبويه: سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٨م .
* الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر ت ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٤٧م .
* اللامات: الزجاجي، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٩٨٥ م .
* اللامات: الهروي (أبو الحسن علي بن محمد ت ٤١٥هـ)، تحقيق يحيى علوان البلداوي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط ١، ١٩٨٠م .
* اللباب في علل الإعراب: أبو البقاء العكبري، تحقيق غازي مختار طليمات و د.عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م .
* معجم مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل ت ٥٠٣هـ) تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م .
* مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق د. عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت، (د.ت) .
* مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي (محمد بن عمر بن الحسن ت ٦٠٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، ط ١، ١٩٨١م .
* المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، تحقيق د . علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، ط١، ١٩٩٣م .
* المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية: الشاطبي (إبراهيم بن موسى ت ٧٩٠ هـ)، تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ٢٠٠٥ م .
* المقتضب: المبرّد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٤ م
* الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي(ت ١٤٠٢ هـ (، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٩٩٧ .
* الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي أبو الحسن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، نشر دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٥هـ .

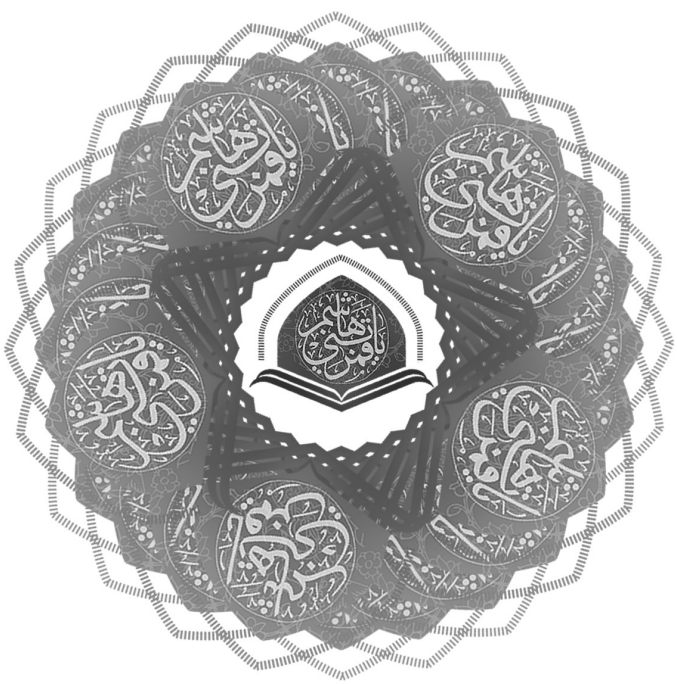

إمامة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وحياته الشخصية

الشيخ فوزي آل سيف

يدفعنا الى الحديث عن حياة الإمام الشخصية، محاولة معرفة أكثر وآكد، ذلك أنَّ مِن الأصول الثابتة عند المسلمين جميعًا لزوم معرفة إمام زمانهم، اعتمادًا على ما ورد عن النبي من أنّ (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية).

إنَّنا معشر الإمامية نعتقد أنَّ الأعمال يتضاعف أجرها بحسب المعرفة، فربّما نقوم أنا وأنت بعملين متساويين من حيث الظاهر إلا أنَّ أحدنا أكثر معرفة من الآخر، أو أوضح بصيرة، فينال بناءً على ذلك أجرًا ومثوبة أكثر، وهذا أحد ما جمع به العلماء بين الروايات التي ترتب آثاراً على عمل، وثوابًا مختلف المقدار، فتارة تقول إنَّ من عمله له ألف حسنة وأخرى تقول ألفا حسنة، فقالوا هذا يرتبط بأمور منها زيادة المعرفة في الثاني ونقصها في الأول . وهنا كذلك فالاعتقاد بإمامة الإمام لازم وواجب على المسلمين، ولكن ثواب ذلك يختلف بحسب اختلاف معرفتهم به.

وهذه الصفحات تهدف إلى زيادة معرفتنا بإمام زماننا ..

١/ ما يرتبط بميلاده الشّريف:

جوهر الخلاف بين المدرستين في عالم المسلمين: مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ومدرسة الخلفاء، يتلخّص في أنَّه هل هو مولود وبالتالي موجود الآن، كما يذهب إليه أتباع أهل البيت عليهم السلام؟ أو أنّه سيولد ويأتي في آخر الزمان كما يذهب إليه سائر المسلمين من غير أتباع أهل البيت عليهم السلام؟

وأمّا باقي القضايا فيمكن القول بوجود تسالم عليها، مثل أنّه من ذرّيّة النبي صلى الله عليه وآله، من ولد فاطمة، وأنّه يصلح الله به الأرض ..

ويقيم شيعة أهل البيت عليهم السلام عدداً من عناصر الإثبات في ميلاد الإمام سلام الله عليه منها ما يلي:

الأوّل: يتحدّثون عن إخبار والده عن مولده، ويقولون إنَّ إخبار والد عن ميلاد ولد له هي طريقةٌ عقلائية بين الناس وإسلامية في تثبيت بنوة شخص لشخص، وأبوة الثاني له .. فإذا أراد إنسان أن يثبت ميلاد ابنه ونسبه منه يكفي أن يخبر عن ذلك، ويشهد عليه، ومع إمكان ذلك وانتفاء الموانع يثبت مولده ونسبه .

ليست هذه الطّريقة خاصّة بالمسلمين وإنَّما هي طريقة العقلاء في كلّ مكان ! ولاسيما في تلك الأزمنة الماضية

التي لم تكن قائمة على أساس التّسجيل في الإدارات والتوقيع في سجلّات ! بل بما هو دون ذلك، فإنَّهم كانوا يعرفون أنّ فلانًا هو ابن والده إذا ولد في منزله وأخبر عنه والده ولو بأن يقيم عقيقة على أساس أنّه ولد له ولد، فيتعامل الناس معه بعد ذلك على هذا الأساس، مالم يكن له معارض لهذا الإخبار.

وقد نقلت الرّوايات أنَّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام أخبر مرارًا في عملية مقصودة أكثر من أربعين شخصاً في حادثة لا سابقة في حياة الأئمة المعصومين، ووزّع من اللحم في عقيقته ما لم نشهده في ميلاد أيّ واحدٍ من الأئمّة عليهم السلام قبله [1]. حيث قيل إنَّه وزّع عشرة آلاف رطل لحم ومثلها من الخبز على الناس[2]، وفي بعض الروايات أنَّها كانت ٣٠٠ عقيقة!

وكان من تصل إليه تلك العقائق يعلم أنَّها بسبب ولادة مولود للإمام العسكري، فقد نقل عبد الله بن جعفر الحميري عن محمد بن ابراهيم الكوفي ؛ إنَّ أبا محمد (الحسن العسكري) بعث إلى بعض من سمّاه لي بشاة مذبوحة وقال: هذه من عقيقة ابني محمد[3].

الثّاني من تلك العناصر في إثبات ميلاده الشّريف إلى ذكر علماء الأنساب له. إذ إنّ علم الأنساب في تلك الأزمنة يعادل مؤسسات الأحوال المدنية والشخصية في هذه الأزمنة، فمثلما يوجد في الدّول المعاصرة إدارات ومؤسّسات تُعنى بتثبيت وتوثيق نسب العوائل وتصدر لها الوثائق بناء على ذلك، فإنَّ دور النّسّابين سابقًا كان يستهدف هذا الغرض، فيسجّلون في كتبهم أنَّ فلانا قد ولد له من الذّكور كذا ومن الإناث كذا، وما لم يعارضها شهادة أخرى أو معرفة نساب آخر، فإنّه يثبت بها نسبه لوالده .

لقد سجّل النّسّابة منذ القديم وبعضهم هاشميون على أنّه ولد للإمام العسكري عليه السلام ولد اسمه محمد، وبعض النّسّابة من غير شيعة أهل البيت يضيف هذه العبارة وهو (الذي تزعم الشّيعة أنّه المهدي).وكذلك مؤرّخون ذكروا ولادته بهذا العنوان [4].

ثالث عناصر الإثبات: أنَّهم يعتمدون على قضيّة عقائدية وهي أنّه لو لم يولد الإمام المهدي يلزم كذب عشرات الأحاديث الصحيحة الواردة عن رسول الله وعن الأئمّة المعصومين عليهم السلام وكذب هذه الأحاديث مستحيل ..

بيانه: أنّ هناك ما يقارب ٨٠ حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وأبنائه المعصومين عليهم السلام أنَّ المهدي هو التاسع من ولد الحسين، وهذا العنوان "التاسع من ولد الحسين" لا يمكن أن ينطبق إلا على ولد للإمام الحسن

---

(١) نعم ذكر بالنسبة للإمام موسى بن جعفر الكاظم أنه أولم على بعض ولده فأطعم أهل المدينة ثلاثة أيام الفالوذجات (لباب القمح بلعاب العسل) في الجفان في المساجد والأزقة ..كما في الكافي ٦/ ٢٨١

(٢) كمال الدين ١/ ٤٥٩ عن أبي جعفر العمريِّ (محمد بن عثمان) قال: لمّا ولد السيّد (المهدي) عليه السلام قال أبو محمّد (والده الحسن العسكري) عليه السلام: ابعثوا إلى أبي عمرو (عثمان بن سعيد العمري)، فبعث إليه فصار إليه فقال له: اشتر عشرة آلاف رطل خبز، وعشرة آلاف رطل لحم وفرِّقه ..

(٣) المصدر / ٤٦٠

(٤) قال ابن الأثير الجزري (ت / ٦٣٠ هـ) في كتابه (الكامل في التاريخ) في حوادث سنة (٢٦٠ هـ): "وفيها توفي أبو محمد العلوي العسكري، وهو أحد الأئمة الإثني عشر على مذهب الإمامية، وهو والد محمد الذي يعتقدونه المنتظر" ومثله ابن خلكان(ت ٦٨١ هـ) حيث قال في كتابه وفيات الأعيان: "أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد المذكور قبله، ثاني عشر الأئمة الإثني عشر على اعتقاد الإمامية المعروف بالحجة...

العسكري لأنَّ الولد الأول للحسين علي السجاد، والثاني محمد الباقر، والثالث جعفر الصادق والرابع موسى الكاظم، والخامس علي الرضا والسادس محمد الجواد والسابع علي الهادي والثامن الحسن العسكري والتاسع المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

لو فرضنا أنّه لم يولد ـ كما يقول بذلك أتباع مدرسة الخلفاء ـ وقلنا أنّه يأتي في آخر الزّمان، فلا يمكن أن يكون التاسع بل يمكن أن يكون رقم ألف أو ألفين .. وقد ثبت في الرّوايات المعرّفة به أنَّه التاسع من ولد الحسين.

كذلك يلزم من مقالتهم تلك أن يكون حديث الثقلين الثابت عند المسلمين متخلّفًا عن معناه، حيث أثبت أنَّ هناك ثقلين هما العترة والكتاب وأنَّهما متلازمان في الوجود ولن يفترقا حتى يردا الحوض على النبي .. وحين كانا لا يفترقان في الوجود فتصوّر وجود الكتاب وعدم وجود أحد من العترة وهو الإمام يعني الافتراق .. إذا اعتقدنا أنَّ الإمام غير مولود وبالتالي غير موجود فمعنى ذلك أنَّه حصل الافتراق بينهما، وهذا يكذب حديث النبي أنّهما لن يفترقا إلى يوم القيامة !

الرّابع:ما يذكره الشيخ الصدوق أعلى الله مقامه في الاستدلال: وتوضيحه: إنَّ لدينا من الأحاديث فيما يرتبط بشؤون المهدي أنَّه يولد وأنّه يغيب وأنّه تعتري الناس في وقته شبهات، وأنّ له غيبتين وأنّ بعض أقاربه يسعى لأخذ مكانه والسيطرة على ميراث أبيه .. الخ. هذه الأحاديث موجودة قبل ميلاد المهدي بنحو مائتي سنة أو تزيد، وقد دوّنها الرّواة عن الأئمّةﷺ، ولا يمكن أن تكون نحوًا من التّكهّن ثم يكون الواقع على طبقها تمامًا، فلم يبقَ إلّا أن تكون إخبارات صادقة عن المعصومين من جهة الوحي.[1]

الموضوع الآخر: إمامة الإمام المهدي

أثارت إمامة الإمام المهدي إشكالاً على الشيعة من قبل مخالفيهم ؛ حاصله: أنكم كيف تقبلون إمامة شخص تولى ذلك المنصب وعمره ست سنوات ؟ هذا وفيكم العلماء والمفكرون والفلاسفة ..الخ.

وقد ذكر الإمامية عدة أجوبة:

أولاً: بالجواب تنظيرًا بما حدث في أيام الإمام محمد الجوادﷺ وذلك لأنّ قضيّة صغر السّنّ أثيرت بدايةً في أيّام الإمام الجواد، حيث تولى الإمامة وعمره ما بين ٧-٨ سنوات! فقد تم التّساؤل حتى في داخل الشّيعة أنَّه كيف يمكن أن يكون إمامًا بمثل هذا السّنّ ؟

---

(١) قال في كمال الدين ١/ ١٩ "إنَّ الائمّةﷺ قد أخبروا بغيبتهﷺ ووصفوا كونها لشيعتهم فيما نقل عنهم واستحفظ في الصحّف ودون في الكتب المؤلّفة من قبل أنَّ تقع الغيبة بهائتي سنة أو أقلّ أو أكثر، فليس أحد من أتباع الائمّةﷺ إلا وقد ذكر ذلك في كثير من كتبه ورواياته ودوّنه في مصنفاته وهي الكتب التي تُعرف بالأصول مدوَّنة مستحفظة عند شيعة آل محمّدﷺ من قبل الغيبة بما ذكرنا من السّنين، وقد أخرجت ما حضرني من الاخبار المسندة في الغيبة في هذا الكتاب في مواضعها، فلا يخلو حال هؤلاء الاتباع المؤلّفين للكتب أن يكونوا علموا الغيب بما وقع الان من الغيبة، فألّفوا ذلك في كتبهم ودوّنوه في مصنّفاتهم من قبل كونها، وهذا محال عند أهل اللّبِّ والتّحصيل، أو أن يكونوا (قد) أسّسوا في كتبهم الكذب فاتّفق الأمر لهم كما ذكروا وتحقّق كما وضعوا من كذبهم على بعد ديارهم واختلاف آرائهم وتباين أقطارهم ومحالهم، وهذا أيضا محالٌ كسبيل الوجه الاول، فلم يبق في ذلك إلا أنهم حفظوا عن أئمّتهم المستحفظين للوصيّةﷺ عن رسول اللهﷺ من ذكر الغيبة وصفة كونها في مقام بعد مقام إلى آخر المقامات ما دوَّنوه في كتبهم وألفوه في أصولهم، وبذلك وشبهه فلج الحقُّ وزهق الباطل. إنَّ الباطل كان زهوقا".

وقد تم معالجة الأمرين على مستويين نظري وعملي، فمن جهة قيل للسائلين والمشكّكين إنَّ قضيّة الإمامة شأنها كشأن النّبوّة ـ في أنَّ التعيين هو من الله سبحانه ـ وفي النبوة آتى الله عيسى ويحيى الكتاب صبيين[1].هذا وقد كانت نبوة عيسى مستأنفة وهي ـ في نظر الناس ـ لا ريب أهم من الإمامة، والتي هي امتداد لنبوة !

وكذلك من الناحية العملية، فقد تمّت البرهنة أيّام الإمام الجواد عليه السلام، أنَّ الإمام لا يراد منه الطول والعرض وإنَّما يراد منه العلم والمعرفة، والتفوّق فيهما، فلسنا في حلبة مصارعة حتى يراد جسم كبير وعضلات، وإنَّما يراد في هذا (أئمّة يهدون بأمرنا) وهذا حاصل، وهلم الميدان ..وقد جرّبوا (امتحان) الإمام الجواد من قِبل (أكبر) علمائهم[2] فإذا بهذا الأكبر غارق في شبر ماء ألقاه إليه الإمام من مسائله ﴿**فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ**﴾[3]. هذا ولم يبعد العهد بين الزّمانين إذ الفاصلة بين شهادة الإمام الجواد وإمامة المهدي لا تتجاوز ٣٥ سنة !

ومن أجل هذا ـ نعتقد ـ قال الإمام علي الرضا عليه السلام في حقّ ابنه الإمام الجواد: (ما ولد أعظم منه بركة على شيعتنا)وفي نصٍّ آخر (أعظم بركة على الإسلام) ذلك إنَّ وجود الإمام الجواد وعلمه وإمامته وكفاءته كل ذلك ثبّت إمامة ابنه الإمام علي الهادي الذي سيتولّى الإمامة وعمره تسع سنوات إشكالية وسوف يثبت إمامة المهدي عجل الله فرجه فيما بعد .. فهي إشكالية وقد رفعت عمليًّا ووجدانيًّا !

ثانيًا: العمر التّكويني والآخر العقلي:

في الإنسان عُمْران ؛ عمرٌ تكويني وآخر عقلي . التّكويني هو هذا العمر الظاهري الذي يتأثّر بالزّمان، فهو في البداية طفل ذو مدارك ومعارف محدودة، وبالتدريج يصبح شابًّا فيكتسب معارف جديدة وعلومًا حادثة، وبتبع نظره في ما حوله وتأمّله ينمو عقله، حتى يبلغ أشدّه كما يقول القرآن ببلوغ أربعين سنة ..ثم يميل تدريجيًّا باتجاه الانحدار في القوى العضلية والعقلية والإدراكيّة، حتى يصل إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئًا[4] من الناحية الإدراكيّة، ويحتاج إلى من يتولّى له أبسط الأمور من الناحية البدنيّة !

هذا العمر التكويني يمرّ به غالب البشر، لكن هناك عمرًا عقليًّا للإنسان قد يرتبط بعمره التّكويني ويمر بنفس المراحل السابقة التي ذكرت، وقد لا يرتبط، أي من الممكن أن يكون عمر أحدهم خمس سنوات ولكن عمره العقلي خمسون سنة وآخر قد يكون عمره التّكوينيّ أربعين سنة ولكن عمره العقلي أربع سنوات .

---

(١) في سورة مريم آية ١٢ ﴿**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**﴾ وفي آية ٢٩ و٣٠ في شأن عيسى ﴿**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (*) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾.

(٢) مناظرة القاضي يحيى بن أكثم مع الامام الجواد مشهورة ومعروفة .

(٣) الأعراف / ١١٨ ـ ١١٩

(٤) لخصته الآية المباركة ٥ من سورة الحج ﴿**ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا**﴾.

ليس البشر جميعًا محكومين دائمًا بارتباط عمرهم العقلي مقيد بعمرهم التكويني والشاهد على ذلك وجود النوابغ والنوادر من البشر. فقد ذكروا أن أصغر نابغة في العصر الحديث ويسمى (آدم كربي) من بريطانيا كان قادرًا وهو في عمر سنتين على تهجئة أكثر من مئة كلمة من أعقد الكلمات في اللغة الانجليزية، هذا لا يمكن تفسيره ضمن معادلات العمر التكويني، فمن كان في ذلك السّنّ بالكاد ينطق الكلمات الأوّليّة ! يتابع هؤلاء حالة ذلك النابغة ليقولوا إنّه لما صار عمره ثلاث سنوات بدأ يقرأ اللغة الفرنسية ويتكلّم بها بطلاقة، وعندما بلغ ثلاث سنوات ونصف أصبح يقرأ لشكسبير ويأخذ عليه إشكالات في التّعبير والإنشاء !

كذلك فإنَّ من كتبوا عن حياة موزارت الموسيقي المعروف قالوا إنّه كان عمره ثلاث سنوات حينما بدأ يعزف أوّل مقطوعاته الموسيقية، ولما أكمل أربع سنوات كان والده يدور به في أوربا وهو يؤلّف المقاطع الموسيقية ويعزفها !!

وفي بلاد المسلمين، وجدنا أشخاصًا متعدّدين، بعضهم كان يحفظ القرآن الكريم كاملاً بالقراءات العشر، وبعضهم كان يقرؤها مع ترجمتها باللغتين الإنكليزية والفرنسية، ولم يعرف عنه أنّه درس أيًّا منهما !

إنَّ هذه النّماذج ما هي إلا تقريب لتجلّي الله في قدرته ووضعه شيئًا من عظمته في بعض عباده، ليتجاوز المألوف والطّبيعي بين الناس، ويثبت لهم عيانًا ﴿ **لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[1]. وإذا كان هذا النّبوغ يحصل لشخص عاديّ بل لمن سيسخره في الموسيقى، فهل يمتنع ذلك على النبي والإمام اللذين أعدّهما ربّهما لهداية البشر إلى منهاجه ؟

هل سيقبل الناس بمعلم نابغة سابق لعمره بعشرات السنين ولكنه صغير السن (ابن عشر سنوات) في تدريسه في الجامعة أو أنّهم سيرفضونه بدعوى أنّه ليس كبير السّنّ ولا عظيم الجسم ؟

ننتهي مما سبق إلى نتيجة أنّ المدار في الاتباع والطاعة ليس السن في صغره أو كبره، وإن كانت العادة أن يكون النبي أو الإمام في سنّ متعارفة، بل النبي يبعث عادة في سنّ الأربعين. لكن هذا ليس قاعدة نهائية فقد رأينا في يحيى وعيسى خلاف ذلك، وبيّنّا أنّ العمر التكويني ليس هو المقياس وإنَّما العمر العقلي .

وهناك سؤال ثالث يذكره بعض المخالفين وهو: أنّه كيف تجتمع الإمامة على مسلككم أنتم الشيعة مع الغيبة؟

ذلك أنَّ الإمامة عند الشيعة من القضايا الأساسية، فالإمام عندهم هو هادٍ، وقائد، وهو بعد النبي امتداد! فكيف ينسجم هذا مع شخص غائب لا تتّصلون به ولا يتّصل بكم لا ينفعكم ولا يضرّكم ؟ فكيف تجمعون بين هذين الأمرين ؟ وبالنسبة للمهدي فهو غائب، والغائب لا يتصرّف، لا يفعل، لا يمارس دوراً الحال أنّكم تعتقدون أنَّ الإمامة كالنّبوّة في موقعها في الأصول، وبعد النّبوّة فالإمام له التّصرّف والأخذ والرّدّ .. فكيف يجتمع ذلك مع غيبته ؟

والجواب على ذلك بتوضيح أمور:

---

(١) الطلاق / ١٢

الأمر الأوّل: التفريق بين الإمامة الإلهية وبين التّصرّف الظاهري؛ فهما شيئان .. وقد عبر عن هذه الحقيقة الخواجة[1] نصير الدين الطوسي[2]، حيث قال في كتابه (تجريد الاعتقاد)[3] في شأن الإمامة والتصرف الخارجي للإمام، قال (وجود الامام لطف وتصرفه لطف اخر).[4]

وبعبارة أخصر أن نصب الإمام لطف إلهي وتصرّفه الظاهري وقيادته لطف آخر قد يجتمعان وقد ينفصلان، فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان إمامًا بعد رسول الله إلى أن استشهد مع أنَّ تصرّفه الظاهري كان فترة خمس سنوات من ما مجموعه ثلاثين سنة تقريبًا..

ولم يكن ذلك يضر إمامته في شيء، نعم كان حرمان الناس من تصرفه في الفترة الأولى قبل خلافته الظاهرية حرمانًا من لطف الله أن يصل لهم، ولكن المسؤول عن ذلك لم يكن الإمام وإنَّما (الناس) ولذلك قال الخواجة في تتمة كلامه (وعدمه منا) أي عدم اللطف راجع في سببه إلينا نحن الناس لا لله ولا للإمام .

والأمر كذلك هو بالنسبة للإمام المهدي عليه السلام فإنَّ وجوده وإمامته لطف إلهي، وتصرّفه المباشر والظاهري لطف آخر، وعدم هذا التصرف هو بسبب الناس!

الثاني: من يقول إنّه لا يتصرف، وإنّه لا يفعل، من يقول إنّه لاتصل خيراته وبركاته الى من يتبعه ويشايعه؟ إنّ الإمام لا يُقدم لك تقريرًا عمّا يصنع في كلّ يوم! لكنه حاضر ناظر! ولا سيّما على الفكرة الصحيحة من أن غيبته سلام الله عليه ليس غيبة شخص وإنّما غيبة عنوان..

أي أنّه موجود يشهد الموسم، يعني الحج كما هو مفاد روايات، فقد تكون في الحج ويكون الى جانبك في الطواف، كتفك بكتفه ولكن لا تعرف أنّ هذا الذي يلامس كتفك كتفه هو حجّة الله على الأرض! ويتابع أمور المؤمنين ويعمل في تفريج كروبهم بمقدار ما يوفقه الله، وهذا ما يؤكّده بعض ما روي عنه عليه السلام (إنّا غير مهملين

---

(١) نصير الدين محمد بن محمد الطوسي (ت ٦٧٢ هـ) كان رأسا في العلوم العقلية، علامة بالارصاد والمجسطي والرياضيات فيلسوف ومتكلم، وفلكي متمرس أنشأ مرصدا كبيرا في مراغة، وأنشأ مكتبة عظيمة حوت قرابة اربعمائة الف مجلد جمعها من مختلف مكتبات العالم الاسلامي وبذلك صان التراث المسلم من الاندثار، له من الكتب الكثير، من أشهرها: تجريد الكلام (الاعتقاد) الذي شرحه علماء من المدرستين ! وعشرات الكتب في العلوم العقلية والرياضية.

(٢) تعرض الخواجة نصير الدين الطوسي إلى حملة تشويه كبيرة قادها الطائفيون، زعموا فيها أن النصير الطوسي قد اتفق مع المغول لإسقاط الخلافة العباسية، وطبلوا وزمروا في هذا، ولكنهم لو تخلوا عن عصبية المؤرخين الشاميين، لوصلوا إلى ما وصل إليه الدكتور سعد بن حذيفة الغامدي ـ من السعودية ـ في كتابه سقوط الدولة العباسية والذي فند كل تلك الادعاءات وأثبت أن لا أساس تاريخي صحيح لها، وإنما أملتها العداوات المذهبية.. لمراجعة تفصيل دوره وحياته يمكن مراجعة كتابنا: من أعلام الامامية / الفصل الخاص بحياته ودوره.

(٣) تجريد الاعتقاد ١ / ٢٢١

(٤) قال العلامة الحلي في كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ١/ ٣٦٣، شارحا تلك الفقرة، ومبينا جواب الاعتراض وهو اعتراض على الأئمة عليهم السلام، الذين منعوا من التصرف بإبعادهم عن مراكز الحكم والقيادة: "قالوا الإمام إنما يكون لطفا إذا كان متصرفا بالأمر والنهي وأنتم لا تقولون بذلك فما تعتقدونه لطفا لا تقولون بوجوبه وما تقولون بوجوبه ليس بلطف (والجواب) أن وجود الإمام نفسه لطف لوجوه: أحدها أنه يحفظ الشرائع و يحرسها عن الزيادة و النقصان. وثانيها أن اعتقاد المكلفين لوجود الإمام وتجويز إنفاذ حكمه عليهم في كل وقت سبب لردعهم عن الفساد ولقربهم إلى الصلاح وهذا معلوم بالضرورة. وثالثها أن تصرفه لا شك أنه لطف ولا يتم إلا بوجوده فيكون وجوده نفسه لطفا وتصرفه لطفا آخر. والتحقيق أن نقول لطف الإمامة يتم بأمور (منها) ما يجب على الله تعالى وهو خلق الإمام وتمكينه بالقدرة والعلم والنص عليه باسمه ونسبه وهذا قد فعله الله تعالى. (ومنها) ما يجب على الإمام وهو تحمله للإمامة وقبوله لها وهذا قد فعله الإمام (ومنها) ما يجب على الرعية وهو مساعدته والنصرة له وقبول أوامره وامتثال قوله وهذا لم تفعله الرعية فكان منع اللطف الكامل منهم لا من الله تعالى ولا من الإمام."

لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء أو اصطلمكم الأعداء)[1] .. كيف يتم ذلك ؟ نحن لا نعلم! وهل هذا هو الشيء الوحيد الذي لا نعلمه ؟ بل لا ينبغي أن نعلمه .. ما ينبغي أن نعلمه عنه عليه السلام (وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أنَّ النجوم أمان لأهل السّماء) ووظيفة المؤمن بعد الإيمان بذلك (فأغلقوا باب السؤال عمّا لا يعنيكم، ولا تتكلّفوا علم ما قد كفيتم، وأكثروا الدُّعاء بتعجيل الفرج، فإنَّ ذلك فرجكم).[2]

إنَّنا نعتقد أنَّه لولا رعاية الله سبحانه، لهؤلاء المؤمنين بواسطة وليّه وإمامهم، لاصطلمتهم البلايا، كيف لا وهم منذ مئات السنين هدف هجمات أعدائهم على كافة المستويات !! ولكن الله سبحانه وتعالى يدفع عنهم . إن ما ثبت لسيّد هذه الأسرة وسيّد الخلائق محمد المصطفى ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ** ﴾[3]ليثبت لوارثه وامتداده وسميّه الحجة على الخلق محمد بن الحسن العسكري عجل الله فرجه الشريف .

إنَّنا نرى النتائج والآثار! ولكنّنا لا نرى المقدّمات والأسباب، لا نرى كيف تم دفع البلاء ! ولا ينبغي أن نتكلّف ذلك، لكن يكفي أن نرى أنَّ غير هذه الطائفة مع أنها لم تتعرض إلى عشر معشار الهجمات التي تعرض لها شيعة أهل البيت ومع ذلك فقد ذهبت تلك الفئات أدراج الرياح وأصبحت أثرًا بعد عين، بينما بقي شيعة آل محمد يزدادون كمًّا وكيفًا وعطاء وبركة، ولا نفهم سببًا واضحًا لذلك غير حياطة الله لهم عبر سيّدهم وإمامهم الحجّة المهدي .

كيف هي حياته الشّخصية ؟

هل عنده أولاد ؟هل عنده زوجة أو زوجات ؟ أين وكيف يعيش ؟

توجد ثلاثة أقوال: في هذا:

الأوّل: وهو المشهور عند أكثر علماء الإمامية أنّه لم يثبت وجود زوجة أو أولاد للإمام المهدي، فمع أنّ الزواج مستحبّ وهو سنّة رسول الله إلا أنّه إذا عارض هذا المستحب أمر أهم فلا يبقى ذلك الاستحباب بفعليته، وفي مقامنا هنا فإنَّ ما تقتضيه طبيعة حياة الإمام عليه السلام من حياة سرّيّة، وتنقل فوري وعدم استقرار في مكان، تعارض الزواج فلا يعود الزّواج مطلوبًا. وليس هذا بدعًا فقد كان في حياة الأنبياء والرسل، فهذا نبي الله يحيى بن زكريا عليه السلام يصفه القرآن بأنّه سيّد وحصور[4]وكذلك كان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فإنّه لم يتزوج إلى أن رفعه الله إليه. ولعلّ سبب ذلك راجع إلى نمط حياته وسياحته في الأرض مبلّغًا عن الله تعالى .

وإذا لم يكن له زوجة فمن الطبيعي أن لا يكون له أولاد وهذا هو الرّأي المشهور بين الإمامية .

---

(١) الاحتجاج ١/ ٤٩٧ واللأواء تعني الشدة وضيق المعيشة. واصطلم يعني استأصل.

(٢) كمال الدين / ٤٨٥

(٣) الأنفال / ٣٣

(٤) آل عمران / ٣٩ ﴿ **فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾، قال الراغب في مفرداته (مادة حصر): الحصور الذي لا يأتي النساء إما من العنة وإمّا من العفة والاجتهاد في إزالة الشهوة والثاني أظهر في الآية لأنه بذلك يستحق المحمدة .

القول الثاني: وقد ذهب إليه بعض العلماء وينتهي إلى أنّ للإمام زوجة وأولادًا، وأنَّهم يسكنون في مكان قصيّ، سمّوه الجزيرة الخضراء (وهي عدّة مدن) وقد ردّ المرحوم السيد جعفر العاملي رحمه الله وغيره من العلماء بدراسات محقّقة فكرة الجزيرة الخضراء من رأس ورأوا أنّها لا تصحّ وبالتالي فلا الأصل صحيح ولا البناء عليه.

القول الثالث: متزوج بلا ذرّيّة.

تنبيه مهم:

ينبغي أن نُشير إلى مسألة مهمّة وهي أنّه حتى لو بنينا على وجود زوجة وأولاد للإمام، وهو ما لا يراه مشهور العلماء عند الإماميّة، مع ذلك فإنّه لا ينفع بعض مدّعي المهدوية أو الاتصال بالمهدي باعتبار أنّه من أولاده أو غير ذلك . فإنَّ بعض أولئك لجذب الناس واستقطابهم ربما ادعوا أنَّهم من أولاد الإمام المهدي أو ما شابه ذلك .. وهذه الفكرة لا تنفعهم، فحتى لو ثبت أنّ له أولادًا، فإنَّ هذا لا يثبت أنَّ فلانًا المدّعي هو من أولاده إذ على كلّ من يدّعي أمرًا أن يقيم بيّنة عليه .. هذا مثل أن يثبت أنّ في البنك أموالاً، فيدّعي شخص أنَّها له !

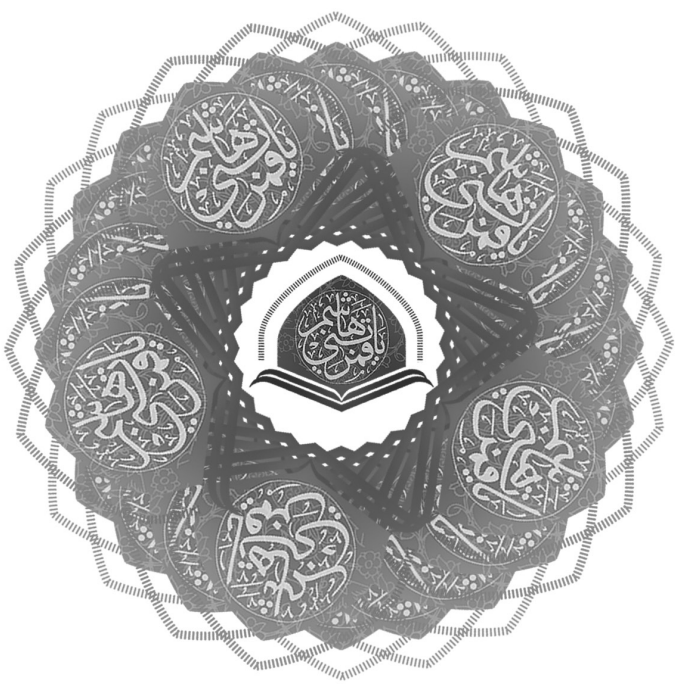


شهر رمضان

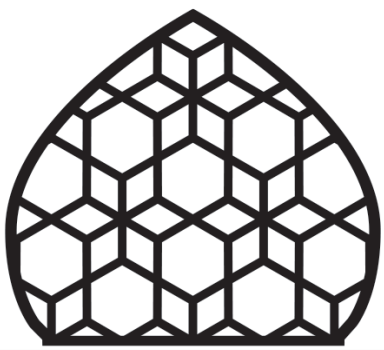

- أصحاب النّفوس السَّامية
- الإمام الحسن المجتبى عليه السلام والأمن الإنساني
- الإمام عليّ عليه السلام في القرآن الكريم على لسان الإمام الحسن عليه السلام







أصحـاب
النّفوس السَّامية



الشيخ حيدر المؤيد



تأملات في دعاء اليوم السادس عشر:

(اللهُمَّ وَفِّقْنِي فِيهِ لِمُرافِقَةِ الأَبرارِ، وَجَنِّبْنِي فِيهِ مُرافَقَةَ الأَشْرارِ، وَآوِنِي فِيهِ بِرَحْمَتِكَ إِلَى دارِ القَرارِ، بِإِلهِيَّتِكَ يا إِلهَ العالَمِينَ).

عن النبي ﷺ: (من دعا به أعطي يوم خروجه من قبره نورٌ ساطع يمشي به، وحلة يلبسها، وناقة يركبها، وسقي من شراب الجنة)[1].

شهر رمضان.. شهر التّكامل

يتألّف هذا الدّعاء من عدة فقرات يسألها الدّاعي من ربّه الكريم:

فيطلب أن يكون من الأبرار..!

ويتمنى فيه صحبتهم..

ويطلب منه المساعدة على ذلك من الله تعالى..

وأن يرزقه مجانبة الأشرار وعدم صحبتهم..

وأن يأويه إلى دار القرار..

فنحن في شهر رمضان المبارك، شهر الله، شهر تحقيق الرّغائب والأحلام التي تملأ عقول وضمائر المؤمنين.. شهر الدعاء والرحمة، الشهر الذي فتحت فيه أبواب الجنة على مصراعيها لتستقبل وفود الصّائمين، وغلقت النار أبوابها لتعتق منها العاصين والمذنبين، فهل نجد أكثر من هذا فوزاً!! ..فما هو المستفاد من هذا الدعاء المروي عن رسول الله ﷺ.

ربما يمكن أن نفهم من فقرات الدعاء الحقيقة التالية:

فكما أنّ للأشجار والنباتات مواسم فصلية خاصّة، يكون فيها النبات على أحسن أحواله في النمو والريعان وإعطاء أفضل ثماره، كالشتاء فصل للبرتقال والحمضيات، والربيع فصل للزهور والسنابل وهكذا، وكما أنّ الفلاح النّاضج هو الذي يتمكّن أن يستثمر أفضل فصول النبات ويجني أفضل المحاصيل..

---

(١) البلد الأمين: ص٢٢١.

كذلك للإنسان فصول خاصّة تعدّ أفضل أوقات نموه وتكامله، والإنسان الحكيم هو الذي يتمكّن أن يستثمر حياته بشكل أفضل في مواسمها الخاصة وللأمثلة على ذلك نقول:

ورد في الأخبار: (لكل شيء ربيع وربيع القرآن شهر رمضان)[1]، لأنّه أفضل أوقات التلاوة والتّفاعل مع كلماته وبيّناته.

وكما أنّ السحر في هذا الشهر الفضيل أفضل أوقات التّفرّغ مع الله وللمناجاة والاستغفار من الذّنوب، قال تعالى: ﴿**والمستغفرين بالأسحار**﴾[2].

فإنَّ الأسحار من أفضل أوقات الدّنوّ والقرب إلى الباري ﷻ قال سبحانه: ﴿**ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**﴾[3]، وهكذا.

وحسب هذه الحقيقة ربما نستفيد من الكلمات الواردة في الدّعاء الشّريف (اللهم وفّقني فيه لمرافقة الأبرار) أنَّ شهر رمضان هو أفضل فصل زمني لمرافقة الأبرار والصّالحين ومعاشرتهم... لأنّ الإنسان في هذا الشهر يكون قد سمت روحه وزكى لبّه أكثر من ذي قبل بحيث يكون أقرب إلى تقبّل المعنويات وأكثر استعداداً للسير نحو الخير والهدى، لذلك عليه أن يرافق الأبرار ويقول: (وفّقني فيه لمرافقة الأبرار).

وكذلك هو أفضل وقت للابتعاد عن أهل الشر فيقول: (وجنبني فيه مرافقة الأشرار).

من هم الأبرار؟

وبما أنَّ الدّاعي لابُدَّ أن يفهم معنى ما يدعو به ليصل إلى غايته، ينبغي الإجابة على بعض ما قد يخطر في الذّهن من الأسئلة:

فمن هم الأبرار؟

وبماذا يتصفون؟

ولماذا تمنى الداعي أن يرافقهم ويتشرف بصحبتهم؟

ومن هم الأشرار..؟

وبماذا يتّصفون؟

ولماذا تمنّى الداعي مجانبتهم وعدم صحبتهم؟

والجواب:

الأبرار: جمع (بر) وهو اسم فاعل برَّ، وليس جمعاً لبار؛ لأن جمعه بررة، والمراد هنا بالأبرار: المطيعون..

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٣ ص٣٨٦ ب٥٢ ح١ عن أبي جعفر عليه السلام.

(٢) سورة آل عمران: ١٧.

(٣) سورة الإسراء: ٧٩.

المتقون، كما يصرح بذلك أصحاب اللغة[1].

والبر كل عمل خير ينتفع به الناس والمجتمع، وهو حسن بحكم العقل والشرع بل ممدوح صاحبه وفاعله والساعي فيه ويثاب على ذلك أيضاً.

والبر: كلمة تكررت في القرآن الكريم ٣٢ مرة بمختلف صيغها ومشتقاتها: فكلمة ﴿**البر**﴾ ١٩ مرة و﴿**بالبر**﴾ مرتين، و﴿**تبروا**﴾ مرة، و﴿**الأبرار**﴾ خمس مرات، و﴿**براً**﴾ مرة، و﴿**بررة**﴾ مرة، و﴿**للأبرار**﴾ مرة، و﴿**تبروهم**﴾ مرة.

والأبرار: صفة تطلق على المسلمين الذين امتحن الله قلوبهم بالإيمان.. فأصبحوا مؤمنين، وتشربت صدورهم وعقولهم وضمائرهم بالتقوى، فأصبحوا متقين..

ولكي يتّضح معنى (البر) أكثر، ولنتعرف على موارد استعماله لابُدَّ من الاستقراء في الآيات والرّوايات فنجده يكاد يكون ملازماً لا ينفصل عن كلمة التقوى بحال، فصارت صفة الأبرار صفة ملازمة للمتقين..

والقرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى وفي أكثر من مقام، قال تعالى: ﴿**وليسَ البرُّ بأن تأتوا البيوتَ من ظهُورِها ولكنَّ البرَّ من اتقى**﴾[2].

ففي كل مكان تجد فيه برّ.. لابد أن تجد مصدره التقوى.. والبر من أفضل الأعمال الصالحة! لأنّ البر يعكس الإيمان العملي.. والتقوى العملية، فالبر صورة مجسدة للإيمان والتقوى بمصاديقها العملية ... وللتلازم بين البر والتقوى قال تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾[3]. وربما يستفاد من عطف التقوى على البر في الآية الشريفة أنَّ التقوى أخص من البر، لأنَّ البر كلّ عمل حسن ممدوح في العقل والشرع سواء كان عن ملكة أو لا، أما التقوى فهي تلك الملكة النفسية التي توجب تجنب المعاصي والسيئات.

وربما يستفاد من تقارن البر والتقوى في هذه الآية النسب الأخرى المنطقية فيمكن أن يصدق التقوى بترك المعاصي ولم يصدق عليه البر لأنَّ ظاهر البر الأمر الإيجابي، هذا كله والعلم عند الله.

فكأنَّ الآية تقول: تعاونوا على إيجاد الإحسان والمعروف بين الناس وفي الوقت نفسه تعاونوا على إيجاد حالة التقوى في نفوسكم ونفوس سائر الأفراد ولتنعكس على أعمالكم وأعمالهم.

ومن هذا البيان يتضح معنى (الأبرار) وصفاتهم.. وهم جمع منتخب من المؤمنين نهجهم السلوكي التقوى والعمل الصالح ولقد امتحن الله قلوبهم، فارتقوا درجات الإيمان، وشملتهم الرعاية الإلهية بالتوفيق والسداد في الدنيا، والراحة والخلود في الجنة، ودار الأمان في الآخرة، قال تعالى: ﴿**أنهم فتيةٌ آمنوا بربِّهم وزدناهم هدىً**﴾[4].

---

(١) راجع مجمع البحرين: ج١ ص١٨٤ مادة (برر).

(٢) سورة البقرة: ١٨٩.

(٣) سورة المائدة: ٢.

(٤) سورة الكهف: ١٣.

من صفات الأبرار

القرآن الكريم يوضح صفات الأبرار وأعمالهم.. ويبيّن بدقّة ما يجب أن يقوموا به ويتصفوا به.. ليفرّق ما بين الإيمان الظّاهري والإيمان الحقيقي المبني على التقوى والرّسوخ في القلب والضمير..

قال تعالى: ﴿**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾[1].

والتقوى: هي ملكة تجنب المعاصي وحفظ النفس عن المحظورات والمحرمات وهي حصن دفاعي ليتترس خلفه المؤمن ويتزود فيه في الدنيا والآخرة لذا يأمرنا الله تعالى بها فيقول: ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**﴾[2].

لأن التقوى: هي التي تعطي للإنسان القدرة على التمحيص والتفحص وانتقاء الأعمال الصالحة.. ومعرفة الناس ورفقة الصالح منهم ومجانبة الفاسد منهم.

قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً**﴾[3].

ومن ظاهر الآية نفهم أن التقوى تعطي المؤمن الحقيقي القياس حتى يفرق بين الصحيح والخطأ ككفة القبان التي تفصل بدقة ما بين النموذجين الآنفين (الصالح والفاسد) و(البر والفاجر) و(المؤمن والكافر) و(الجيد والرديء) وهكذا ...

قال تعالى: ﴿**وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه ... تحشرون**﴾[4].

من هم الصادقون؟

والتقوى هي التي تأمرنا أن نكون مع الصادقين والصالحين والمؤمنين، وتجنبنا من الكاذبين والطالحين والفاسقين وغيرهم.

قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[5].

والآية تأمر بملازمة الصادقين.. وهم الذين يحافظون أحكام الله ويؤدون تعهّداتهم أمام الباري تعالى على أحسن وجه، والمصداق الأتم لذلك هم المعصومون من أهل البيت عليهم السلام..

ففي رواية سليم بن قيس الهلالي: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله خطب يوماً في جمع من المسلمين وقال فيما قال صلى الله عليه وآله:

---

(١) سورة البقرة: ١٧٧.

(٢) سورة البقرة: ١٩٧.

(٣) سورة الأنفال: ٢٩.

(٤) سورة المجادلة: ٩.

(٥) سورة التوبة: ١١٩.

(فأنشدكم الله أتعلمون أنَّ الله أنزل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[1] فقال سلمان: أ عامة هي أم خاصة؟

قال ﷺ: أمّا المأمورون فالعامة من المؤمنين أمروا بذلك، أمّا الصادقون فخاصة لأخي علي والأوصياء من بعده إلى يوم القيامة، قالوا اللهم نعم)[2].

ويروي نافع عن عبد الله بن عمر أيضاً: إنَّ الله سبحانه أمر أوّلاً المسلمين أن يخافوا الله ثمّ قال: ﴿**كونوا مع الصادقين**﴾[3]، يعني مع محمد وأهل بيته [4]عليهم السلام.

لأنَّ الرفقة الحقيقية الممتعة التي توجب الفوز في الدنيا والآخرة تكون مع المؤمن الصادق لا مع غيره.. لأنَّها هي الرفقة التي يرتجى بها النجاة في الدنيا والآخرة.

من معاني التقوى

الإمام الصادق عليه السلام يفسر التقوى بدورها فيقول عليه السلام: (التقوى أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك)[5].

ومعلوم أنَّ الإنسان الذي يطلب التقوى ويسلك سبلها ويوفّر في نفسه الاستعداد للعمل بشرائطها سوف ينالها بالعمل الصّالح والمجاهدة، ورباطة الجأش والصّمود، باعتباره وسيلة أسمى لنيل المطالب الكمالية وقد وصف القرآن المتقين في قوله تعالى: ﴿**إنَّ المتقين في جنات وعيون**﴾[6].

وتكررت كلمة (المتقين) في القرآن تسعاً وأربعين مرّة كما استعملت التقوى بمختلف صيغها ومشتقّاتها (٢٥٨) مرة في القرآن الكريم.

فتعالوا نتعرّف على صفات المتقين وسيرتهم من خلال ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام كأعظم نموذج للمؤمنين والمتّقين بعد رسول الله ﷺ حيث عرف الله تعالى حقّ المعرفة، وخلص لله العبودية وعرّف المعنى الحقيقي للتقوى نهجاً وسلوكاً ووصفاً ومعنىً، فكان عليه السلام هو الأسوة والقدوة للمسلمين بأجمعهم.

فسأله أحد أصحابه ـ وهو همام رضي الله عنه ـ عن المتقين وصفاتهم؟ فتجنّب الإمام عليه السلام أوّل الأمر عن الجواب لهمام، لأنَّه يعرف تماماً ما سيؤول إليه هذا المؤمن من خوف الله وما سينتهي بالرجل.. نعم سيصعق بعد نهاية كلام أمير المؤمنين عليه السلام مباشرة ويموت لشدّة خوفه من الله ولشدّة رجائه وتأثّره.

---

(١) سورة التوبة: ١١٩.

(٢) تفسير البرهان: ج٢ ص١٧٠.

(٣) سورة التوبة: ١١٩.

(٤) تفسير البرهان: ج٢ ص١٧٠.

(٥) بحار الأنوار: ج٦٧ ص٢٨٥.

(٦) سورة الحجر: ٤٥.

ولا ندري حقيقة ما خالج الرجل ﷺ حتى مات لأنّنا لا نعرف معنى المتّقين بحقيقتهم، ولم نصل إلى تلك المرتبة العالية من التقوى حتى نعرف تماماً ماذا حلّ بهمام.. ولماذا وكيف؟ ولكن قبل ذلك دعونا نقتبس قبساً من نور تلك الخطبة العظيمة.. ليتّضح بعض المعنى للمتقين والأبرار.

مقتطفات من خطبة همام

يبدأ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بحمد الله تعالى والثناء عليه ثم يقول: (أمّا بعد فإنَّ الله خلق الخلق حين خلقهم غنياً..) أي أنَّ الله تعالى غنيّ عن العباد وخلقهم، فمن عصى فقد عصى على نفسه ومن أحسن فلها، فلا يضر الله شيئاً لأنّه ﷻ واجب الوجود غني عن الممكنات، فهو الغنيّ المطلق، وهو المفيض على الخلق بجوده وفضله، والخلق محتاجون إليه لنقصهم وافتقارهم، فإن اتقوا فلأنفسهم وإن عصوا فعليها.

لكن هل للعصيان أثر على مسيرة الإنسان أم لا؟ وهل له أثر وضعي كما له أثر تكليفي وعقاب أخروي.

الجواب: نعم له أثر وضعي دنيوي بالإضافة إلى الآثار التكليفية، أي إنَّ هذه الظلامات التي يقوم بها بنو البشر على أنفسهم أو على بني نوعهم، لابُدَّ أن تترتّب عليها آثار وعقوبات في الدنيا كنتائج طبيعية للعمل، وفي الآخرة كعقاب لمخالفة أمر المولى ﷻ.

قال تعالى: ﴿**وما كان ربّك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون**﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿**وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾[2].

المنطق الصّواب

ثم يسترسل الإمام علي ﷺ في وصف المتقين: فيقول ﷺ: (منطقهم الصّواب)[3].

أي لا يقولون أي كلام اعتباطاً، فالكلام عندهم محسوب ودقيق وليس جزافاً ولذلك لا يكون كلامهم إلا بحق والصّواب، ومطابقاً للفعل والضمير والقصد، فكلامهم يعبر عن فعلهم، وفعلهم يعبر عن كلامهم، لأنَّ الكلام بلاعمل كالشجر بلا ثمر.

وهنا يكون تجسيد للإيمان وتجسيد للسلوكية التي تطابق الاعتقاد، وبهذا يكون تحويل الإيمان إلى واقع عملي، ونقله من مفاهيم روحية وقلبية إلى مفاهيم مجسدة ومثمرة.

وهذه الرؤية هي ما يريده الله تعالى من المؤمن: قال سبحانه: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ۞ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون**﴾[4].

---

(١) سورة هود: ١١٧.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٠.

(٣) نهج البلاغة: خطبة همام، الرقم: ١٩٣.

(٤) سورة الصف: ٢و٣.

عيشة المتقين

ومن صفات المتقين التي ذكرها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (ملبسهم الاقتصاد).

أي بدون إسراف، وبلا مضاهاة ومباهاة وتفاخر، غير مبذرين وغير مسرفين، بل يصرفون قدر الحاجة أو الضرورة.

وهذه نقطة مهمة لها الأثر الكبير في حياة الناس، فعلي عليه السلام عندما يصف المتقين الزاهدين يعيش هو بنفسه أسمى معاني الزهد، حيث يقول مفسّراً سببه: (أأقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون لهم أسوة في جشوبة العيش)[1].

وبالفعل كانت حياته عليه السلام في غاية الزّهد والإعراض عن الدّنيا.

معنى الزّهد

قد يُفسّر البعض التقوى والزّهد بشكلٍ مغلوط، فيتصوّر أنَّ الزّهد والتقوى هو اجتناب الدّنيا وترك حلالها، فلا يلبس إلا الثوب الممزّق والبالي.. ويترك نفسه للوسخ والقاذورات وما أشبه.

ولكن الزهد ليس ذلك، بل الزهد هو عدم جعل الدنيا هدفاً وعدم التعلّق بها، فكما قالوا: (الزّهد ليس أن لا تملك شيئاً بل أن لا يملكك شيء).

وهذا قدوة الزاهدين يفسّر الزّهد حيث يقول عليه السلام: (الزّهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه: ﴿**لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم**﴾[2] ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه)[3].

وبهذا المنطلق يريد أمير المؤمنين عليه السلام أن نتعامل مع الحياة ونعيشها بواقعية في مقابل البعض الذي تجده يعيش بالإسراف والتبذير مدّعياً أنَّ الدنيا خلقها الله للناس فعلينا أن نسرف، ولم يلتفت إلى قوله تعالى: ﴿**إنّ المبذرين كانوا إخوان الشياطين**﴾[4].

ولم يتوجّه إلى أنّ الدنيا قنطرة للآخرة وليست مطلوبة لذاتها، فهي طريقية لا موضوعية لها حسب الاصطلاح الأصولي.

لذلك جعل الله سبحانه حقوقاً للفقراء في أموال الأغنياء وألزمهم بمراعاتها ليكرس المفهوم الإنساني للمال ويعطيه بعداً هدفياً في الحياة ويمنحه الجمال المعنوي، حتى لا يكون مادّيًّا بحتاً وعدّ عدم مشاركة الجياع

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.

(٢) سورة الحديد: ٢٣.

(٣) نهج البلاغة: قصار الحكم ٤٣٩.

(٤) سورة الإسراء: ٢٧.

واحترام مشاعرهم والإنفاق عليهم تضييعاً للقيم التي جاء من أجلها الإسلام، فـ (الاقتصاد) في كلام الإمام عليه السلام من القصد أي التوسط في الأمور وعدم الإفراط والتفريط..

كما ورد في اللغة: (قصد في مشيه: مشى مستوياً، وقصد قصداً واقتصد في أمره: ضد أفرط، اقتصد في النّفقة: توسّط بين الإفراط والتّفريط)[1].

التّواضع

يقول أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً في وصف المتّقين: (ومشيهم التّواضع).

يعني بلا تكبّر، ولا تبختر على أطراف الأقدام والأنف فوق الجبال.. ولاتصنع وخيلاء كما يوصي لقمان الحكيم ابنه وهو يعظه وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿**ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور**﴾[2].

فكلمة: (صعّر) هي في الأصل مرض يصيب البعير فيؤدّي إلى اعوجاج رقبته، و(المرح): الغرور والبطر الناشئ لكثرة النعمة، و(المختال): من مادة (خيلاء) و(الخيال) وتعني الشخص الذي يرى نفسه عظيماً وكبيراً نتيجة سلسلة من الأوهام والتخيلات التي تصيب الإنسان.. أما (الفخور): فيعني الشّخص الذي يفتخر على الآخرين، والفرق بين كلمتي (المختال) و(الفخور) هو أنّ الأول إشارة إلى التخيلات الذّهنيّة والأوهام للكبر والعظمة، أما الثانية فتشير إلى أعمال التّكبر الخارجي[3]، والمؤمنون يترفّعون عن كلّ هذه الأوهام والمساوئ، ويعملون بقوله عزّ وجلّ: ﴿**ولا تصعّر خدّك للناس، ولا تمش في الأرض مرحًا إنّ الله لا يحبّ كلَّ مختال فخور**﴾[4].

العفّة

ثم يسترسل أمير المؤمنين عليه السلام بوصف المتّقين فيقول عليه السلام: (غضوا أبصارهم عما حرّم الله عليهم) وهي كناية عن عفّة النّفس وصونها عمّا يشينها وحفظها عن المحرمات، قال تعالى: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم**﴾[5]، وهنا كلام لعيسى بن مريم عليه السلام يوضّح ما نريد يقول: (إيّاكم والنظرة فإنّها تزرع في القلب الشهوة وكفى بها فتنة، ربّ حرب أثارتها لفظة، ورب صبابة غرستها لحظة).

ويقول الشّاعر في هذا المعنى:

---

(١) المنجد: ص٦٣٢ مادة (قصد).

(٢) سورة لقمان: ١٨.

(٣) راجع تفسير الأمثل: ج١٣ ص٤٤و٤٥.

(٤) سورة لقمان: ١٨.

(٥) سورة النور: ٣٠.

وإنَّك إن أرسلت طرفك رائـداً إلى القلب يوماً أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا بعضه أنت صابر عليه ولا عن تركه أنت قــادر

العلم النافع

لننظر إلى هؤلاء المتقين الذين وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام وكيف أنَّ القرآن بين جنبيهم عملاً وسلوكاً ومنهجاً وفكراً وروحاً:

يقول عنهم الإمام عليه السلام: (وقفوا أنفسهم على العلم النافع لهم)، فهم لايقدسون إلّا الحق ولا يعتقدون إلا بالحقيقة ولا ينالون إلا من العلم النّافع بعيداً عن العلم المضل وتوافه الأفكار التي تترك آثاراً وخيمة على عقل الإنسان وضميره ثم على سلوكه..

نقول هذا لأنَّ البعض قد يذهب أحياناً وراء بعض العلوم التي سرعان ما يحرف صاحبها عن شاطئ الأمان لتلقي به في عرض البحر فيكون مصيره التيه والغرق ثم الهلاك متصوراً أنّه انشغل بما فيه النفع، والحال أنّه انشغل بالضار (فرب نافعة ضارة) كما يقال..

وقد روى كميل بن زياد عن أمير المؤمنين عليه السلام كلاماً يلمح إلى العلم النافع الذي ينبغي أن يعمل به الإنسان.. فكان من جملة كلامه: (يا كميل معرفة العلم دين يدان به، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته)[1] .. إلى آخر كلامه عليه السلام.

أما العلم الذي يضر الإنسان وينتهي به إلى سوء العاقبة، فورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (من طلب العلم لأربع دخل النار!! ليباهي به العلماء أو يماري به السّفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه أو يأخذ به من الأمراء) [2].

المتّقون في الخوف والرّجاء

وقال علي عليه السلام في وصفهم: (نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرّخاء) أي يرجون رحمة الله دائماً ويخافون بأسه على كلّ حال، فلا يختلف حالهم في الشّدّة والرّخاء في اتصالهم بربّهم ومعبودهم وعملهم في سبيل رضاه.

قال الإمام الصادق عليه السلام: (لا يكون العبد مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو) [3].

فالمؤمن يحتاط ويحذر العواقب، ويجتنّب العثرات في السّرّاء والضّرّاء، فإذا أقبلت الدّنيا عليه يحذر الانزلاق والانجراف، لأنَّها (إذا حلّت أوحلت) كما ورد في التعبير[4].

---

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم ١٤٧.

(٢) بحار الأنوار: ج٢ ص٣٨.

(٣) الكافي: ج٢ ص٧١ ح١١.

(٤) مصباح الكفعمي: ص٧٤٧.

فعليه أن لا ينسى ذكر الله تعالى وشكره على نعمه.. فيقوم بواجباته ويؤدّي حقوقه.

وهكذا في البأساء والضّرّاء فلا ييأس من روح الله ولا يقنط من رحمته عند الشّدّة والبلاء؛ لأنّ منهجية المتّقي المؤمن (هو الخوف والرجاء) فملازمته لهما في السّرّاء والضّرّاء.. في النّقمة والبلاء.. دليل على سموّه وارتفاع شأنه.

لماذا يخاف المتّقي؟

وممن يخاف؟

إنَّ الهيكلية التي تشكّلت منها التقوى في نفوس المتقين، أساسها هذا الخوف وهذا الرجاء، وهذه فلسفة قد لا يدركها جيداً إلّا الإنسان الذي عاش التقوى قلباً وروحاً وعملاً وسلوكاً.

فالمتّقي في صراعٍ دائمٍ وحربٍ دائمة.. ولكن مع أيّ شيء؟

يمكن الإجابة على ذلك مما يستفاد من قول الإمام علي بن أبي طالب ﷺ لصاحبه همام حيث يقول: (ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب، عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم)[1].

نعم: إنّهم في قلق دائم ورجاء مستمر.. ولم تهجع أنفسهم طرفة عين، ولم تعرف الهدوء والرّاحة بل هي في نزاع دائم بين عاملين: رجاء الثواب والخوف من العقاب، وهذان العاملان عندهم متعادلان متوازنان. وهذا نظام دقيق للقوى المتحفزة في النفوس المؤمنة، فأنفسهم ساحة لهذا النّظام الإلهي المحكوم (بالخوف والرجاء).

قال الإمام الباقر ﷺ في وصف الخوف والرّجاء في نفس المتّقي فيقول ﷺ: (ليس من عبد مؤمن إلّا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا)[2].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المعادلة المتوازنة بقوله سبحانه: ﴿**يدعون ربهم خوفاً وطمعاً**﴾[3].

وقال عز وجل: ﴿**يدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين**﴾[4].

فالآية تشير إلى أنّهم متوجّهون إلى الله تعالى في جميع الأحوال: الفقر والغنى، والمرض والصّحّة، والابتلاء بمختلف أقسامها فهم في حالة من الخوف والرّجاء مستمرة وهم في علاقة مستمرة مع الله سبحانه، فـ(رغباً) بمعنى الرغبة والميل والعلاقة، و(رهباً) بمعنى الخوف والرعب.

والآية جاءت كي تصف حالة هؤلاء المتقين وأشير في نهاية الآية إلى أنّهم: ﴿**كانوا لنا خاشعين**﴾ فأردف القرآن الحكيم حالهم بالخشوع[5].

يقول أمير المؤمنين ﷺ وهو يعظ بعض ولده: (يا بني خف الله خوفاً ترى إنّك إن آتيته بحسنات أهل

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

(٢) الكافي: ج٢ ص٦٧.

(٣) سورة السجدة: ١٦.

(٤) سورة الأنبياء: ٩٠.

(٥) راجع تفسير الأمثل: ج١٠ ص٢١١.

الأرض لم يتقبلها منك، وارج الله رجاءً كأنَّك لو أتيته بسيّئات أهل الأرض غفرها لك)[1].

ومقام الرّجاء والخوف.. ليس مقاماً عاديًّا بل رتبة لا ينالها إلّا أهل الضّمائر والقلوب المتمسّكة بالله تعالى خوفاً ورهباً وبما أنّنا تطرّقنا إلى هذا الموضوع سابقاً، نترك التفصيل.

فالنّفس التي تُعظّم الله تعالى سيصغر كلّ شيء سواه ﷻ في عينها، فلاتقع أسيرة الغرائز والشهوات وهذا لا يأتي من فراغ قطعاً بل عن خلفيّة الإيمان الراسخ والإدراك واليقين الذي تحمله النّفس بين جنبيها فيصبح كلّ شيء دون الله سبحانه هباءً وسراباً.

لأنَّ النفس التي تعظم الله تعالى تكبر وتعلو ولا تحس بالهزيمة قط، وعندها تتحرر من الخضوع والاستسلام لغيره.. وهنا تتجلى معاني العبودية الحقيقية ويقبل الإنسان غاية العبادة، لأنَّ العبودية لها وجه آخر هو التحرر من عبودية غير الله، ولذلك تصبح النفس التي تعبد الله خوفًا ورجاءً زكيةً صافيةً فتبدأ تنظر إلى الأمور بعين اليقين والاعتقاد الراسخ فيكون عملها موافقاً لرؤيتها.. يقول الإمام عليه السلام في وصف المتقين: (فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون)[2]، وهذه هي مرتبة اليقين التي ذكرها العلماء في كتب الأخلاق.

مراتب اليقين

اليقين له مراتب عدة[3]، وهو جامع الفضائل:

١. علم اليقين: وهو اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع ويحصل من الاستدلال باللوازم والملزومات، ومثاله: اليقين بوجود النار من مشاهدة الدخان مثلاً.

٢. عين اليقين: وهو مشاهدة المطلوب ورؤيته بعين البصيرة والباطن، وهذا أقوى في الوضوح بالجلاء من المشاهدة بالبصر، وفي الحديث[4] عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (ما كنت أعبد رباً لم أره)، وحين سئل (وكيف رأيته) قال عليه السلام: (رأته القلوب بحقائق الإيمان) وهذه الرؤية حصلت للإنسان بالتجرد التام للنفس، وتصفيتها من الشوائب والتعلق بالدنيا.

٣. حق اليقين: وهو حصول رابطة وثيقة معنوية وربط حقيقي بين العاقل والمعقول، بحيث يرى العاقل ذاته ملكاً للمعقول مرتبطاً به غير منفك عنه، وذلك لشدة فقر الإنسان وغناه المطلق تبارك وتعالى، والمشاهدة عنده تكون دائماً ببصيرته الباطنية وهذا لا يكون إلا من عاش المجاهدة وكبت جماح النفس

---

(١) جامع السعادات: ج١ ص٢٥٤.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

(٣) جامع السعادات: ج١ ص١١٨.

(٤) راجع الكافي: ج١ ص٩٧.

الأمّارة بالسّوء وأطهر من أدناس الدّنيا كما يقول الشاعر:

كيف ترى ليلى بعين ترى بهـــا سواها وما طهرتها المدامـــع

قلوبهم محزونة

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين أيضاً: (قلوبهم محزونة، مخافة التقصير في حقّ الله تعالى).

إذ يلزم على الإنسان أن يرى نفسه مقصّراً أمام الله دائماً، ولا يرضى بأعماله وما يؤديه تجاه الباري عزوجل، كما قالوا: (وكفى المرء نقصاً أن يرى نفسه كاملاً). وهذا ما يُسمّى في الروايات بالعجب.

لأنَّ الرضا عن النفس من أعظم المنزلقات التي تواجه المؤمن إن لم نقل أقواها فإنَّ الإنسان إذا تلبس بالرضا النفسي عن أعماله اتكأ ومال إلى التراخي عن المجاهدة للهوى الذي ما انفك لحظة عنه، لأنَّ النفس تحوي على زوايا مظلمة لايمكن للنور أن يصلها بسهولة إلا بتلك المجاهدة والإصرار وترويض الذات حتى تصطفي إلى مصاف سلوكية الأتقياء وسلوكية الصالحين من البشر، فإنَّ المجاهدة والترويض الدّائم يشع نورا على زوايا تلك النفس المظلمة العاتمة.. وذلك لشدة فقر الإنسان مهما كان عظيماً وغناه المطلق تبارك وتعالى.

وقد كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام خير نموذج في التعامل مع الله، فكانوا يرون أنفسهم مقصرين أمام الله عزوجل مع أنهم معصومون لا يصدر منهم الخطأ والعصيان.

قال الإمام الصادق عليه السلام: (إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله ويستغفره في كلّ يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب)[1].

شرورهم مأمونة

ثم يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتّقين: (وشرورهم مأمونة) لأنَّهم الخير المحض والعمل الصالح والتقوى العملية، فشرّهم مأمون وخيرهم مأمول، وهل يمكن للمتقي أن لا يكون محبًّا للسلام والمحبّة بين الناس!.

قال عليه السلام في صفة المؤمن: (مقبل خيره، مدبر شره، غائب مكره..)[2].

وقال عليه السلام: (الخير منه مأمول والشر منه مأمون)[3].

أجسادهم نحيفة

ورد أيضاً في خطبة الإمام عليه السلام: إنَّ المتقين (أجسادهم نحيفة) فهل هي من نقص الغذاء يا ترى؟

أم نقص الفيتامينات والبروتينيات؟

أم ماذا؟

والظاهر أنّه من الخوف من الله وترك الدنيا والعمل الدّائب والسهر والمجاهدة فيما يرضي الله.. فهم قد استبدلوا تخمة المعدة بنحافة الجسد واصفرار الوجه ونحافة البنية!! لأنَّ الجسد لا قيمة له إذا لم يرهق في سبيل الله.

---

(١) معاني الأخبار: ص٣٨٤.

(٢) أعلام الدين: ص١٤١.

(٣) مكارم الأخلاق: ص٤٧٧.

والمتقون كل شيء عندهم مرتبط بالله تعالى، حتى الأكل فهو عندهم حسب الموازين والآداب الشرعية .. لا يأكلون إلا عندما يجوعون ولا يتركون الطعام إلا وهم جائعون، شعارهم التّواضع والبساطة، وزادهم التقوى، وطعامهم الذّكر والإيمان، ولذّتهم الحمد والثناء والرجاء، وهمّتهم مواساة الآخرين وتذكر الجياع والأكباد الحرّى والبطون التي لا عهد لها بالشبع.

أنفسهم عفيفة

يقول الإمام ﷺ في صفتهم أيضاً: (أنفسهم عفيفة).

فإنَّ العفة من أهم الأشياء التي أكّدها الإسلام، حيث يثني القرآن على هذا النموذج الرائع.. فيصفهم بقوله تعالى: ﴿**يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً**﴾[1].

فالمتقون استغنت أنفسهم بحلال الله عن حرامه، فلا غنى عندهم إلا برضى الله، والغنى عندهم القناعة، والقناعة عندهم ما كسبته أيديهم من الحلال وعرق الجبين والتعب في سبيل الله، نعم الحلال ضالتهم فهو همهم الأول وليس غيره.. ونفوسهم متطلعة إليه وتعزف عن غيره مهما طاب لونه وحسن شكله وبرق زخرفه.. فهو عندهم جيفة إن لم يكن من حلال!.

ثم يقول عنهم الإمام ﷺ: (صبروا أياماً قصيرة.. أعقبتهم راحة طويلة)، نعم إنَّها أيّام قصيرة تحمّلوها (فعضوا على النواجذ) وهي حالة تعرف عند احتدام المواقف الصعبة، (ونالوا الرغائب.. فعمت البشرى وجوههم ..زادهم التقوى قال تعالى: ﴿**فإنَّ خير الزاد التقوى**﴾[2]).

وكثير من الناس لا يبلغ ما يحتاجه من الدنيا إلا بثمن باهظ: كرامته ودينه وعقيدته، أمّا الأبرار والمتقون فلا يبيعون هذا بذاك! نعم لهم حاجات دنيوية فإنّهم بشر.. وهذا لا يقدح بهم أبداً أن ينالوها بالطّرق الشّرعية التي فيها رضى الله سبحانه وتعالى.. ولكن كما قلنا برضى الله تعالى لا بسخطه.

وإن كان غير ذلك فيصبرون، إن كان بالصبر الرّضا فهو الأفضل، فيبدلهم الله عنها ما هو خير وأبقى ويعوضهم الله تعالى عن صبرهم كما قال عزوجل: ﴿**لكن الذين اتقوا ربّهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلاً من عند الله وما عند الله خير للأبرار**﴾[3].

ترك الدنيا

ثم يقول الإمام ﷺ عن المتّقين وأوصافهم: (أرادتهم الدنيا فلم يريدوها).

وإذا قال البعض: بأنّهم لم يستطيعوا النيل من الدنيا فتركوها.

فنقول له: كلا.. أليس بمقدورهم التنازل عن رضى الله للوصول إلى كثير من الأهداف والرّغائب غير

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٣.

(٢) سورة البقرة: ١٩٧.

(٣) سورة آل عمران: ١٩٨.

المشروعة والتي عادة لا تنال إلا بسخط الخالق ورضى المخلوق.. وهذا كمن يبيع دينه بثمن بخس؟ نعم دراهم معدودات وملك زائل لأيام معدودة، أليس بمقدورهم أن يفعلوا ذلك كما يفعل الخاسرون.

نعم بمقدورهم ولا نسلبهم الاختيار إن أرادوا ولكن المتقين أبوا إلا مرضاة الله قال تعالى: ﴿**أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجرٌ عظيم**﴾[1].

وللتوضيح الأكثر نقول: إنّ حفظ الإيمان عبّر عنه في بعض الروايات كحفظ الجمر، فأيّهما أسهل، القبض على الجمر والسير عليه، أم القبض على الدينار والدرهم والتنعم الظاهري بنعيم الدنيا وإن كان فيه التنازل عن رضى الله؟ كما يفعله البعض.. فهمّه الدنيا وتبرير التصرفات وتوجيهها بما يتناسب مع الأذواق والأمزجة من دون مراعاة رضى الباري عزّ وجلّ!.

ثم الإمام عليه السلام يصف المتقين بقوله: (وأسرتهم، ففدوا أنفسهم فيها)[2].

لم يتشبّثوا كما يفعل البعض حيث يتشبث بالدنيا للدنيا، وإنَّما المتقون عاشوا أحراراً في الدنيا وسعداء في الآخرة جعلنا الله منهم بلطفه وكرمه.

ليالي المتقين

يقول عنهم الإمام عليه السلام: (أمّا الليل فصافّون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتلونها ترتيلاً)، فالمتقون يقسمون أوقاتهم، أما الليل فللمجاهدة وبناء الذات ولمناجاة ربّ العالمين، وأمّا النهار فلأعمالهم الخاصة ومعائشهم..

باعتبار أنّ للوقت أهمية كبيرة في حياة المؤمن ينبغي أن يستثمره ويكرسه لمرضاة الله تعالى، وللقرآن أيضاً أهمية خاصة في نفوس هؤلاء المتقين الأبرار.. ولاندري هل للقرآن نفس الأهمية عندنا يا ترى؟

للأسف القرآن يشكو الهجر من المسلمين.. فلا يأخذ مكاناً في بيوتنا إلا في رفوف المكتبات الخاصة وعندما نأخذه ونتصفحه للتبرك أو للقراءة أحياناً أو غير ذلك تمتلئ أيدينا بالغبار.

ولكن انظر كيف يتعامل المتقون مع القرآن.. يقول الإمام عليه السلام عنهم: (يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنوا أنّها نصب أعينهم، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم)[3].

فعلاقتهم علاقة حميمة يستعبرون بما يقرؤون لا كما نقرأ القرآن وهمّنا آخر السورة، فإن من قرأ القرآن وكان من حملته كأنّما أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنّه لايوحى إليه[4].

---

(١) سورة الحجرات: ٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة١٩٣.

(٣) المصدر نفسه: الخطبة ١٩٣.

(٤) راجع تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص١١ وفيه: (من حمل القرآن فقد حمل أمراً عظيماً وقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى إليه).

ثم يقول أمير المؤمنين ﷺ في وصف المتقين: (أما النّهار فحلماء علماء، أبرار أتقياء، قد براهم الخوف بري القداح)[1].

النّفوس السّامية

وهكذا النفوس العظيمة هزلت وتهالكت من شدَّة الإعياء وسهر الجفون حتى يظن من يراهم أنّهم مرضى أو أهل البله.. كلا وألف كلا.. لعمري إنَّهم ذووا الهمة وأصحاب النفوس العالية التي ذابت بالإيمان كما يقول الشاعر:

وإذا كانت النفوس كبـــــاراً تعبت في مرادها الأجســـــــام

ومع كل هذه الصفات النبيلة فهم يستحقون المديح، وعلينا ان نقدرهم ونكرمهم..

وربما يقول القائل إنّهم سيطيرون فرحاً بذلك، ولكن الإمام ﷺ يقول عنهم: (إذا زكي أحد منهم خاف مما يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بي مني بنفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون)[2].

نعم للإنسان باطن وظاهر، وله حياتان ـ إن صلح التعبير ـ باطنية وظاهرية، فالظاهر ما يراه الناس والباطن لله تعالى، لأنّ الله تعالى مطلع على جميع السرائر، قال سبحانه: ﴿**يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور**﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿**يعلم ما تسرون وما تعلنون**﴾[4].

فصاحب النفس الكبيرة يتوقع الخطأ في أقواله وأفعاله ويخشى النقص والخلل لذا نجده يتحرس ويحتاط قدر المستطاع لتأخذ أعماله طابع الصّحّة والابتعاد عن الخطأ، وأما الذي يتصور أنّه على حقّ دائماً وأنّ أعماله لا ينالها خلل أو نقص فهو جاهل مركب، وهو من أشد أنواع الجهل وأصعبها علاجاً كما قال به علماء الأخلاق. وضده اليقين: وأوّل مراتبه هو مطابقة الواقع وهو لا يزول بشبهة وإن قويت.

ومن أوصافهم أيضاً

وبعد ذلك يصفهم الإمام ﷺ بقوله: (الخير منه مأمول والشر منه مأمون) وقد اتضح معناها سابقاً.

ولا ندري أين نحن من هذه الصفات؟ وكيف لنا؟ وكيف سنكون؟

قال الشريف الرضي (قدس سره): (فما أتم الإمام ﷺ وصفه هذا حتى صعق [همام] صعقة كانت نفسه

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

(٢) المصدر نفسه: الخطبة١٩٣.

(٣) سورة غافر: ١٩.

(٤) سورة النحل: ١٩.

فيها رحمه الله، عندها قال الإمام ﷺ: لقد كنت أخافها عليه، ثم قال ﷺ: أهكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها؟).

وهنا قد يقول القائل: إنَّ الإمام ﷺ إنّما يصف في هذه الخطبة قوماً في الخيال.. لا في عالم الوجود، أو هو ربما يصف نفسه ﷺ، أو هي أمنيته في المؤمنين أي كما ينبغي أن يكون عليه الإنسان المؤمن لا كما هو كائن بالفعل، حيث إنّ للإنسان جسماً وعواطف ورغبات وشهوات فكيف ينفصل عنها؟

الجواب على ذلك: نقول هذه ليست أمنية من الإمام ﷺ للتقوى وحسن السلوك، بل هي أعلى درجات التقوى فإنّ التقوى من الكلي المشكك الذي له مراتب مختلفة. هذا **أولاً**.

وثانياً: كلما تطرق إليه الإمام ﷺ من الأوصاف أمور ممكنة بل واقعة، فهناك كثير من الأولياء والعلماء والزهاد اتصفوا بهذه الأوصاف..

إذن ليست محالا تستعصي على قدرة المكلف وإرادته حتى لا يستحسنها العقل .. ومن ثم الشرع ليكون تكليفاً بما لا يطاق بل كل ما فيها ممكن التحلي به بل واقع.

فهذا القول أو الإشكال الذي قد يخطر على بال البعض إنما هو ناشئ عن نظرة قاصرة ونظرة غير واقعية لحقيقة الإيمان وحقيقة التكاليف الإلهية فضلاً عن فلسفة التقوى.

إن الارتقاء إلى مصاف المتقين واعتناق الوصف الآنف في الخطبة الشريفة حالة يمكن الحصول عليها لو كبح الإنسان أهواءه وجماح رغباته الشهوانية وميوله ولجم غرائزه، وأوكل قيّوميتها للعقل والإيمان والصبر والحكمة لتصبح كل غرائزه تحت السيطرة بعيداً عن الانفلات والتهور..

نعم إنَّنا نعاني ونعاني.. وليس كل انسان بمثابة (أبي ذر) أو (المقداد) أو (عمار) أو (همام) الذي صعق ﷺ ..

بل إنَّنا في عالم تحكمه الأهواء وتنشط فيه المحرمات والانفلات، وغرائزنا بعيدة عن سيطرة العقل وصحوة الضمير..

إنَّنا في عالم يحكمه الشيطان وجنوده، وشريعته شريعة الغاب، والتجارة الرخيصة، وينشط فيه السماسرة، ويسوده الظفر والناب، وليس للمؤمن الخيار إلا بشق الأنفس.

نسأل الله سبحانه أن يرزقنا مرافقة الأبرار.

هذا وفي بعض النسخ (موافقة الأبرار) والمؤدى واحد، فالمقصود بالموافقة ما يشمل الموافقة العملية أيضاً، كما لا يخفى.

صحبة الأخيار وترك الأشرار

وهنا ينبغي أن يسأل الداعي في هذا الشهر المبارك من الله سبحانه مصاحبة الأبرار المتقين الذين وصفهم الإمام أمير المؤمنين ﷺ، وكذلك يطلب من الباري مجانبة الأشرار، كما ورد في دعاء اليوم السادس عشر من شهر رمضان المبارك.

لأنَّ المؤمن الخيّر يميل بذاته إلى الخير فيحب فاعله.. لأنّه يجد فيه ذاته وسلوكه، فيستعبر منه ويتقوى به إذا ضعف بالإضافة إلى أنّه إذا لم يتجانب الأشرار يخاف أن يصير منهم! لأنَّ الإنسان يتأثّر تأثراً كبيراً بأصحابه وزملائه.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: (مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ومجالسة الأخيار تلحق الأشرار بالأخيار، ومجالسة الأبرار للفجار تلحق الأبرار بالفجار، فمن اشتبه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه فانظروا إلى خلطائه فإن كانوا أهل دين الله فهو على دين الله وإن كانوا على غير دين الله فلا حظّ له من دين الله، إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايؤاخين كافراً ولا يخالطن فاجراً ومن آخى كافراً أو خالط فاجراً كان كافراً أو فاجراً)[1].

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (من أراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً إن نسي ذكره، وإن ذكره أعانه.. إن المؤمنين يحبون ويبغضون لله لا لأنفسهم)[2].

وقال صلى الله عليه وآله: (من آمن أخاً في الله رفع له درجة في الجنة لاينالها بشيء في عمله)[3].

وقال صلى الله عليه وآله: (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله توالي أولياء الله والتبري من أعداء الله)[4].

الحب والبغض في الله

نعم تؤكد الروايات على الحب في الله والبغض في الله ... وهل نحن كذلك نحب لله ونبغض لله، لنختبر أنفسنا؟

والمقياس الحقيقي للإيمان هو أن نجعل كل شيء لله تعالى، يقول الإمام الباقر عليه السلام: (إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك فإن كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير والله يحبك، وان كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خيراً والله يبغضك والمرء مع من أحب)[5].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: (كل من لم يحب في الدين ولم يبغض في الدين فلا دين له)[6].

ومن صفات المؤمن أنه يحب أخيه المؤمن..

يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)[7].

وفي رواية أخرى يقول عيسى عليه السلام: (تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضى الله بسخطهم، قالوا: يا روح الله من نجالس؟ قال: جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم

---

(١) بحار الأنوار: ج٧١ ص١٩٧.

(٢) قرة العيون: ص٣١٦ للفيض الكاشاني، وانظر أيضا بحار الأنوار: ج٧٢ ص٣٥٩.

(٣) قرة العيون: ص٣١٦ للفيض الكاشاني.

(٤) بحار الأنوار: ج٦٦ ص٢٤٣ كتاب الإيمان والكفر، ب٣٦.

(٥) الوافي: ج٣ ص١٠٦، والكافي: ج٢ ص١٢٦.

(٦) الكافي: ج٢ ص١٢٧.

(٧) بحار الأنوار: ج٦٥ ص٢٠٥ كتاب الكفر والإيمان، ب٢٢.

كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله).

وفي مصباح الشريعة: يقول الإمام الصادق عليه السلام: واطلب مؤاخاة الأتقياء ولو في ظلمات الأرض ولو أفنيت عمرك في طلبهم، فإن الله لم يخلق على وجه الأرض أفضل منهم بعد النبيين وما أنعم الله بمثل ما أنعم به من التوفيق بصحبتهم قال تعالى: ﴿**الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**﴾[1].

دار القرار

وفي ختام هذا الدعاء نقول: (وآوني برحمتك إلى دار القرار بإلهيتك يا إله العالمين) حيث يأتي التركيز على الآخرة لأنها دار القرار أما الدنيا فليست إلا دار الفرار.

وهكذا من يتمسك بالتقوى ومصاحبة الأبرار والمتقين فتكون عاقبته إلى خير، قال تعالى: ﴿**العاقبة للتقوى**﴾[2].

وجزاء التقوى وصحبة الأبرار وترك الأشرار هو دار القرار الذي فيه النعيم المقيم قال سبحانه: ﴿**إن المتقين في جنات ونعيم**﴾[3]، وكل ذلك برحمته الواسعة ... لا بأعمالنا كما ورد في هذا الدعاء (**برحمتك**).

ثم هناك تأكيد على إلهيته سبحانه وتعالى حيث يقول (بإلهيتك يا إله العالمين) فاللازم أن لا ينسى العبد أنه عبد وأن الله إلهه بل إله العالمين..

نسأله تعالى أن يجعلنا كما يحب ويرضى إنه سميع الدعاء.

---

(١) سورة الزخرف: ٦٧.

(٢) سورة طه: ١٣٢.

(٣) سورة الطور: ١٧.



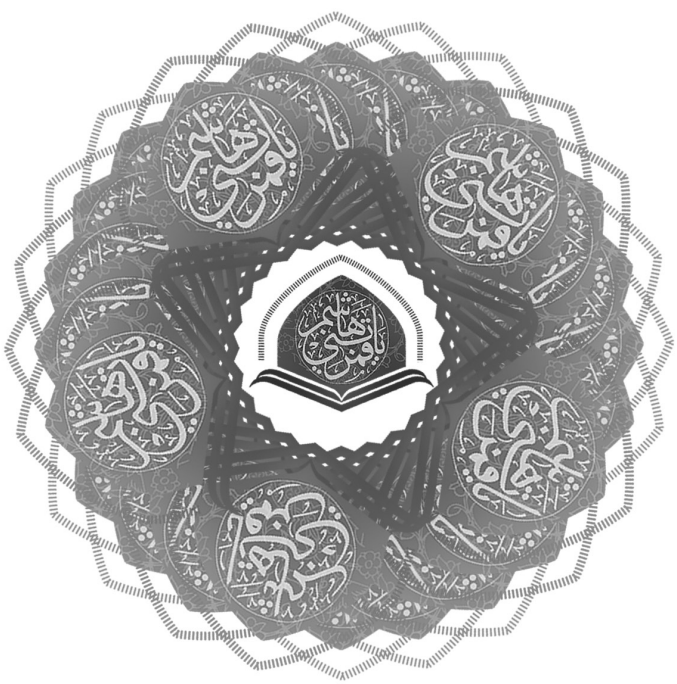

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام والأمـــن الإنســـاني

د. رحيم علي صياح

المقدمة

يتّخذ مفهوم الأمن الإنساني من الفرد وحدته الأساسية في التحليل بحيث يصبح محور أي سياسة أمنيّة أو اقتصادية أو سياسية، وهو تحقيق أمن الأفراد؛ وذلك من خلال مراعاة الأبعاد الإنسانية للقرارات الاقتصادية والسياسية والعسكرية... وإيجاد آليات تلزم الدَّولة بتنفيذ تعهّداتها نحو السعي لتحقيق أمن الأفراد(١).

كان جل اهتمام الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ينصبّ على تحقيق الأمن الإنساني للفرد المسلم بتوفير الحياة الكريمة التي تشمل العيش الكريم، والأمن الشَّخصي، وحرّيّة الأفراد في التّنقل، لذلك حاول التّصدّي بالقوّة العسكرية للخارجين عن سلطة الحق؛ لما يمثّلونه من تهديد خطير للأمن الإنساني، لكنه لما أيقن تمام اليقين بتشرذم جيشه، وضعف قاعدته في الكوفة، أدرك بما لا يقبل الشّكّ أنَّ محاربة معاوية بن أبي سفيان بمثل هكذا جيش، والاستناد إلى تلك القاعدة سيزيد من أمد الحرب، ويوسع نطاقها، فتشمل مساحات جديدة من الأرض، ويستنزف الكثير من أرواح المسلمين؛ فيؤدّي ذلك إلى انهيار الأمن الإنساني بدلاً من حفظه، ولهذا اضطرّ الإمام الحسن عليه السلام أن يقبل الهدنة بشروط هو يضعها كان الهدف منها حفظ الأمن الإنساني، وتحقيق السلام للمجتمع، وحماية أرواح المؤمنين، وتوفير سبل العيش الكريم لهم.

كانت المقاومة السلمية هي الطريق الذي أنتهجه الإمام الحسن عليه السلام لمواجهة التّحدّيات والأخطار التي تُهدِّد الأمن الإنساني في ربوع دولة الإسلام، وقد تجسّد ذلك بقوله: "وإنَّ معاوية نازعني حقًّا هو لي، فتركته لصلاح الأمّة وحقن دمائها ... رأيت أنَّ حقن الدّماء خير من سفكها، وأردت صلاحكم وأن يكون ما صنعت حجّة على من كان يتمنّى هذا الأمر(٢)".

لذلك فقد وضع على معاوية شروطًا هدفها الجوهري هو تحقيق الأمن الإنساني للمسلمين، إذ جاء في وثيقة الهدنة: "الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم، وعلى أن أصحاب علي عليه السلام وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا (٣) ".

---

(١) محمد أمين، خديجة عرفة، الأمن الإنساني المفهوم والتطبيق في الواقع العربي، (الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٩م)، ص١١.

(٢) البلاذري، احمد بن يحيى(ت٢٧٩هـ)، كتاب جمل من انساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦م)، ج٣، ص٢٨٨

(٣) ابن الصباغ، علي بن محمد بن احمد المكي(ت ٨٥٥هـ)، الفصول المهمة في معرفة الائمة، تحقيق:جعفر الحسيني، (بيروت، المجمع العالمي لاهل البيت عليهم السلام، ٢٠١١)، ص٢٤٠.

ليس من المستغرب أن يكون للإمام الحسن عليه السلام قصب السبق في إقرار وتشريع الأمن الإنساني قبل أن تتطرّق إليه هيآت الأمم المتّحدة ومواثيقها في نهايات القرن الماضي، لأنَّ أفكار أهل البيت ومنهم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أفكار سابقة عصرها، فهي أفكار إلهيّة عابرة للزمن، ولو كانت أفكارًا وضعيّة ذات نظرة ضيقة لتموضعت في موضعها ولم يكتب لها الاستمرار، ولم يمتدّ عمر صلاحيتها ليلائم كلّ الأوقات والعصور، فهي أفكار متجدّدة الصّلاحية ناجعة المفعول في كلِّ زمان؛ لأنّها ببساطة أفكار منبعها القرآن والسنّة نزل بها الرّوح الأمين على خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله.

إنَّ تناولنا لهذا الموضوع جاء من كون أنَّ مفهوم الأمن الإنساني مفهوم حديث نسبيًّا لم ينل ما يستحق من البحث والدِّراسة، فضلاً عن الرّغبة في إبراز المعالجات التي وضعها الإمام الحسن عليه السلام في تحقيق الأمن الإنساني، لصيانة حقوق الأفراد وحفظ كرامتهم في الوقت نفسه هي دعوة لتبنّي هذا الفكر المحمّدي في تحقيق الأمن الإنساني في هذا الوقت الذي نُعاني فيه من انفراط عقد الأمن الوطني والإنساني.

تناولنا في بحثنا هذا: التّطوّر التاريخي لهذا المفهوم، وتعريف الأمن الإنساني، ثم موقف الإمام الحسن عليه السلام من الصلح وأسبابه، وتناولنا بالتّحليل والمقارنة شروط الإمام الحسن عليه السلام، وما تضمّنته من مفاهيم ومقوّمات الأمن الإنساني في العصر الحديث.

التّطوّر التاريخي لمفهوم الأمن الإنساني

للإنسان في الإسلام مكانته المتميّزة التي خصّه الله تعالى بها عن سائر مخلوقاته، فسخّر له كلّ الموجودات حبًّا به وكرامة له وحرصًا عليه، فحرَّم دمَه وهَدْرَ كرامتِه، فكان الإنسان بذلك المخلوق الأسمى بين كلِّ المخلوقات، ونتيجة لذلك أصبح محور كلّ التّكليفات والتشريعات الإلهية التي تهدف إلى إخراجه من الذّلّ والشّهوة إلى العزّة والرِّفعة، وقد حرص الإسلام على صيانة حياة الإنسان من التّلف وعدَّها من أشدّ المحظورات، ورتّب عليها أشدّ العقوبات.

وقد سعت الأمم المتحضّرة متأثّرة بالإسلام وغيره من روافد العلم والمعرفة الى احترام حقوق الإنسان وصيانة النّفس البشرية من التّلف والانحطاط، وكان من ضمن مساعيها تحقيق الأمن والأمان له، فظهر ما يعرف بمفهوم الأمن الإنساني.

يتخذ مفهوم الأمن الإنساني من الفرد وحدته الأساسية في التحليل بحيث يصبح محور أي سياسة أمنيّة أو اقتصادية أو سياسية هو تحقيق أمن الأفراد وذلك من خلال مراعاة الأبعاد الإنسانية للقرارات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وإيجاد آليات تلزم الدّولة بتنفيذ تعهّداتها نحو السّعي لتحقيق أمن الأفراد[1].

يُعدّ ظهور مفهوم الأمن الإنساني نقطة تحوّل في الدِّراسات الأمنية، وذلك من خلال الانتقال من أمن

(١) محمد امين، الامن الانساني، ص١١.

الدولة والحدود والأرض الى أمن من يعيشون داخل الدولة وفي إطار حدودها وعلى أرضها[١].

كان من الطّبيعي العودة إلى أمن البشر بعد أن فاقت معاناة البشر كلَّ التّوقّعات، كما تأكّد أنَّه برغم زيادة تأمين الدّولة بأبعادها العسكرية والسياسية، فأمن البشر لم يتحقّق بأمن الدَّولة[٢].

يتّخذ مفهوم الأمن الإنساني من الفرد وحدته الأساسية في التّحليل انطلاقًا من أمن الدَّول برغم أهمّيّته لم يعد ضامنًا أو كفيلاً بتحقيق أمن الأفراد، والأكثر من ذلك أنَّه في أحيان كثيرة تفقد الدولة الشّرعيّة، فتتحوّل ضد أمن مواطنيها[٣].

جاء بروز مفهوم الأمن الإنساني في محاولة لإدماج الشّق أو البعد الفردي ضمن مفهوم الأمن، وذلك بالتركيز على تحقيق أمن الأفراد داخل الحدود وعبرها، بدلاً من التركيز على أمن الدولة ذاته، وهو ما جاء انعكاسًا لمجموعة كبيرة من التّحوّلات التي شهدتها البيئة الدولية في فترة ما بعد الحرب الباردة التي كشفت عن عمق مصادر تهديد أمن الأفراد وخطورتها، وعدم ملاءمة الاقتراب التّقليدي للأمن لتحديد السّبل الكفيلة بتحقيق أمن الأفراد [٤] .

ورغم أنّ مفهوم الأمن الإنساني يجد جذوره الرّاسخة في مفاهيم أخرى في العلاقات الدّولية والقانون الدّولي كحقوق الإنسان والأمن الجماعي الدّولي، ورغم أنَّ الأفكار التي استلهم منها كانت قد نضجت عبر ما يقرب القرن والنّصف من عمر البشرية، لكنّه كما ذكرنا أخذ بالتبلور بوصفه مفهومًا له كيانه المستقل ومصطلحًا جديدًا بعد الحرب الباردة، فمنذ تسعينات القرن العشرين استعمل الأمن الإنساني عددًا كبيرًا من الدّول والمنظمات الحكومية وغير الحكومية بصفته ركيزة لوصف برامج عمل هذه المنظمات وتأطيرها، ووسيلة للربط بين عدد كبير من المبادرات السّياسية وإضفاء المزيد من التناسق عليها، حيث انبثقت العديد من الرّؤى حول ضرورة إيجاد مبدأ للأمن يواجه التّحدّيات الجديدة خاصة ذات الصلة بالتنمية الاقتصادية، فجاء مفهوم الأمن الإنساني الذي يتمحور حول ضمان أمن الأفراد ليعمل الى جانب التصوّرات الأمنية التقليدية التي تتمحور حول ضمان أمن الفرد لكن ضمن إطار أوسع يتمثّل بدولته أو مجتمعه [٥] .

يبدو مصطلح الأمن الإنساني مصطلحًا جديدًا لكن الأفكار التي استلهم منها قد ظلّت تتبلور منذ قرن ونصف بدأ بالمعاهدة الدولية للصليب الأحمر سنة ١٨٦٤م مرورًا بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان وصولاً إلى معاهدات جنيف سنة ١٩٤٩م، أما المرجعية التي يستند إليها الأمن الإنساني فهي سلامة البشر، فمقاربة الأمن

---

(١) العدوي، محمد احمد علي، الامن الانساني ومنظومة حقوق الانسان دراسة في المفاهيم والعلاقات المتبادلة، (القاهرة، مركز الاعلام الوطني، بلا)، ص٤.

(٢) م، ن، ص٤.

(٣) محمد امين، الامن الانساني، ص٣.

(٤) م.ن، ص٣.

(٥) يوسف، خولة محي الدين، الامن الانساني وابعاده في القانون الدولي العام، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مج٢٨، العدد٢، (دمشق، ٢٠١٢م)، ص٥٢٥.

الإنساني تعني بالتهديدات غير التقليدية [١] .

وكما أسلفنا برز مفهوم الأمن الإنساني نتاجًا لمجموعة من التحوّلات التي شهدتها فترة ما بعد الحرب الباردة، كمفهوم جديد يرتكز بالأساس على ضمان كرامة الإنسان كمحاولة لتفسير ظواهر من التهديد الأمني لم يكن من الممكن التعامل معها وفقًا للأدبيات التقليدية لمفهوم الأمن، ويمكن تتبّع جذور مفهوم الأمن الإنساني في بعض المبادرات المحدودة لطرح هذا المفهوم إلا أنّه لم يكن لها صدى كبير ودور مؤثّر في طرح المفهوم على أجندة العلاقات الدّولية، ففي عام ١٩٦٦م ظهرت نظرية سيكولوجية كندية باسم الأمن الفردي [٢]، وفي عام ١٩٦٦م أيضًا طرح الأكاديمي الكندي(بلاتز) رؤيته حول الأمن الفردي في كتابه (الأمن الإنساني بعض التأملات)، وتمثّلت فرضيته الأساسية في أنّ مفهوم الأمن هو مفهوم شامل يضم العلاقات الاجتماعية كافة التي تربط الجماعات والمجتمعات، وتمثّل تعويضًا أو بديلاً عن الشّعور الذّاتي بغياب الأمن من خلال قبول أنماط معيّنة من السّلطة [٣]، وقد أكّد (بلاتز) أنَّ الدولة الآمنة لا تعني بالضّرورة الأفراد الآمنين أو تحقيق أمن الأفراد، وهو ما مثّل أوّل تحدٍّ على المستوى النّظري للفكر التقليدي القائم على محوريّة أمن الدّولة، أو أنَّ أمن الدّولة هو الأساس في تحقيق أمن كلّ ما بداخلها من أفراد، وبرغم ذلك لم تثر نظرية (بلاتز) آنذاك جدلاً حول مفهوم الأمن الإنساني، وهو ما يفهم في سياق البيئة الدّولية السائدة في ذاك الوقت وظروف الحرب الباردة [٤] .

وخلال السّبعينات والثّمانينات من القرن العشرين أُثير الحديث عن مفهوم أمن الفرد أو الأمن الإنساني من خلال مناقشة أبرز تحدّيات تهديد أمن الأفراد ومصادره، وذلك من خلال أعمال وتقارير بعض اللجان المستقلة وبعض أعمال المؤتمرات الدّولية، وهو ما جاء بالأساس في سياق محورين تعلق الأول منهما بالرّبط بين الأمن والتّنمية، أمّا المحور الثاني فجاء من خلال الرّبط بين قضايا الأمن والتّنمية والإنفاق على التّسليح [٥] .

ثم أُعيد إحياء مفهوم أمن البشر والأفراد في المجتمعات المختلفة ممّا أدّى إلى شيوع مفهوم الأمن الإنساني، وطغى على مفاهيم أخرى كالأمن الاجتماعي، والأمن الوطني، بعد صدور تقرير عن التنمية البشرية من قبل برنامج الأمم المتّحدة الإنمائي عام ١٩٩٤م [٦]، أكّد هذا التقرير على أنَّ جوهر الأمن الإنساني يكمن في

---

(١) موسى، غادة علي، اعادة النظر في استراتيجيات الامن الانساني في المنطقة العربية اوراق مختارة قدمت خلال المؤتمر الدولي للامن الانساني في الدول العربية المنعقد في عمان للمدة من ١٤-١٥/ ٣/ ٢٠٠٥م(عمان، ٢٠٠٥م)، ص١١.

(٢) احمد عبد الجبار، عواد، منى جلال، الديمقراطية والامن الانساني، بحث منشور في مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد٤٦، (بغداد، ٢٠١٣م)، ص٦.

(٣) محمد امين، الامن الانساني، ص٢١.

(٤) محمد امين، الامن الانساني، ص٢١، شنين، محمد المهدي، تحولات مفهوم الامن الانساني، بحث منشور على موقع بحوث رؤية مختلفة بتاريخ ١٠/ ٧/ ٢٠١١، ص٥.

(٥) محمد امين، الامن الانساني، ص٢١.

(٦) العدوي، الامن الانساني ومنظومة حقوق الانسان، ص٥، سالم مها رحيم، شبكة الحماية الاجتماعية والامن الانساني في العراق في اطار السياسة الاجتماعية، بحث منشور في مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، العدد ٤، (بغداد، ٢٠١٢م)، ص١١٣٦.

التهميش؛ إذ ظهر المصطلح جزءًا من منظومة المفاهيم الكلّيّة للتنمية [١]، وربط بين التّنمية الإنسانية والأمن الإنساني، وأنَّ الأمن الإنساني يقتضي التخفيف من كافة ضروب اختلال سلامة البشر، وتؤكِّد مقاربة التّنمية الإنسانية للأمن الإنساني، إنَّ الأمن لا ينبغي أن يقتصر على الدّول والأقاليم، بل ينبغي أن يعنى كذلك بالأفراد الذين يكونوا في صميم المشاغل الأمنيّة، بل وأكثر من ذلك إذ ينبغي أن يمتدّ أمن الأفراد إلى كافّة الفضاءات والواقع من سكن ومشغل وشارع وجماعة محلّيّة وبيئية [٢] .

أخذت بعض الدّول في تبني مفهوم الأمن الإنساني كأحد أدوات سياستها الخارجية، ومن بينها اليابان وكندا، وفي عام ٢٠٠٥م طرح الاتحاد الأوربي استراتيجية أطلق عليها (الاستراتيجية الأوربية لتحقيق الأمن الإنساني) [٣].

تعريف الأمن الإنساني

عرف محبوب الحق وزير المالية الباكستاني السَّابق والخبير الاقتصادي لدى برنامج الأمم المتّحدة الإنمائي الأمن الإنساني بقوله: إنَّ محور الأمن يجب أن ينتقل إلى ضمان أمن الأفراد من مخاطر متنوّعة على رأسها الأمراض والإرهاب والفقر والمخدّرات، ووجود نظام عالميّ غير عادل، وذلك عن طريق تحقيق التّنمية وإصلاح المؤسّسات الدّولية؛ وعلى رأسها الأمم المتّحدة والمنظّمات الاقتصادية العالمية كصندوق النّقد الدّولي والبنك الدّولي للتعمير، والتّنمية عبر شراكة حقيقية بين دول العالم كلّها [٤] .

وعرفته لجنة الأمن الإنساني التابعة للأمم المتّحدة: بأنَّه حماية الجوهر الحيوي لحياة جميع البشر بطرائق تعزّز حرّيّات الإنسان وتحقيق الإنسان لذاته، ورأت أنَّ الجوهر الحيوي لحياة البشر هو مجموعة الحقوق والحرّيّات الأوّليّة التي يتمتّع بها الأفراد، وضمان حمايتهم من أوضاع قاسية قد يجدون أنفسهم فيها، ومن التّهديدات واسعة النّطاق [٥] .

فيما رأى الأمين العام السّابق للأمم المتحدة كوفي عنان: أنَّ الأمن الإنساني يتضمّن بأوسع معانيه ما هو أكثر بمراحل من انعدام الصّراعات العنيفة، فهو يشمل حقوق الإنسان، والحكم الرشيد، وإمكانية الحصول على التّعليم، والرّعاية الصّحّيّة، وكفالة وإتاحة الفرص والخيارات لكلّ فرد لتحقيق إمكاناته، وكلّ خطوة في هذا الاتجاه هي أيضًا خطوة نحو الحدّ من الفقر، وتحقيق النّمو الاقتصادي، ومنع الصّراعات، والتّحرّر من الفقر، والتّحرّر من الخوف، وحرّيّة الأجيال المقبلة في أن ترث بيئة طبيعيّة صحّيّة هي اللبنات المترابطة التي يتكون منها أمن الإنسان، والأمن القومي بالتالي [٦] .

---

(١) سالم، شبكة الحماية الاجتماعية، ص١١٣٦.

(٢) موسى، اعادة النظر في استراتيجيات الامن الانساني، ص١١.

(٣) محمد امين، الامن الانساني، ص٤.

(٤) يوسف الامن الانساني وابعادة في القانون الدولي، ص٢٥٦.

(٥) سالم، شبكة الحماية الاجتماعية، ص١١٤٢.

(٦) يوسف، الامن الانساني وابعاده في القانوني الدولي، ص٥٢٧ص٥٢٨، شنين، تحولات مفهوم الامن الانساني، ص٣.

كما أنَّ هناك تعريفًا آخر يصف الآمن الإنساني بأنَّه الحالة التي تتم فيها تلبية الحاجات المادّيّة الأساسية، والتي يمكن أن تُحقّق فيها الكرامة الإنسانية بما في ذلك المشاركة الفعّالة في حياة المجتمع بشكلٍ كلّيّ لا يتجزّأ دون أن يتم تطبيق ذلك لصالح فئة دون أخرى[١] .

لم يهمل الإسلام الأمن بل أعطاه ما يستحق من الاهتمام لكونه يوفّر البيئة السّليمة لحياة الإنسان التي يستطيع أن يمارس كافّة نشاطاته العبادية والدّنيوية فيها بشكلٍ سليم، وأن يجني ثمار هذا العمل؛ لذا وردت كلمة الأمن خمس مرات[٢]، وسبع مرات بصيغة آمنين[٣]، وقد ورد في بعضها الأمن مقابل الخوف والذي يعني الاطمئنان، وقد نبّه الله سبحانه وتعالى فيها عبادة إلى أهمّيّة الأمن وضرورته لإدامة الحياة كما في قوله تعالى: ﴿**الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾ [٤] .

أمّا في السّنّة النّبويّة المباركة فقد ورد في الأثر عن رسولنا الكريم أنَّه قال: "من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنَّما حيزت له الدّنيا بحذافيرها" [٥] . وحديث رسول الله هذا يختصر بشكلٍ دقيقٍ كلّ مفاهيم الأمن الإنساني وتعريفاته التي عنيت به الأمم المتّحدة بعد طول عناء، فالرّسول لم يقصر الأمن على الاطمئنان، والبعد عن الخوف، وإنَّما ربطه بالحالة الصّحّيّة، والأمن الاقتصادي، وهما من المقوّمات الضّروريّة لتحقيق الأمن الإنساني.

كانت الرؤية الإسلامية قد اقتضت أن يكون الأمن اجتماعيًّا لا تقف طمأنينته عند دنيا الفرد، بل وجعلت جماعيته واجتماعيته السَّبيل لتحقّقه في الإطار الفردي، فإنَّ هذه الرؤية قد تجاوزت بأهمّيّة الأمن نطاق الحق الإنساني لتجعله فريضة إلهية، وواجبًا شرعيًّا، وضرورة من ضرورات استقامة العمران الإنساني وإقامته، بل وجعلت هذه الرؤية الإسلامية إقامة مقوّمات الأمن الأساس لإقامة الدّين فرتب على صلاح الدنيا بالأمن على مقوّمات الاجتماع الإنساني فيها صلاح الدّين [٦] .

جهود الإمام الحسن عليه السلام في تحقيق الأمن الإنساني

من هذه الرّؤية الإسلامية التي تجعل الأمن الإنساني واجبًا شرعيًّا انطلق الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في سعيه لتحقيق الأمن لأمّة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، فحاول جاهدًا أن يقضي على مسبّبات الخوف والذّعر، وإشاعة الفوضى، وترويع الآمنين، وتدمير اقتصاد المسلمين، وبدأ بأوّل الخطوات أن دعا الناس للجهاد، فالجهاد في

(١) سالم، شبكة الحماية الاجتماعية، ص١١٤٤.

(٢) سورة النساء، الاية ٨٣، سورة الانعام، الاية٨١، ٨٢، سورة البقرة، الاية١٢٥، سورة النور، الاية٥٥.

(٣) سورة يوسف، الاية ٩٩، سورة الحجر، الاية ٤٦، ٨٢، سورة الشعراء، الاية ١٤٦، سورة القصص، الاية٣١، سورة سبأ، الاية١٨، سورة الدخان، الاية٥٥.

(٤) سورة قريش، الاية ٤.

(٥) الترمذي، أبو عيسى(٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م)، ج٤، ص١٦٧.

(٦) عمارة، محمد، الاسلام والامن الاجتماعي، (القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٨م)، ص١٧.

نظر الإمام الحسن عليه السلام كان أنجع الطّرق لتحقيق الأمن الإنساني بالقضاء على القاسطين الذين كانوا يعيثون في الأرض فسادًا، ولا يتورّعون عن ارتكاب الجرائم، وانتهاك المحرّمات، فقد ذكر الطبري [1] أنَّ الإمام الحسن عليه السلام خرج بالناس إلى المدائن لملاقاة معاوية، فيما ذكر المسعودي [2] أنَّ الإمام الحسن عليه السلام لعلمه بأهل الكوفة كان مرتابًا من صدقهم في الجهاد، ولذا أمرهم بالتّوجّه الى المعسكر في النّخيلة، فركب وتخلّف عنه أكثر الناس.

وتوالت خيانات قادة الجيش؛ فمرّة رجل من كندة، وأخرى رجل من مراد [3]، وذكر اليعقوبي [4] أنَّ الإمام الحسن عليه السلام وجّه عبيد الله بن العباس على رأس جيش قوامه اثنا عشر ألفًا، فترك جيشه وانحاز إلى معاوية بعد أن جعل له ألف ألف درهم، وأخيرًا ما حدث للإمام في ساباط من وثوبِ الناس عليه، وطعنه في فخذه وانتهاب متاعه [5].

هذا هو الحال أيّام خلافته، فكيف يُقاتل؟ وبمن يقاتل؟ وبأيّ روح يُحقّق النّصر، ويحفظ للأمّة كيانها وسلامة أبنائها؟ والحق أنَّنا لم نفصل في هذه الظّروف لأنَّها أصبحت من الأمور المعلومة التي لا تخفى على أحد.

لم يكن همّ الإمام الحسن عليه السلام الخلافة، والوصول إلى السّلطة والتّأمّر على الناس، وإنَّما كان هدفه من الخلافة أن يقيم دين الله، وأن يساوي بين الناس وفق الشّريعة المقدّسة من إقامة العدل، وإشاعة الأمن، وتهيئة الظّروف المناسبة لنهوض الأمّة والارتقاء بالإنسان المسلم، ولما لم تكن الظّروف تسمح لهذا المشروع أن يستمر قرّر الإمام الحسن عليه السلام أن يعقد الهدنة بشروطه حتى يستخلص ما يستطيع استخلاصه للمسلمين من براثن معاوية تحقيقًا للأمن الإنساني، وليس ضعفًا أو جبنًا عن القتال، وقد علّل الإمام الحسن عليه السلام ذلك بقوله: "يا عجبًا من قوم لا حياء لهم ولا دين من غدرة الى غدرة، أما والله لو وجدت أعوانًا لقمت لهذا الأمر أي قيام، ونهضت به أي نهوض"[6].

والإمام الحسن عليه السلام عندما يغلب مصلحة الإسلام العليا إنَّما يسير على نهج أمير المؤمنين علي عليه السلام عندما هادن القوم الذين ابتزّوا حقّه في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، مغلبًا مصلحة الدّين، وساعيًا إلى وحدة المسلمين، فصدع بقولته المشهورة: "أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وإنَّه ليعلم أنَّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحى، ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوبًا وطويت عنها كشحا، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت أنَّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى أرى تراثي نهبا [7]"، فالظّروف نفسها التي أجبرت الإمام علي عليه السلام على الصبر، والمجتمع نفسه الذي لم ينصر

---

(١) محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)، تاريخ الامم والملوك، (بيروت، دار الاميرة، ٢٠١٠م)، ج٣، ص٣٣٠.

(٢) علي بن الحسن بن علي(ت٣٤٦هـ)، اثبات الوصية للامام علي بن ابي طالب عليه السلام، (النجف الاشرف، دار الاندلس، ٢٠٠٩م)، ص١٦٨.

(٣) م.ن، ص١٦٨.

(٤) احمد بن اسحاق بن واضح(ت٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، تعليق: خليل منصور، (طهران، مطبعة مهر، ١٤٢٥هـ)، ج٢، ص١٤٩.

(٥) م.ن، ج٢، ص١٤٩.

(٦) المسعودي، اثبات الوصية، ص١٦٩.

(٧) ابن ابي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله المدائني(ت٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (بيروت، الدار اللبنانية للنشر، ٢٠٠٨م)، ج١، ص١١٢.

الحق، وقنع بالذّلّ، وارتضى للباطل أن يسود، حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام: "لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة"[1]، وهي الظّروف والمواقف نفسها التي دعت الإمام الحسن إلى القول: "وإنَّ معاوية نازعني حقًّا هو لي، فتركته لصلاح الأمّة، وحقن دمائها"[2].

كان الإمام الحسن عليه السلام يسعى بكلّ جهده لقطع دابر القاسطين، ولم يألُ جهدًا في ذلك، إلا أنَّه لمّا رأى الفشل والخذلان في أصحابه، وإيثارهم العافية والسلامة على نصرة الحق، اختار أن يُهادن لحقن دماء المخلصين من الأمّة، وحفظ النساء والأطفال من اليتم والتّشرّد، واختار لأمّته ما هو أفضل لعلمه بعاقبة الأمور.

كان الإمام الحسن عليه السلام بطلاً للحرب، وبطلاً في تحقيق الأمن الإنساني، وليس السلام فقط، فقد كان يرى أنّ السلام والأمن الإنساني يتحقّق بإرغام معاوية على قبول الحق والإذعان لولي الأمر، أمّا بعد أن رأى خذلان الناس وتشتّت معسكره خيانة وهربًا وتقاعسًا، ورأى أنَّ معاوية وحزبه يغيرون على بلاد المسلمين، فيقتلون النّساء والشّيوخ والأطفال، ويحرقون الغلال، وينهبون الثّروات وهو ما أشار إليه الطّبري [3] من أنَّ معاوية فرق جيوشه على أطراف دولة الإمام يقتلون ويدمّرون النّسل والحرث.

نقول كان لابُدَّ للإمام الحسن عليه السلام من أن يقف بوجه هذا المد الأموي الذي أخذ يدمّر أرض المسلمين، وينزوا على تعاليم الإسلام هدمًا وتخريبًا، ويقتل إيمان الناس بعظمة الرّسالة وحقّ الولاية، لذلك آثر الإمام الحسن عليه السلام أن يشيع الأمن الإنساني، والسّلم الاجتماعي ليقطع على معاوية الطَّريق، ويتفرّغ هو وأهل بيته والخلّص من أصحابه للمقاومة السّلميّة بفضح أساليب معاوية، فكان الإمام الحسن عليه السلام بطل المقاومة السلميّة التي أثمرت عن إيناع الظّروف لثورة الإمام الحسين عليه السلام، وأبقت على المخلصين من أتباعه الذين واجهوا حملة تحريف الدّين التي كان يقوم بها معاوية ببثّ الأحاديث المزوّرة التي غيّرت معالم الدِّين، فوقف أصحاب الإمام على الرّغم من كلّ الظّروف يبثّون علوم أهل بيت النّبي، وينشرون فضائل العترة الطاهرة التي حاولت السّلطة طمسها بالإكراه والتخويف تارة، وبالرّشوة تارة أخرى، فكان ذلك من أعظم ثمار الهدنة التي قرّرها الإمام الحسن عليه السلام.

ولو سبرنا حياة الإمام الحسن عليه السلام لوجدنا ذات الخط الذي انتهجه أبوه أمير المؤمنين عليه السلام وأمّه فاطمة الزّهراء عليها السلام يتجسّد مرّة أخرى في سيرته الرّسالية حيث لم يرَ مصلحة فوق مصلحة الإسلام العليا، ولا قيمة لشيء أكبر من قيمتها، بل لقد أرخص عليه السلام كلّ شيء في سبيلها لأنَّها سبيل الله وكلمته العليا [4].

فكانت مصلحة الإسلام وحقن دماء المسلمين أهمّ عند الإمام الحسن عليه السلام من سلطة الأمر والنّهي ومن زخرف الدّنيا، فالحفاظ على أرواح المسلمين كان واجبًا شرعيًّا مقدّسًا لا يمكن لإنسان مثل الإمام الحسن عليه السلام

---

(١) م.ن، ج٦، ص٢٦٦.

(٢) البلاذري، انساب الاشراف، ج٣، ص٢٨٨

(٣) تاريخ الامم والملوك، ج٣، ص٣١٦.

(٤) المقدادي، فؤاد كاظم، الامام الحسن ومصلحة الاسلام العليا، بحث منشور في مجلة رسالة الثقلين، العدد٢٢، (١٣٧٦هـ)، ص٨٤.

أن يتوانى في الحفاظ عليه، وهذا ما أثبتته الهدنة، فقد حقّقت الاستقرار والأمان لشيعة الإمام طيلة مدّة حياته، ولم يصل إليهم معاوية ما دام الإمام الحسن عليه السلام حيًّا.

شروط الهدنة

تجاهل كثير من المؤرّخين شروط الهدنة التي وضعها الإمام الحسن عليه السلام فلم يذكروها، والذي ذكرها إنَّما ذكرها مجملة ولم يفصل فيها، كما لم تتّفق المصادر على هذه الشّروط، ونحن في بحثنا هذا سنأخذ من هذه الشروط ما يوافق موضوعنا فقط، وهو سعي الإمام الحسن عليه السلام لتحقيق الأمن الإنساني، فقد تناول عدد كبير من الباحثين هذه الشروط بالنّقد والتّحليل؛ مما يغني عن تناوله، وكي لا يتشعّب الموضوع ويخرج عن صلبه؛ لذا سنركّز على الشروط التي تضمّنت الأمن والأمان لشيعة الإمام خاصّة وللمسلمين عامّة.

ذكر البلاذري[1] أنَّ الإمام الحسن عليه السلام اشترط على معاوية أنّ: "الناس آمنون حيث ما كانوا على أنفسهم وأموالهم وذراريهم ولا يخيف أحد من أصحابه".

وذكر ابن عبد البر من الشّروط: "ألا يطلب أحد من أهل المدينة والحجاز ولا أهل العراق بشيء كان في أيّام أبيه، وأن يكون الأمر من بعده للإمام الحسن" [2].

أما ابن الصباغ فذكر ما نصّه: "وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهدًا، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين، وعلى أنَّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم، وعلى أنّ أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه" [3].

وقد ذكر الشيخ آل ياسين [4] ضمن شروط الهدنة: "أن يفرّق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وأولاد من قتل معه بصفّين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خرج دار ابجرد، وعلى أنَّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وأن يتحمّل معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع أحدًا بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق بإحنه، وعلى أمان أصحاب علي حيث كانوا، وأن لا ينال أحدًا من شيعة علي بمكروه، وأنّ أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقب عليهم شيئا، ولا يتعرض لجاحد منهم بسوء، ويوصل إلى كلِّ ذي حقّ

---

(١) انساب الاشراف، ج٣، ص٢٨٧. ينظر: (السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر(ت٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، اعتناء:وائل محمود الشرقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م)، ص١٢٣.

(٢) ابو عمر يوسف بن عبدالله القرطبي(ت ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق:عادل مرشد، (عمان، دار الاعلام، ٢٠٠٢م)، ص١٨٠. ينظر:(الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر، (بيروت، مطابع بيروت الحديثة، ٢٠٠٩م)، مج١، ص٥٢٤.

(٣) الفصول المهمة في معرفة الائمة، ينظر:(ابن عقيل، محمد بن عقيل بن عبدالله العلوي(ت١٣٥٠هـ)، النصائح الكافية، تحقيق:غالب الشابندر، (طهران، مطبعة ستارة، ٢٠٠٦م)، ص٢٤٨.

(٤) راضي، صلح الحسن، (بيروت، الاعلمي للمطبوعات، ٢٠١٠م)، ص٢٣٣.

حقّه، وعلى ما أصاب أصحاب علي حيث كانوا" [1].

يمكن أن نقول إنّ جل الشّروط التي اشترطها الإمام الحسن عليه السلام بل وأهمّها كانت تخصّ الأمّة الإسلاميّة، فمعظم الشّروط كانت تتحدّث عن الأمن والأمان، بل تحقيق الأمن الإنساني لمن يعيش على أرض الإسلام، وأعطى أهمّيّة خاصّة لأصحاب علي عليه السلام لمعرفته بالطّبع الجاهلي الذي يطبع أخلاق معاوية، وسعيه للثأر والتّنكيل، وكذلك سعى الإمام الحسن عليه السلام بكلّ ما أوتي من قوّة لخلق المناخ المناسب وإتاحته لأصحاب الإمام أن ينشروا الفكر الإسلامي الأصيل، والتّعاليم المحمّديّة الصّحيحة، ويتحدّثوا بحرّيّة في جوٍّ من الأمن لذلك نرى التّأكيد الكبير على مصطلح الأمان لأصحاب عليٍّ؛ لأنَّ الهدف الأسمى من الهدنة كان الحفاظ على الدّين المحمّدي في مواجهة الدِّين الأموي الذي شوّه الإسلام، وطبع الكثير من تعاليمه بطابع الجاهليّة التي تُمجّد العادات على حساب العقل والوحي، ويمكننا أن نُرتّب الشروط على وفق ما استخلصناه من هذه النّصوص على النحو الآتي:

١. النّاس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وأن يتحمّل معاوية ما يكون من هفواتهم.
٢. أمان أصحاب علي عليه السلام حيث ما كانوا، وأن لا ينال أحدًا من شيعة علي بمكروه، وأنّ أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقّب عليهم شيئًا، ولا يتعرّض لأحد منهم بسوء.
٣. أن يوصل إلى كلِّ ذي حقّ حقّه.
٤. أن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وأولاد من قتل معه بصفّين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دارا بجرد.

فالإمام الحسن عليه السلام سعى أوّل ما سعى لتحقيق الأمن لعامّة الناس، ثم لشيعته خاصّة؛ لعلمه بما ستمارسه السّلطة ضدّ معارضيها.

وإدراكًا من الإمام الحسن عليه السلام بأهمّيّة الجانب الاقتصادي في تحقيق الجانب الأمني وتكامله، وأنَّ الأمن لا يستتب مع الفقر والعوز؛ فقد أكَّد على الجانب الاقتصادي وضرورة توفير الحياة الكريمة للفرد المسلم.

وكذلك توفير مستلزمات الحياة اللائقة للأرامل والأيتام الذين فقدوا آباءهم في حربي الجمل وصفّين، حيث كان الإمام يرى أنَّ إعالة هؤلاء الأيتام من مسؤولياته الكبرى، ولِيخلقَ جيلاً مؤمنًا بعدالة الإسلام وبحق الحياة الكريمة.

كما أكَّد الإمام الحسن عليه السلام على حقّ الفرد المسلم بحرّيّة المعتقد، وحقّ التّعبير عن آرائه من دون خوف من

---

(١) آل ياسين، صلح الحسن، ص٢٣٣ص٢٣٤، الموسوي، مصطفى، الروائع المختارة من خطب الامام الحسن، تحقيق:مصطفى الرضوي، (طهران، دار المعلم، ١٩٧٥م)، ص١٠٣.

سلطة، أو بطش من سلطان جائر، فكانت هذه الشروط التي اشترطها مترابطة ومتكاملة ومن صميم مقوّمات تحقيق الأمن الإنساني الذي سعى الإمام إلى تحقيقه.

مقوّمات الأمن الإنساني

بعد أن تكلّمنا على السياق التاريخي لتطوّر مصطلح الأمن الإنساني وتعريفه، ينبغي لنا أن نعرف أنَّ الخبراء قد وضعوا مقوّمات عديدة للأمن الإنساني رأوا من الضّروري توافرها لتحقيق الأمن الإنساني؛ إذ من دونها يفقد الأمن الإنساني قيمته، ويفرغ من محتواه، وهذه المقوّمات إن لم نبالغ في القول هي الشّروط نفسها التي اشترطها الإمام الحسن عليه السلام في وثيقة الهدنة ليحقق الأمن الإنساني في أمّة جدّه محمد صلى الله عليه وآله، إذ من دون هذه الشّروط ستكون الهدنة مجرّد مرحلة انتقالية تنتقل فيها السلطة من حاكم الى آخر، ومن ثَمَّ تفقد هذه الهدنة أهمّيّتها وفائدتها للمجتمع، وتفقد مسوغات وجودها التي من أجلها تجرَّع الإمام الحسن عليه السلام ما تجرع من الآلام، ومن أهمّ مقوّمات الأمن الإنساني في الفكر الحديث:

١- **الأمن الاقتصادي**: يتطلب تحقيق الأمن الاقتصادي تأمين دخل ثابت للفرد [١]، أي ضمان الحدّ الأدنى من المدخول لكلّ فرد [٢].

وضع الإمام الحسن هذا الجانب ضمن شروطه التي اشترطها: أن يوصل معاوية الى كلّ ذي حقّ حقّه [٣]، والمقصود بذلك حقه من العطاء الذي فرضه الإسلام للإنسان المسلم نتيجة ما أفاء الله على المسلمين بعدما فتحوا الأقطار، وسيطروا على الأراضي الخصبة في العراق والشام ومصر، وفرضوا الخراج والجزية على الأمم المغلوبة، ففرضت الدّولة العطاء للمسلمين، فكانوا بذلك يؤمّنون ما يحتاجون إليه في حياتهم اليومية والمعاشية، وكان الناس سواء في العطاء منذ أن تسنّم أمير المؤمنين السلطة في دولة الإسلام، لا فرق بين عربي وأعجمي.

وقد خالف معاوية هذا الشرط بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام فقد نصَّ ابن أبي الحديد [٤] أنَّ معاوية " كتب إلى عمّاله نسخة واحدة الى جميع البلدان: "انظروا من قامت عليه البينة أنّه يحبّ عليًّا وأهل بيته، فامحوه من الدّيوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه".

٢- **الأمن الغذائي**: ويقصد به أن تكون لدى جميع الناس في جميع الأوقات إمكانية الحصول ماديًّا واقتصاديًّا على الغذاء الأساسي [٥].

وبالنسبة للأمم المتحدة فإنَّ توافر الغذاء ليس هو المشكلة بقدر ماهي في توزيعـــه ونقص القدرة الشرائية

(١) سالم، شبكة الحماية الاجتماعية، ص١١٤٣.
(٢) شنين، تحولات مفهوم الامن الانساني، ص٣.
(٣) آل ياسين، صلح الحسن، ص٢٣٣ص٢٣٤.
(٤) شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٢٩.
(٥) العدوي، الامن الانساني ومنظومة حقوق الانسان، ص١٢.

عند الأفراد، ومن هنا ترتبط معالجة هذه المشكلة بتأمين الدّخل المناسب للفـــرد وتأمين الأمن الاقتصادي [١].

ولتأمين الدخل المناسب للفرد المسلم حتى يتمكّن من الحصول على الغذاء اللازم له ولضمان أمنه الاقتصادي فقد اشترط الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في الهدنة أن يتكفّل معاوية بأولاد الشهداء في الجمل وصفين وهذا الشرط فضلا عن أنّه يُحقّق الأمن الغذائي فهو ضمان اجتماعي لهذه الأسر التي فقدت من يعولها في تلك الحروب، فقد جاء في وثيقة الهدنة: "أن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وأولاد من قتل معه في صفين ألف ألف درهم" [٢].

ومعلوم ما للأمن الغذائي من أهمّيّة كبيرة في حياة المجتمع كله، فمشكلة الجوع تمثّل واحدًا من التّهديدات الأساسية للنظم في العديد من الدّول [٣]، وما تشهده بعض دول أفريقيا من انتشار المجاعة، وتفشّي الأمراض نتيجة سوء التّغذية، وعجز كثير من الناس عن مزاولة الأعمال نتيجة الأمراض التي ولدها نقص الغذاء يعد وصمة عار في جبين الإنسانية.

٣- الأمن الشّخصي: ويتضمّن الحماية من التّهديدات المنطوية على العنف سواء أكان ناجمًا عن سلوك صادر عن الدّولة أم عن الأفراد أنفسهم، ولاسيّما إذا كان موجّهًا ضدّ الفئات الأكثر عرضة للمخاطر كالنساء والأطفال [٤]، وكذلك يهدف الأمن الشّخصي الى حماية الفرد من الاعتداء الدّاخلي [٥]، ومن ثَمَّ فالأمن الشّخصي يُعدّ أكثر أبعاد الأمن أهمّيّة للإنسان؛ فهو يتعلّق بسلامته بشكلٍ مباشر [٦].

وفي جانب الأمن الشّخصي اشترط الإمام الحسن عليه السلام: أن الناس آمنون حيثما كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر وأن يتحمل معاوية ما يكون من هفواتهم [٧].

وفي هذا الصَّدد ذكر اليعقوبي: "وقد كان معاوية حبس امرأة عمرو بن الحمق بدمشق، فلمّا أتى برأسه بعث به فوضع في حجرها...، وكان معاوية أوّل من حبس النساء بجرائر الرجال" [٨]، أما الطبري فذكر أن بسر بن أبي أرطاة أخذ ولد زياد بن أبيه، وحبسهم وكتب الى زياد: " لتقدمنَّ على أمير المؤمنين أو لأقتلنَّ بنيك" [٩].

وقد أشار الإمام الباقر عليه السلام إلى ما حصل لهم ولأوليائهم من الشيعة بعد موت الإمام الحسن عليه السلام، وإلى نكث معاوية لهذا الشرط وغيره من الشروط التي حقن بها الإمام الحسن عليه السلام دماء أهل بيته وشيعته؛ مما يؤكِّد بما لا

---

(١) سالم، شبكة الحماية الاجتماعية، ص١١٤٣.

(٢) آل ياسين، صلح الحسن، ص٢٣٣. ينظر: (الاحمد، فؤاد، الامام الحسن القائد والتاريخ، (بيروت، دار البيان، ١٩٩١م)، ص٨٣).

(٣) العدوي، الامن الانساني ومنظومة حقوق الانسان، ص١٢.

(٤) يوسف، الامن الانساني وابعاده في القانون الدولي، ص٥٣٣.

(٥) سالم، شبكة الحماية الاجتماعية، ص١١٤٤.

(٦) العدوي، الامن الانساني ومنظومة حقوق الانسان، ص١٤.

(٧) آل ياسين، صلح الحسن، ص٢٣٣.

(٨) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦١.

(٩) تاريخ الامم، ج٣، ص٣٣٤.

يقبل الشّك حكمة الإمام الحسن(ع)، وأهمية موقفه في تحقيق الأمن الإنساني، فقد أورد ابن أبي الحديد [1] عن الإمام الباقر(ع) قوله: "ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام، ونقصي ونمتهن، ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعًا يتقرّبون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كلّ بلد، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نَقُلْه وما لم نفعله؛ ليبغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن(ع).

٤ – الأمن السّياسي: ويهتمّ بتحقيق حياة الإنسان في مجتمع يحترم حقوقهم الإنسانية... بما يضمن ديمقراطية الحياة السياسية في التعددية والمعارضة السلمية... ومن المعروف أنَّ انتهاك حقوق الإنسان يصبح أكثر شيوعًا خلال فترة القلاقل السياسية وبالتوازي مع قمع الأفراد والجماعات، وكذلك تلجأ الحكومات الى فرض الرقابة على الأفكار [2]، ولا شكَّ أنَّ قضية حقوق الإنسان السياسية والاجتماعية والثقافية من القضايا المثارة على المستوى العالمي، ليس في الدّول المتقدِّمة فقط، وإنَّما أصبحت هناك انتقادات موجهة للعديد من النظم في الدّول النامية، وذلك لعدم اهتمامها الكافي بحقوق الإنسان في ممارساتها وسياستها [3]، ولأنَّ الدّول المستبدة دائمًا تخاف الأفكار المعارضة، والعقائد التي تخالف عقيدتها، فإنَّها دائمًا ما تتعسف بقمع المعارضين، وتنزل بهم أشدَّ العقوبات؛ لذلك فإن الإمام الحسن(ع) لم يترك ثغرة لمعاوية في قمع شيعة الإمام علي(ع) إلا أن يخرق وثيقة الهدنة، ويحنث بالأيمان التي قطعها على نفسه أمام المسلمين، فقد أكَّدت الوثيقة على ضرورة معاملة شيعة أمير المؤمنين بالعدل والإنصاف، وعدم التمييز بسبب الميول المذهبية والسياسية؛ فنصّت الوثيقة على: "أمان أصحاب علي حيثما كانوا، وأن لا ينال أحدًا من شيعته بمكروه، وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقّب عليهم شيئا، ولا يتعرّض لأحد منهم بسوء" [4].

وفي هذا الجانب تعرّض شيعة الإمام علي(ع) لأشدّ العقوبات وأقساها من السّلطة الحاكمة، وكانت الإجراءات التي اتخذت بحقّهم لم يسبق لها مثيل، فقد كتب معاوية الى عمّاله: "ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة" [5]، وذكر ابن أبي الحديد [6] أنَّ معاوية كتب أيضا: "من اتهمتموه بمولاة هؤلاء القوم فنكلوا به، واهدموا داره، فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق، ولاسيّما بالكوفة؛ حتى أنّ الرجل من شيعة علي ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته، فيلقي إليه سره، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمنَّ عليه".

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٢٨.
(٢) سالم، شبكة الحماية الاجتماعية، ص١١٤٤.
(٣) العدوي، الامن الانساني ومنظومة حقوق الانسان، ص١٦.
(٤) آل ياسين، صلح الحسن، ص٢٣٣.
(٥) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٢٩.
(٦) م.ن، ج١١، ص٢٩ص٣٠.

كما أورد ابن أبي الحديد [1] عن المدائني أنَّه قال: " كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذّمّة ممن روى شيئًا من فضل أبي تراب وأهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام".

وقد صور الإمام الباقر عليه السلام ما كان يلاقيه الشيعة من عظم البلاء على يد الأمويّين بقوله: "وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقتلت شيعتنا بكلّ بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظّنة، فكان من يذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سجن، أو نهب ماله، أو هدّمت داره" [2].

وكان من قتل من خيار رجالات الشيعة حجر بن عدي الكندي وأصحابه، فقد أورد الطبري[3] أنَّ زياد بن أبيه خطب في الجمعة، وأخر الصّلاة، فقال حجر بن عدي الصّلاة، فمضى في خطبته ثم قال الصّلاة؟ فمضى في خطبته، فلمّا خشي حجر فوت الصلاة ضرب بيده الى كف من الحصا وثار الى الصلاة، وثار الناس معه، فلمّا رأى ذلك زياد نزل، فصلّى بالناس، فلمّا فرغ من صلاته كتب الى معاوية في أمره وكثر عليه.

والحق أنَّ هذه الحادثة ليست وحدها السبب الرّئيس في مقتل حجر، بل حبّه وانتماؤه إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام وصلابته في قول الحق هي ما أزعجت السّلطات، ورأت في وجوده تهديدًا لكيانها وإثارة للرأي العام على سياستها القمعية، لذلك بمجرّد وصول حجر وأصحابه إلى معاوية أمر بقتلهم بمرج عذراء سنة (٥١هـ)، وكان لمقتل حجر وقع كبير في أمّة الإسلام لِما عرف عن ورعه وتقواه وجهاده في سبيل الإسلام، حتى روي أنَّ عائشة لما لقيت معاوية بمكّة قالت: يا معاوية أين كان حلمك عن حجر؟ فقال لها: يا أم المؤمنين لم يحضرني رشيد [4]، ونقول: أين عزب عنك حلمك ودهاؤك الذي ما فتئوا يصدّعون أذاننا بهما؟ إلّا أنّك قتلته عن سابق تصميم وإصرار لِما يمثله من خطر على كيان السّلطة الأمويّة وإلّا ألم يسمع معاوية بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله فقد روت السيدة عائشة قوله: "يقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم أهل السماوات" [5].

وفي عهد زياد بن أبيه قطعت أيدي الشيعة في الكوفة ظلمًا وعدوانًا بعد أن حصب على المنبر، فجلس حتى أمسكوا، ثم دعا قومًا من خاصّته وأمرهم فأخذوا أبواب المسجد، ثمّ قال: ليأخذ كلّ رجل معكم جليسه، ولا يقولنَّ لا أدري من جليسي، ثم أمر بكرسي فوضع له على باب المسجد، فدعاهم أربعة أربعة يحلفون بالله ما منّا من حصبك، فمن حلف خلاه، ومن لم يحلف حبسه وعزله حتى صار الى ثلاثين، ويقال بل كانوا ثمانين، فقطع أيديهم على المكان [6].

---

(١) م.ن، ج١١، ص٢٩.

(٢) م.ن، ج١١، ص٢٨.

(٣) تاريخ الامم والملوك، ج٣، ص٣٧٧.

(٤) م.ن، ج٣، ص٣٧٧.

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦١، نجف، محمد امين، شخصيات مهمة من اصحاب النبي والائمة عليهم السلام، (بيروت، دار المتقين، ٢٠١٣م)، ص١٣٠.

(٦) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٣، ص٣٧٧، مسكويه، ابو علي احمد بن محمد الرازي(ت٤٢١هـ)، تجارب الامم، تحقيق:ابو القاسم امامي،

٥- الأمن المجتمعي: يركز مفهوم الأمن المجتمعي على قدرة المجتمع في الحفاظ على نماذجه التّقليدية من لغة وثقافة وهوية وعادات... وأهم مصدر من مصادر تهديد الأمن المجتمعي هما الهجرة والصّراع بين الاثنيات والعرقيات المختلفة[١]، ويهدف الأمن المجتمعي إلى مواجهة التّهديدات الموجهة نحو الحياة الاجتماعية كالمخاطر التي تُهدّد النّسيج الاجتماعي في دولة ما[٢].

والحقّ أنَّ الإمام الحسن عليه السلام قد عالج هذه النّقطة ولم تغب عن باله، فضمنها شروط الهدنة التي أكّدت على أن يؤمن الأسود والأحمر، وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقب عليهم شيئًا، ولا يتعرّض لأحد منهم بسوء [٣]، ولكن ما جرى بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام كان خلاف ذلك تمامًا، فقد حاول معاوية تدمير النسيج الاجتماعي وتغيير التركيبة السكانية لمدينة الكوفة والبصرة، فهجرت العديد من العوائل الشيعية عن ديارها، ونفي العديد من رجالات الشيعة الى مناطق بعيدة، وحرموا من العودة الى مدنهم.

تتّضح سياسة معاوية مما أوصى به المغيرة بن شعبة واليه على الكوفة: "لا تترك شتم علي وذمّه والتّرحّم على عثمان والاستغفار له والعيب على أصحاب علي والإقصاء لهم" [٤].

وفي هذا الصدد أورد البلاذري[٥] ما نصّه: "ثم ولى زياد بن أبي سفيان الربيع بن زياد الحارثي سنة إحدى وخمسين وحول معه من أهل المصرين زهاء وخمسين ألفًا بعيالاتهم، وكان منهم بريدة بن الحصيب الأسلمي أبو عبد الله وبمرو توفّي أيّام يزيد بن معاوية، وكان أيضًا أبو برزة الأسلمي عبد الله بن نضلة وبها مات وأسكنهم دون النهر".

وأورد ابن أبي الحديد [٦] رواية توضّح ما كان يلاقيه شيعة أمير المؤمنين عليه السلام من التشريد زمن معاوية بقوله: "فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة هو بهم عارف لأنّه كان منهم أيّام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون وصلبهم على جذوع النّخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق، فلم يُبقِ بها معروفًا منهم".

ونفى زياد بن أبيه عبدالله بن خليفة لاشتراكه مع حجر بن عدي بعدما أخذ عدي بن حاتم مكانه، وساومه على إطلاق سراحه على أن يأتي بخليفة فقال له: أنّي أخلي سبيلك على أن تجعل لي لتنفينه من الكوفة ولتسير به الى الجبلين، قال: نعم فرجع وأرسل الى عبدالله بن خليفة اخرج، فلو قد سكن غضبه لكلمته فيك حتى ترجع

(طهران، دار سروش، ٢٠٠١م)، ج٢، ص٢٠.

(١) محمد امين، الامن الانساني، ص١٨.

(٢) يوسف، الامن الانساني وابعادة في القانون الدولي، ص٥٣٣.

(٣) آل ياسين، صلح الحسن، ص٢٣٣.

(٤) ابن الاثير، علي بن محمد الشيباني(ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق:ابي الفداء عبدالله القاضي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م)، مج٣، ص٣٢٦.

(٥) فتوح البلدان، (بيروت، دار الهلال، ١٩٨٨م)، ص٣٩٦.ينظر:(ابن قتيبه، عبدالله بن مسلم(ت٢٧٦هـ)، المعارف، تحقيق:ثروة عكاشة، (طهرا، مطبعة شريعت، ١٤٢٧هـ)، ص٣٠٠.

(٦) شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٢٩.

إن شاء الله [١] فخرج ولحق بجبلي طي [٢] ونفى معاوية كريم بن عفيف الخثعمي الى الموصل [٣]، وذكر ابن حجر العسقلاني أن المغيرة بن شعبة نفى صعصعة بن صوحان إلى جزيرة أو إلى البحرين [٤].

وكان سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس شيعة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، فلما قدم زياد الكوفة طلبه وأخافه، فأتى الحسن بن علي عليه السلام مستجيرا به، فوثب زياد على أخيه وولده وامرأته فحبسهم، وأخذ ماله ونقض داره، فكتب الحسن بن علي الى زياد فلم يستجب لطلبه، فكتب إلى معاوية ما فعل زياد، فعنفه واستجاب لإرادة الإمام الحسن عليه السلام [٥].

الخاتمة

بعد أن رأى الإمام الحسن عليه السلام الفشل والوهن في أصحابه، ودخول الموالين لمعاوية واندساسهم في جيشه يثبطون الهمم ويبثون الإشاعة، رأى أن المصلحة العليا تقتضي إقرار الهدنة وتسليم الأمر لمعاوية ليحفظ الإسلام المحمدي وديمومته واستمراره في مواجهة المد الأموي الذي يحاول تشويه الإسلام، وتحريف الدين، وإضفاء طابع الجاهلية، وإلباس الدين ثوب القبلية.

وقد عبر الإمام الحسن عليه السلام عن رؤيته للواقع الذي يريد أن يفرضه معاوية على الأمة بقتل المخلصين من الرجال، فتنقطع الصلة بين الأمة والرسالة المحمدية التي كان هؤلاء الرجال يحملون أفكارها ومبادئها في صدورهم، ويبثونها أينما حلوا، فقال: إني خشيت أن يجتث المسلمون عن وجه الأرض، فأردت أن يبقى للدين ناعي" [٦]، وقال أيضا: "وقد رأيت أن حقن الدماء خير من سفكها، ولم أرد بذلك إلا أصلاحكم وبقائكم" [٧].

وعندما عوتب على إمضائه الهدنة وأنّها أدخلت على الشيعة الذل، قال عليه السلام: "لست مذلًّا للمؤمنين ولكنّي معزّهم، ما أردت بمصالحتي إلا أن أدفع القتل عندما تباطأ أصحابي ونكولهم عن القتال" [٨].

وقد أجاب الإمام الحسن عليه السلام سليمان بن صرد عندما سلم عليه بقوله: السلام عليك يا مذل المؤمنين؟ بكلام طويل منه: "إنّي لم أرد بما رأيتم إلا حقن دمائكم وإصلاح ذات بينكم" [٩].

ولتحقيق هذا الإصلاح فإنَّ الإمام الحسن عليه السلام رأى بثاقب بصره وبقراءته المتبصرة للواقع الإسلامي أنَّ الأمّة أحوج ما تكون الى الأمن، وأي أمن؟ إنّه الأمن الإنساني الذي يوفّر كل ما يحتاجه الإنسان،

---

(١) الطبري، تاريخ الامم، ج٣، ص٣٨٢.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج٣، ص٣٣١.

(٣) الطبري، تاريخ الامم، ج٣، ص٣٨٧.

(٤) احمد بن علي(ت)، الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة، بلا، ٢٠٠٨م)، ج٥، ص٣١١.

(٥) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢٩٨.

(٦) الحسني، شهاب الدين، المصلحة الاسلامية في منهج أئمة اهل البيت عليهم السلام من الامام الحسن الى الامام الرضا، بحث منشور في مجلة رسالة التقريب، العدد ٣٣، (طهران، ٢٠٠٢م)، ص٢٠٠.

(٧) م.ن، ص٢٠٠.

(٨) المقدادي، الامام الحسن ومصلحة الاسلام العليا، ص١٠٤

(٩) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م)، ج١، ص١٣٤.

فالأمن في نظر الإمام الحسن عليه السلام ليس الأمن من الخوف فقط، وإن كان هذا مهماً وضروريًا، بل أدرك الإمام المجتبى أن الأمن لا يتحقّق إن لم تتوفّر دعائم استقراره ورسوخه، فربط الأمن بالعامل الاقتصادي والسياسي والشخصي والبيئي، فكان بذلك قد سبق الفكر الحديث في إرساء قواعد الأمن الإنساني، وإن لم يصبغ بهذه الصبغة، ويسمّى بهذا الاسم، فالمعنى واحد والنّتيجة واحدة.

لذا لا عجب أن تركز شروط الهدنة فضلا عن تحقيق الأمن على ضرورة الحفاظ على الأموال والنساء والأطفال وموارد الرزق، وأن لا فرق في ذلك بين الأسود والأحمر من أبناء الإسلام، وأن توصل الحقوق الى أصحابها أينما كانوا في أرض الله تعالى، فتحقّق بذلك الأمن والاستقرار لشيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام طيلة حياة الإمام، ولم يجرؤ معاوية على قتل أو سجن أحد من المعارضين ما دام الإمام الحسن عليه السلام حيًّا.

وقد أشار أحد الباحثين إلى ذلك بقوله: "ولم يقدم نظام معاوية على قتل أحد إلا بعد رحيل الإمام الحسن عليه السلام الى الملأ الأعلى، أما في حياته فلن يتجرأ على قتل أو سجن أحد من المعارضين وخصوصًا من الشيعة أنصار الإمام" [1].

وفي الختام نقول ليس هناك أدل على حكمة الإمام الحسن عليه السلام ونظرته الثاقبة في تشخيص مصلحة الأمّة، وتحقيق الأمن الإنساني لأفرادها، من قول الإمام الباقر عليه السلام: "والله للذي صنعه الحسن بن علي عليه السلام كان خيرًا لهذه الأمّة مما طلعت عليه الشمس" [2].

(١) الحسيني، المصلحة الاسلامية في منهج اهل البيت، ص٢٠١.

(٢) المقدادي، الامام الحسن ومصلحة الاسلام العليا، ص١٠٥.

مصادر البحث:

القرآن الكريم

* إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب(ع)، (النجف الاشرف، دار الأندلس، ٢٠٠٩م). المسعودي، علي بن الحسن بن علي(ت٣٤٦هـ)
* الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عادل مرشد، (عمان، دار الإعلام، ٢٠٠٢م). ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله القرطبي(ت ٤٦٣هـ)
* الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة، بلا، ٢٠٠٨م). ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي(ت٨٥٢ه)
* الإمامة والسياسة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م) ابن قتيبه، عبدالله بن مسلم(ت٢٧٦هـ)
* تاريخ الأمم والملوك، (بيروت، دار الأميرة، ٢٠١٠م). الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)
* تاريخ الخلفاء، اعتناء:وائل محمود الشرقي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م). السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ)
* تاريخ اليعقوبي، تعليق: خليل منصور، (طهران، مطبعة مهر، ١٤٢٥هـ).اليعقوبي، احمد بن إسحاق بن واضح(ت٢٩٢هـ)
* تجارب الأمم، تحقيق:أبو القاسم امامي، (طهران، دار سروش، ٢٠٠١م). مسكويه، أبو علي احمد بن محمد الرازي(ت٤٢١هـ)
* شرح نهج البلاغة، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، الدار اللبنانية للنشر، ٢٠٠٨م). ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله ألمدائني(ت٦٥٦هـ)
* فتوح البلدان، (بيروت، دار الهلال، ١٩٨٨م).
* الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق:جعفر الحسيني، (بيروت، المجمع العالمي لأهل البيت(ع)، ٢٠١١). ابن الصباغ، علي بن محمد بن احمد المكي(ت ٨٥٥هـ)
* الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبدالله القاضي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م). ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني(ت٦٣٠هـ)
* كتاب جمل من انساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦م). البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ)
* المعارف، تحقيق:ثروةعكاشة، (طهران، مطبعة شريعت، ١٤٢٧هـ).
* النصائح الكافية، تحقيق: غالب الشابندر، (طهران، مطبعة ستارة، ٢٠٠٦م). ابن عقيل، محمد بن عقيل بن عبدالله العلوي(ت١٣٥٠ه)

المراجع

* الأحمد، فؤاد، الإمام الحسن القائد والتاريخ، (بيروت، دار البيان، ١٩٩١م).
* الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة ألاثني عشر، (بيروت، مطابع بيروت الحديثة، ٢٠٠٩م).
* عمارة، محمد، الإسلام والأمن الاجتماعي، (القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٨م).
* محمد أمين، خديجة عرفة، الأمن الإنساني المفهوم والتطبيق في الواقع العربي، (الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٩م)،
* الموسوي، مصطفى، الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن، تحقيق: مصطفى الرضوي، (طهران، دار المعلم، ١٩٧٥م).
* نجف، محمد أمين، شخصيات مهمة من أصحاب النبي والأئمة(ع)، (بيروت، دار المتقين، ٢٠١٣م).
* آل ياسين، راضي، صلح الحسن، (بيروت، الاعلمي للمطبوعات، ٢٠١٠م).

الدوريات

* احمد عبد الجبار، عواد، منى جلال، الديمقراطية والأمن الإنساني، بحث منشور في مجلة العلوم السياسية، جامعة

بغداد، الدد٤٦، (بغداد، ٢٠١٣م)،
* الحسني، شهاب الدين، المصلحة الإسلامية في منهج أئمة أهل البيت عليهم السلام من الإمام الحسن الى الإمام الرضا، بحث منشور في مجلة رسالة التقريب، العدد ٣٣، (طهران، ٢٠٠٢م).
* سالم، مها رحيم، شبكة الحماية الاجتماعية والأمن الإنساني في العراق في إطار السياسة الاجتماعية، بحث منشور في مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، العدد٤، (بغداد، ٢٠١٢م).
* شنين، محمد المهدي، تحولات مفهوم الأمن الإنساني، بحث منشور على موقع بحوث رؤية مختلفة بتاريخ ١٠/ ٧/ ٢٠١١
* العدوي، محمد احمد علي، الأمن الإنساني ومنظومة حقوق الإنسان دراسة في المفاهيم والعلاقات المتبادلة، (القاهرة، مركز الإعلام الوطني، بلا).
* المقدادي، فؤاد كاظم، الإمام الحسن ومصلحة الإسلام العليا، بحث منشور في مجلة رسالة الثقلين، العدد٢٢، (١٣٧٦هـ).
* موسى، غادة علي، إعادة النظر في استراتيجيات الأمن الإنساني في المنطقة العربية أوراق محتارة قدمت خلال المؤتمر الدولي للأمن الإنساني في الدول العربية المنعقد في عمان للمدة من ١٤-١٥/ ٣/ ٢٠٠٥م(عمان، ٢٠٠٥م).
* يوسف، خولة محي الدين، الأمن الإنساني وإبعاده في القانون الدولي العام، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مج٢٨، العدد٢، (دمشق، ٢٠١٢م).

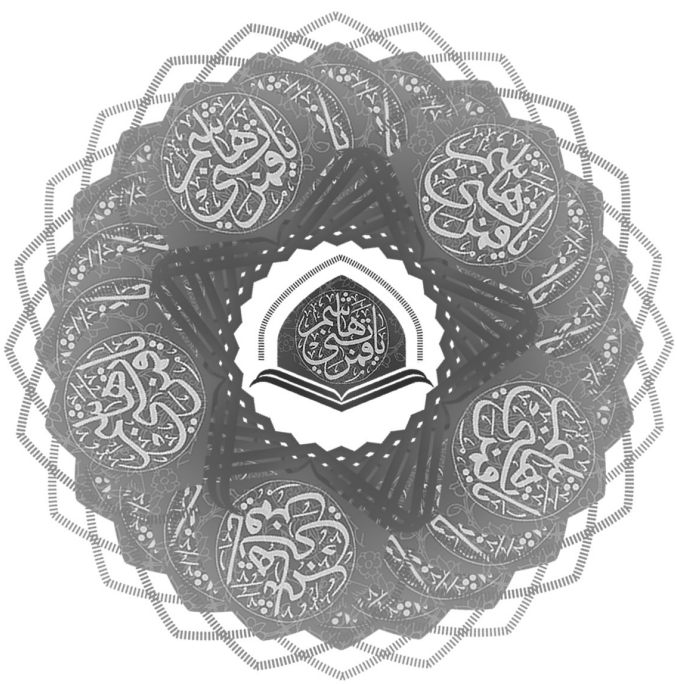

الإمام عليّ عليه السلام في القرآن الكريم
على لسان الإمام الحسن عليه السلام

م. د. ظافر عبيس الجياشي

إن علاقة الإمام علي عليه السلام بالقرآن الكريم علاقة جذرية وعميقة، كيف لا؟ وقد اختلط لحمه ودمه منذ نعومة أظفاره بالقرآن، فقد أثر فيه القرآن الكريم بجميع مفاهيمه وعقائده وفقهه وأخلاقه وبلاغته وفصاحته، فقد ارتبط بالقرآن ارتباطاً موضوعيًّا، إذ رافق نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وآله في كلّ المراحل، ابتداءً من النداء السماوي الأول: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق/ ٢. واستمرّت تلك المرافقة في كلّ المواقف والأحداث والمواقع، التي نزل فيها وعلى ضوئها القرآن الكريم .

وقد اعتنى النّبي صلى الله عليه وآله به عناية خاصة، وها هو يتحدّث عن حالته، قال عليه السلام: ((وكنت أدخل على رسول الله في كل يوم دخلة، وكل ليلة دخلة، فيخيلني فيها أدور معه حيثما دار، وقد علم أصحاب رسول الله أنّه لم يصنع ذلك بأحدٍ من الناس غيري ... وكنت إذا سألته أجابني، وإذا سكت وفنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ، فكتبتها بخطّي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصّها وعامّها، ودعا الله أن يؤتيني فهمها وحفظها ....))[1] .

وقد اختصّ به النبي صلى الله عليه وآله وعهد له بما لم يعهد لغيره، وقد شهد له بأعلميّته بالقرآن وعلاقته مع القرآن كما جاء في قوله صلى الله عليه وآله: ((عليّ أعلم الناس بالقرآن))[2]، وقوله: ((عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ))[3] .

يُبيّن القرآن الكريم مقام عليٍّ عليه السلام وفضله وعظم شأنه في عشرات الآيات، التي ذكرها المفسرون، ونحن نختصر ذلك على ما صرح به الإمام الحسن عليه السلام .

١ - عليٌّ المؤمن، والمجاهد بالله

قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ التوبة/ ١٩. قال الإمام الحسن عليه السلام:((كان أبي المؤمن بالله واليوم الآخر، والمجاهد في سبيل الله حقّاً، وفيه نزلت هذه الآية))[4].

وذكر سبب النزول في الإمام عليّ عليه السلام الخاصّة والعامّة من ذلك ما ذكره الحويزي في تفسيره بقوله: ((نزلت في علي وعباس وشيبة قال العباس: أنا أفضل؛ لأنّ سقاية الحاج بيدي، وقال شيبة أنا أفضل؛ لأنّ حجابة البيت

(١) أصول الكافي، الشيخ الكليني:١/ ٦٤ .
(٢) الإمام علي عليه السلام في آراء الخلفاء، الشيخ مهدي فقيه:١٢٠ .
(٣) مسند الرضا عليه السلام، داوود بن سليمان الغازي:٢٠٨ .
(٤) الأمالي، (الطوسي):٥٦٢ .

بيدي، وقال عليعليه السلام: أنا أفضل فإنّي آمنت قبلكما ثم هاجرت وجاهدت، فرضوا برسول الله صلى الله عليه وآله، فأنزل الله أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ...))[1].

وفي نصّ آخر يصف الإمام عليًّا بالإيمان، حاجج فيه الإمام الحسن عليه السلام الوليد بن عقبة بن أبي معيط عند محاولته ذمّ وسبّ الإمام عليّ عليه السلام مخاطبًا إيّاه[2]: ((أنت الذي سماه الله الفاسق وسمى علياً المؤمن حيث تفاخرتما فقلت له: أسكت يا علي فأنا أشجع منك جناناً وأطول منك لساناً، فقال لك عليّ: أسكت يا وليد فأنا مؤمن وأنت فاسق، فأنزل الله تعالى فيَّ موافقة قوله: ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ** ﴾ السجدة/ ١٨، ثم أنزل فيك على موافقة قوله أيضاً ﴿:إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ الحجرات/ ٦، ويحك يا وليد، مهما نسيت فلا تنس قول الشاعر فيك وفيَّ شعراً[3]:

أنزل الله والكتاب عزيـــــز	في عليّ وفي الوليد قـــــرآناً
فتبوأ الوليـــــد من ذاك فسقاً	وعليّ مبوأ إيمـــــــــاناً
ليس من كان مؤمناً عـرف الله	كمن كان فاسقا خـــــــواناً
فعلي يلقى لدى الله عـــــزاً	ووليد يلقى هناك هـــــواناً
سوف يجزى الوليد خزياً وناراً	وعليّ لا شك يجزى جنانـــــاً

وما أنت وقريش؟ وإنّما أنت علج من أهل صفورية، وأقسم بالله لأنت أكبر في الميلاد وأسن ممن تدعى إليه)).

وقال الطبرسي:((نزلت في عليّ بن ابي طالب عليه السلام والوليد بن عقبة، فالمؤمن عليّ، والفاسق الوليد، وذلك أنّه قال لعليّ: أنا ابسط منك لساناً، وأحدّ منك سناناً، فقال عليّ ليس كما تقول يا فاسق))[4].

وروى ابن أبي الحديد عن شيخه البلخي، قوله:((قال شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله: من المعلوم الذي لا ريب فيه لاشتهار الخبر به وإطباق الناس عليه أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط كان يبغض علياً ويشتمه، وأنه الذي لاحاه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ونابذه وقال له: أنا أثبت منك جناناً وأحدّ سناناً، فقال له علي عليه السلام: أسكت يا فاسق، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ** ﴾ الآيات المتلوّة، وسمي الوليد بحسب ذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله الفاسق، فكان لا يعرف إلا بالوليد الفاسق، وهذه الآية من الآيات التي نزل فيها القرآن بموافقة علي عليه السلام))[5].

وفي خطبة له عليه السلام أشار إلى أنّ علياً باب الايمان، ذكر ذلك بعد أن حمد الله وأثنى عليه وكان ذلك بمحضر أبيه

---

(١) تفسير نور الثقلين، الحويزي:٢/ ١٩٣، والبرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني:٢/ ٧٤٧، ومعاني القرآن، النحاس:٣/ ١٩٢، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي:٣/ ١٦.

(٢) شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي:١١/ ٢١٥، وينظر: الغدير، الشيخ الأميني:٨/ ٢٧٥.

(٣) الغدير:٢/ ٤٥.

(٤) مجمع البيان، الطبرسي:٨/ ١١٠.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٤/ ٨١.

الإمام علي عليه السلام، فقال:((أما بعد، فإنّ علياً باب من دخله كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم. فقام علي بن أبي طالب عليه السلام وقبل بين عينيه ثم قال: ﴿ **ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ال عمران/ ٣٤))[١].

٢- عليٌّ السابق والمقرّب لله

يُبيّن الإمام الحسن عليه السلام في النص الآتي ملازمة أبيه للرسول وثقته به في كل مواطن حلّه وترحاله وغزواته، ويستشهد لذلك بشواهد قرآنية بقوله:((لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله في كلّ موطن يقدّمه، ولكل شديدة يرسله ثقة منه وطمأنينة إليه، لعلمه بنصيحته لله ورسوله صلى الله عليه وآله، وأنّه أقرب المقرّبين من الله ورسوله وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾ الواقعة/ ١٠-١١، وكان أبي سابق السّابقين إلى الله عزّ وجلّ وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وأقرب الأقربين))[٢].

وبهذا المعنى فسّر الشيخ الطوسي الآيتين الشّريفتين بقوله:((معناه الذين سبقوا إلى اتباع الأنبياء فصاروا أئمة الهدى))[٣]، وهذا السبق له درجات ومنازل، وكان للإمام علي قصب السبق في ذلك؛ لذا يأتي الإمام الحسن عليه السلام بأكثر من تناص قرآني مباشر ليؤكد ذلك لمتلقيه إذ يقول:((فقد قال الله تعالى: ﴿ **لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً** ﴾الحديد/ ١٠. فأبي كان أوّلهم إسلاماً وإيماناً وأوّلهم إلى الله ورسوله هجرة ولحوقاً وأوّلهم على وُجده ووسعه نفقةً، قال سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾الحشر/ ١٠. فالنّاس من جميع الأمم يستغفرون له بسبقه إيّاهم الإيمان بنبيّه صلى الله عليه وآله وذلك أنّه لم يسبقه إلى الإيمان أحد، وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ** ﴾ التوبة/ ١٠٠. فهو سابق جميع السّابقين، فكما أنّ الله عزّ وجلّ فضّل السّابقين على المتخلّفين والمتأخّرين، فكذلك فضّل سابق السّابقين على السّابقين))[٤].

٣- عليٌّ شاهد البيّنة

يصف الإمام الحسن عليه السلام بعثة النبي واختياره للرسالة، ثم استجابة أبيه علي له، بقوله:((إلى أن بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله للنّبوّة، واختاره للرّسالة، وأنزل عليه كتابه، ثمّ أمره بالدّعاء إلى الله عزّ وجلّ فكان أبي عليه السلام أوّل من استجاب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وأوّل من آمن وصدّق الله ورسوله، وقد قال الله تعالى في كتابه المنزل على نبيّه المرسل ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ** ﴾هود/ ١٧، فرسول الله الّذي على بيّنة من ربّه، وأبي الّذي يتلوه، وهو

---

(١) بحار الأنوار:٤٣/ ٣٥١ .

(٢) غاية المرام وحجة الخصام، السيد هاشم البحراني:٢/ ٩١ .

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي:٩/ ٤٩٠، وينظر: تفسير نور الثقلين:٢/ ٢٥٥ .

(٤) غاية المرام وحجة الخصام:٢/ ٩١ .

شاهد منه))[1] .

و((كثير من كبار المفسّرين فسروا (شاهد) بالإمام علي عليه السلام، ففي روايات كثيرة وصلتنا عن الأئمّة المعصومين، وفي بعض كتب تفسير أهل السنة أيضاً هناك تأكيد على أنّ المقصود من (الشاهد) في الآية هو الإمام علي عليه السلام أوّل من آمن بالنّبي والقرآن الكريم، وكان معه في جميع المراحل ولم يقصر لحظةً في التضحية دونه وحمايته إلى آخر نفس))[2].

وفي حديث منقول عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: ((والذي فلق الحبة وبرئ النّسمة ما من رجل من قريش جرت عليه المواثيق إلّا وقد نزلت فيه آية من كتاب الله عزّ وجلّ أعرفها كما أعرفه، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما آيتك التي نزلت فيك؟ فقال: إذا سألت فافهم ولا عليك الا تسأل عنها غيري، أقرأت سورة هود؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال أفسمعت الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ** ﴾ ؟ قال نعم: فالذي على بينة من ربّه محمد صلى الله عليه وآله والذي يتلوه شاهد منه وهو الشاهد، وهو منه وأنا علي بن أبي طالب، وأنا الشاهد، وأنا منه صلى الله عليه وآله))[3]

.

٤- عليٌّ الزاهد في ملذات الدنيا

قال الإمام الحسن عليه السلام مخاطباً الرهط الذي اجتمع عند معاوية للنيل منه ومن أبيه عليّ عليهما السلام وهم: عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وعتبة بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة:

((وأنشدكم الله أيها الرهط أتعلمون أنّ علياً حرّم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل فيه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ** ﴾المائدة/ ٨٧))[4].

قال السيد الطباطبائي:((نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين عليه السلام وبلال وعثمان بن مظعون، فأما أمير المؤمنين عليه السلام فحلف أن لا ينام بالليل أبدا، وأمّا بلال فإنّه حلف أن لا يفطر بالنّهار أبدًا، وأمّا عثمان بن مظعون فإنّه حلف أن لا ينكح أبدا- كل ذلك بقصد الامتناع عن شهوات الدّنيا رجاء ثواب الله))[5].

٥- عليٌّ في آية التّطهير

الإمام عليّ عليه السلام قطب رحى آية التّطهير بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ شهد الله له بذلك ولأهل بيته، وقد ذكر ذلك الإمام الحسن عليه السلام في مواطن كثيرة منها في احتجاجه على معاوية، في قوله:((قد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ**

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، أحمد الرحماني الهمداني:٢٩١ .

(٢) الامثل في تفسير كتاب الله المُنزَل، الشَيخ ناصر مكارم الشِيرازي:٦/ ٥٠٠، وينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري:١٢/ ٢٢ .

(٣) البرهان في تفسير القرآن:٣/ ٩١، وينظر: التفسير الصافي، الفيض الكاشاني:٢/ ٤٣٧.

(٤) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت:٢/ ٢٤.

(٥) تقريب القرآن إلى الأذهان، السيد محمد الحسيني الشيرازي:٢/ ٩، وينظر: الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي:٦/ ١١٢ .

لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾الاحزاب/ ٣٣.. فلمّا نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله ﷺ أنا وأخي وأمّي وأبي، فجلّلنا ونفسه في كساء لأمّ سلمة خيبريّ، وذلك في حجرتها وفي يومها، فقال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي، وهؤلاء أهلي وعترتي، فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً . فقالت أمّ سلمة رضى الله عنها أدخل معهم يا رسول الله ؟ فقال لها ﷺ يرحمك الله، أنت على خير وإلى خير، وما أرضاني عنك ! ولكنّها خاصّة لي ولهم . ثمّ مكث رسول الله ﷺ بعد ذلك بقيّة عمره حتّى قبضه الله إليه، يأتينا كلّ يوم عند طلوع الفجر فيقول: " الصّلاة يرحمكم الله، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾))[1].

وقال في مكان آخر:((فنحن أهل البيت، ونحن الّذين أذهب الله عنّا الرّجس وطهّرنا تطهيراً))[2]. وفسر عليه السلام الرجس بالشك، والطهارة من ضعف الرأي والزنا بقوله:((والرّجس هو الشكّ، فلا نشكّ في الله الحقّ ودينه أبداً وطهّرنا من كلّ أفن وغيّة، مخلصين إلى أدم نعمة منه، لم يفترق النّاس قطّ فرقتين إلاّ جعلنا الله في خيرهما))[3].

وما ذكره الإمام الحسن في نزولها فيهم نصّ عليه المفسرون، قال الواحدي النيسابوري في أسباب نزول الآيات:((نزلت في خمسة، في النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام))[4] .

٦- عليٌّ في آية المباهلة

أكّد القرآن الكريم على حالة الاقتران بين الرسول الأَعظم ﷺ والإمام علي وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، ومن الشواهد المتّفق عليها آية المباهلة، ففيها يُظهر القرآن الكريم الإمام عليًّا نفس رسول الله.

إذ ذكر الإمام الحسن مكانته وأهل بيته في كتاب الله في آية المباهلة وهو يعرّض بمعاوية ومن لفّ لفّه، أو انكر إمامته وجحد منزلته، فقال:((قال الله تعالى لمحمّد ﷺ حين جحده كفرة أهل الكتاب وحاجّوه: **﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾** آل عمران/ ٦١. فأخرج رسول الله من الأنفس، معه أبي، ومن البنين إيّاي وأخي، ومن النّساء أمّي فاطمة من النّاس جميعاً فنحن أهله ولحمه ودمه ونفسه))[5] .

قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره:((وظاهر هذا أنّ الدعاء والمباهلة بين المخاطب بقل، وبين من حاجه، وفسر على هذا الوجه الأبناء بالحسن والحسين، وبنسائه: فاطمة، والأنفس بعلّي . قال الشعبي: ويدل على أنّ ذلك مختص بالنبي ﷺ مع حاجة ما ثبت في صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ ﴾ دعا رسول الله ﷺ:

---

(١) الأمالي، (الشيخ الطوسي):٥٦٢ .

(٢) بحار الأنوار:١٠/ ١٤٢ .

(٣) حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني:٢/ ٧٢ .

(٤) أسباب نزول الآيات، النيسابوري: ٢٣٩، وينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن المعروف بـ(تفسير الثعلبي)، الثعلبي: ٨ / ٣٦، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن المعروف بـ(تفسير البغوي)، البغوي:٣/ ٥٢٨ .

(٥) بحار الأنوار:٦٩/ ١٥٤ .

فاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: (اللهم هؤلاء أهلي))[1] .

وأهم الدلالات التي يحملها هذا النّص القرآني هي:

الدلالة الأُولى: إنّ تعيين شخصيات المباهلة ليس حالة عفوية مرتجلة، وإنّما هو اختيار إلهي هادف، وقد أجاب الرسول ﷺ حينما سُئل عن هذا الاختيار بقوله: ((لو علم الله تعالى أن في الاَرض عباداً أكرم من علي وفاطمة والحسن والحسين، لأمرني أن أباهل بهم، ولكن أمرني بالمباهلة مع هؤلاء، فغلبت بهم النصارى))[2].

الدلالة الثانية: إنّ ظاهرة الاقتران الدّائم بين الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام تعبّر عن مضمون رسالي كبير يحمل دلالات فكرية، وروحية، وسياسية خطيرة، فالمسألة ليست تكريساً للمفهوم القبلي الذي ألفته الذّهنية العربية، بل هو الاِعداد الرباني الهادف لصياغة الوجود الامتدادي في حركة الرسالة، هذا الوجود الذي يمثله أهل البيت عليهم السلام بما يملكونه من إمكانات تؤهلهم لذلك.

٧- عليٌّ الهادي والحجة

عن الإمام الحسن عليه السلام قال: ((خطب رسول الله ﷺ يوما فقال بعدما حمد الله وأثنى عليه: معاشر الناس كأني ادعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا، فتعلموا منهم ولا تعلموهم فإنَّهم أعلم منكم، لا يخلو الأرض منهم، ولو خلت إذا لساخت بأهلها . ثم قال عليه السلام: اللهم إني أعلم أنّ العلم لا يبيد ولا ينقطع، وإنّك لا تخلي أرضك من حجة لك على خلقك ظاهر ليس بالمطاع، أو خائف مغمور لكيلا تبطل حجتك، ولا تضل أولياؤك بعد إذ هديتهم، أولئك الأقلون عدداً الأعظمون قدراً عند الله، فلما نزل عن منبره قلت: يا رسول الله أما أنت الحجة على الخلق كلهم ؟ قال: يا حسن إن الله يقول ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ الرعد/ ٧. فأنا المنذر وعليّ الهادي، قلت: يا رسول الله فقولك إن الأرض لا تخلو من حجة ؟ قال: نعم عليّ هو الإمام والحجة بعدي، وأنت الحجة والإمام بعده، والحسين الإمام والحجة بعدك، ولقد نبأني اللطيف الخبير أنه يخرج من صلب الحسين غلام يقال له علي سمي جده علي، فإذا مضى الحسين أقام بالأمر بعده علي ابنه وهو الحجة والإمام، ويخرج الله من صلبه ولداً سميّ وأشبه الناس بي علمه علمي، وحكمه حكمي هو الإمام والحجة بعد أبيه، ويخرج الله تعالى من صلبه مولوداً يقال له: جعفر أصدق الناس قولاً وعملاً هو الإمام والحجة بعد أبيه، ويخرج الله تعالى من صلب جعفر مولوداً [يقال له موسى] سميّ موسى بن عمران عليه السلام أشد الناس تعبداً فهو الإمام والحجة بعد أبيه، ويخرج الله تعالى من صلب موسى ولداً يقال له: علي معدن علم الله وموضع حكمه، فهو الإمام والحجة بعد أبيه، ويخرج الله من صلب علي مولوداً يقال له: محمد فهو الإمام والحجة بعد أبيه، ويخرج الله تعالى من صلب محمد مولوداً يقال له: علي فهو الحجة والإمام بعد أبيه، ويخرج الله

(١) تفسير البحر المحيط، ابو حيان الاندلسي:٢ / ٥٠٢، وينظر: الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي):٤/ ١٠٤ .

(٢) ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي الحنفي:٢/ ٢٦٦.

تعالى من صلب علي مولوداً يقال له: الحسن فهو الإمام والحجة بعد أبيه، ويخرج الله تعالى من صلب الحسن الحجة القائم إمام شيعته ومنقذ أوليائه، ويغيب حتى لا يرى فيرجع عن أمره ويثبت آخرون ويقولون ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِين﴾ الانبياء/ ٣٨، ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله عز وجل ذلك حتى يخرج قائمنا فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فلا تخلو الأرض، أعطاكم الله علمي وفهمي ولقد دعوت الله تبارك وتعالى أن يجعل العلم والفقه في عقبي، وعقب عقبي ومزرعي وزرع زرعي))[1].

٨- عليٌّ إمام الأبرار

عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام، قال:((كلّ ما في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ**﴾ الانسان/ ٥، فو الله ما أراد به إلا عليّ بن أبي طالب، وفاطمة، وأنا، والحسين؛ لأنّا نحن أبرار بآبائنا وأمهاتنا، وقلوبنا علت بالطاعات والبر، وتبرأت من الدنيا وحبها، وأطعنا الله في جميع فرائضه، وآمنا بوحدانيته، وصدقنا برسوله))[2] .

٩- عليٌّ استوى الإسلام بسيفه

عن الإمام الحسن عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ**﴾الفتح/ ٢٩ قال عليه السلام:((استوى الإسلام بسيف علي عليه السلام))[3] .

١٠- عليٌّ صورته صورة النبيّ

وعنه عليه السلام قوله في قوله سبحانه:﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ الانفطار/ ٨. قال: ((صوّر الله عزّ وجلّ علي بن أبي طالب في ظهر أبي طالب على صورة محمد صلى الله عليه وآله، فكان علي بن أبي طالب أشبه الناس برسول الله، وكان الحسين بن علي أشبه الناس بفاطمة، وكنت أنا أشبه الناس بخديجة الكبرى))[4].

١١- عليٌّ مفترض الطاعة وحبّه حسنة

وصحَّ عنه عليه السلام أنّه خطب الناس فقال في خطبته:((أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودّتهم على كل مسلم فقال تبارك وتعالى:﴿ **قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً**﴾الشورى/ ٢٣، فاقتراف الحسنة مودتنا اهل البيت))[5].

---

(١) كفاية الأثر: ١٦٣ – ١٦٥ .

(٢) تفسير نور الثقلين:٥/ ٤٧٤ .

(٣) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد القمي المشهدي:٣١٥ .

(٤) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي:٦/ ٣٨٩.

(٥) المستدرك، الحاكم النيسابوري:٣/ ١٧٣ .

وعن ابن عباس قوله: ((لمّا أنزل الله﴿ **قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾ قالوا يارسول الله من هؤلاء الذين أمرنا بمودتهم ؟ قال: عليّ وفاطمة وولدهما))[1] .

١٢ - عليٌّ سلالة الأنبياء وصفوة الله

خطب الإمام الحسن عليه السلام وكان ذلك بمحضر أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: ((أيّها الناس اعقلوا عن ربكم إنَّ الله عز وجل: ﴿**اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ ال عمران/ ٣٣-٣٤، فنحن الذرية من آدم والأسرة من نوح، والصفوة من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، وآل من محمد صلى الله عليه وآله نحن فيكم كالسماء المرفوعة، والأرض المدحوة، والشمس الضاحية، وكالشجرة الزيتونة، لا شرقية ولا غربية التي بورك زيتها، النبي أصلها، وعلي فرعها، ونحن والله ثمرة تلك الشجرة، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا، ومن تخلف عنها فإلى النار هوى، فقام أمير المؤمنين من أقصى الناس يسحب رداءه من خلفه حتى علا المنبر مع الحسن عليه السلام فقبل بين عينيه، ثم قال: يا ابن رسول الله أثبتَّ على القوم حجتك، وأوجبت عليهم طاعتك، فويل لمن خالفك))[2] .

١٣ - عليٌّ وشيعته هم الطّيّبون

وخطب الإمام الحسن عليه السلام يوماً في محضر معاوية وأصحابه الذين حاولوا الانتقاص منه ومن أبيه وشيعته، فبعد كلام طويل من الدّلائل والبيّنات التي تثبت حقّه وأهل بيته الشاهد فيها أنه: ((قام الحسن عليه السلام فنفض ثيابه، وهو يقول: ﴿ **الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ** ﴾هم والله يا معاوية: أنت وأصحابك هؤلاء وشيعتك ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾النور/ ٢٦ هم علي بن أبي طالب وأصحابه وشيعته. ثم خرج وهو يقول: ذق وبال ما كسبت يداك، وما جنيت، وما قد أعد الله لك ولهم من الخزي في الحياة الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة)) [3] .

إنَّ علاقة الإمام علي عليه السلام بالقرآن الكريم علاقة جذرية وعميقة، كيف لا ؟ وقد اختلط لحمه ودمه منذ نعومة أظفاره بالقرآن، أثر فيه القرآن الكريم بجميع مفاهيمه وعقائده وفقهه وأخلاقه وبلاغته وفصاحته، فقد ارتبط بالقرآن ارتباطاً موضوعياً، واعتنى النبي صلى الله عليه وآله به عناية خاصة، إذ اختص به النبي صلى الله عليه وآله وعهد له بما لم يعهد لغيره، وبين القرآن الكريم مقام علي عليه السلام وفضله وعظم شأنه في عشرات الآيات، التي صرح بها الإمام الحسن عليه السلام في مروياته، وذكرها المفسرون في مصنفاتهم .

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي الأسترآبادي:٥٤٥ .

(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥٨ .

(٣) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي:١/ ٤١٥ .



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

* الاحتجاج، الشيخ ابو منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، تحقيق: تعليق وملاحظات: السيدمحمد باقر الخرسان، ط٢، الناشر: دارالنعمان للطباعة والنشر النجف الأشرف، ١٣٨٦ ١٩٦٦ م.

* أسباب نزول الآيات، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، (ت:٤٦٨هـ)، ط/ ١، الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشروالتوزيع – القاهرة، ١٣٨٨ ١٩٦٨ م.

* أصول الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني(ت:٣٢٩هـ)، تحقيق: صححه وعلق عليه علي أكبرالغفاري، ط/ ٥، الناشر: دارالكتب الإسلامية تهران – ايران، ١٣٦٣ ش.

* الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد، (ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، الناشر: دار المفيد، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

* أعلام الهداية(الإمام الحسن المجتبى عليه السلام)، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ط/ ٣، الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام- قم، ١٤٢٧هـ .

* أعلام الورى بأعلام الهدى، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، (ت:٥٤٨هـ)، حقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط/ ١، الناشر: مؤسسةآل البيت عليهم السلام لإحياءالتراث قم المشرفة، ١٤١٧هـ .

* أعيان الشيعة، تأليف السيد محسن الأميني العاملي(ت:١٣٧١هـ)، تحقيق وتخريج: حسن الأميني، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، (د.ت).

* الأمالي، الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة – قم، ١٤١٧هـ.

* الأمالي، الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن(ت:٤٦٠هـ) تحقيق قسم الدراسات الاسلامية – مؤسسة البعثة، ط/ ١، الناشر: دارالثقافة قم، ١٤١٤ .

* الأمالي، الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت:٤١٣هـ)، حسين الأستاذ ولي، علي أكبرالغفاري، ط/ ٢، الناشر: دار المفيد للطباعة – بيروت/ لبنان، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .

* الإمام الحسن القدوة والتاريخ، فؤاد الأحمد، ط/ ١، الناشر: دار البيان العربي- بيروت، ١٤١١هـ -١٩٩١م.

* الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، أحمدالرحماني الهمداني، تحقيق: ترجمة: حسينأستادولي، ط/ ٢، الناشر: مركزفرهنگي انتشارات يمنير، ١٤١٩ ١٣٧٧ ش .

* الإمام علي عليه السلام في آراءالخلفاء، الشيخ مهدي فقيه، تحقيق:ترجمة: يحيى كماليال بحراني، ط/ ١، الناشر: مؤسسةالمعارف الإسلامية- قم، ١٤٢٠هـ .

* الإمامة وأهل البيت، محمد بيومي مهران، ط/ ٢، الناشر: مركزالغديرللدراسات الإسلامية- ايران، ١٤١٥ ١٩٩٥ م.

* الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، تأليف الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط/ ١، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢ م .

* الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي(١٣٥٩هـ)، ط/ ١، تحقيق: مؤسسةالنشرالإسلامي، الناشر: مؤسسةالنشرالإسلامي التابعة لجماعةالمدرسين بقم المشرفة، ١٤١٧هـ .

* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، (ت:١١١١ هـ)، تحقيق: يحيى العابدي الزنجاني، عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ط/ ٢، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٣هـ-ـ١٩٨٣م.

* البرهان في تفسيرالقرآن، السيد هاشم البحراني، (ت: ١١٠٧هـ)، تقديم: الشيخ محمد مهدي الآصفي، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية، ط/ ١، الناشر: مؤسسة البعثة – قم، د . ت .

* تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيدشرف الدين علي الحسيني



الأسترآبادي(٩٦٥هـ)، تحقيق: مدرسةالإمام المهدي (عج)، ط/ ١، الناشر: مدرسة الإمام المهدي (عج) الحوزة العلمية قم المقدسة، ١٤٠٧ ١٣٦٦ ش.
* التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (ت:٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، ط/ ١، الناشر:مكتب الإعلام الإسلامي قم، ١٤٠٩هـ.
* تفسير البحر المحيط (المعروف بتفسير أبي حيان الاندلسي)، أبو حيان محمد بن يوسف الاندلسي، (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق:عادل أحمد الموجود، والشيخ علي معوض، واخرون، ط/ ٦، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .
* التفسيرالصافي، محمد محسن الفيض الكاشاني، (ت: ١٠٩١هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه العلامةالشيخ حسين الأعلمي، ط/ ٢، الناشر: مكتبةالصدر – طهران، ١٤١٦ ١٣٧٤ ش .
* تفسيرالعياشي، محمدبن مسعودالعياشي، (ت: ٣٢٠هـ)، تحقيق: الحاج السيدهاشم الرسولي المحلاتي، ط/ ١، الناشر: المكتبةالعلميةالإسلامية – طهران، د.ت.
* التفسير الكاشف، الشيخ محمد جواد مغنية، (ت: ١٩٨١م)، ط/ ٣، الناشر: دارالعلم للملايين بيروت – لبنان، ١٩٨١م .
* تفسيركنز الدقائق وبحرالغرائب، الشيخ محمدبن محمدرضا القمي المشهدي(ت:١١٢٥هـ)، تحقيق: حسين درگاهي، ط/ ١، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر وزارةالثقافةوالارشادالاسلامي، قم، ١٤١١ – ١٩٩١.
* تفسيرنورالثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي المعروف بـ(الشيخ الحويزي)، (ت:١١١٢هـ)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ط/ ٤، الناشر: مؤسسةإسماعيليان للطباعةوالنشروالتوزيع –قم ١٤١٢ ١٣٧٠ ش .
* تقريب القرآن إلى الأذهان، السيدمحمدالحسيني الشيرازي(ت:١٤٢٢هـ)، ط/ ١، الناشر:دارالعلوم للتحقيق والطباعةوالنشروالتوزيع بيروت – لبنان، ١٤٢٤ ٢٠٠٣ م .
* جامع البيان عن تأويل آي القرآن، : ابو جعفر محمد بن حرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: تقديم: الشيخ خليل الميس / ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، ط/ ١، الناشر: دارالفكرللطباعةوالنشروالتوزيع بيروت، ١٤١٥ ١٩٩٥ م .
* جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، ط/ ٢، الناشر: شركةومطبعةمصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر محمود نصارالحلبي وشركاه – خلفاء، ١٣٨١ – ١٩٦٢.
* حليةالأبرار، السيدهاشم البحراني(ت:١١٠٧هـ)، تحقيق: الشيخ غلام رضا مولانا البروجردي، ط/ ١، الناشر: مؤسسةالمعارف الإسلامية قم – ايران، ١٤١٢هـ .
* الخصال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (الشيخ الصدوق)، (ت:٣٨١هـ)، تحقيق:علي اكبر غفاري، ط/ ٢، الناشر: جماعة المدرسين – قم المقدسة / إيران، ١٤٠٣هـ .
* الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام، السيد مصطفى الموسوي، تحقيق: مراجعة وتعليق: السيدمرتضى الرضوي، ط/ ١، الناشر: دارالمعلم للطباعة- القاهرة، ١٣٩٥ ١٩٧٥ م.
* شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي(ت:١٤١١هـ)، ط/ ١، تحقيق: تعليق: السيدشهابالدينالمرعشيالنجفي / تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي، الناشر: منشورات مكتبة آيةالله العظمى المرعشي النجفي قم – ايران، د.ت .
* شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي(ت: ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمدأبوالفضل إبراهيم، ط/ ١، الناشر: دارالكتب الناشر: دارإحياءالكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه–القاهرة، ١٣٧٨ ١٩٥٩ م .
* صحيح البخاري، تأليف أبي عبدالله محمد بن ابراهيم البخاري الجعفي، (ت: ٢٥٦هـ)(د. ط)،

الناشر: دار الفكر بيروت، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م .
* صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، (ت: ٢٦١هـ)، (د. ط)، الناشر: دار الفكر، بيروت- لبنان، (د.ت).
* عيون أخبارالرضاعليه السلام، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، بن بابويه المعروف بالصدوق، ت: ٣٨١هـ، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، ط/ ١، الناشر: مؤسسةالأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، ١٤٠٤ ١٩٨٤ م .
* الغارات، إبراهيم بن محمدالثقفي الكوفي (ت: ٢٨٣هـ) تحقيق: السيدجلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، ط/ ١، الناشر: طبع على طريقةأوفست في مطابع بهم، ١٣٩٥هـ .
* غايةالمرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام، السيدهاشم البحراني (ت:١١٠٧)تحقيق:السيدعلي عاشور، ط/ ١، الناشر: جماعة المدرسين- قم، ١٤٢١هـ .
* الغدير في الكتاب والسنة والادب الشيخ الأميني(ت:١٣٩٢هـ)، ط/ ٤، الناشر: دارالكتاب العربي بيروت – لبنان، ١٣٩٧ ١٩٧٧ م .
* فتح الباري، شرح صحيح البخاري، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، ط/ ٢، الناشر: دارالمعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان، د. ت .
* الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحرالعاملي(ت:١١٠٤هـ)، ط/ ١، تحقيق: تحقيق وإشراف: محمد بن محمد الحسين القائيني، ط/ ١، الناشر: مؤسسةمعارف إسلامي إمام رضا عليه السلام– ايران، ١٤١٨ ١٣٧٦ ش.
* كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن أبي الفتح الأربلي (ت:٦٩٣هـ)، ط/ ٢، الناشر: دارالأضواء بيروت – لبنان، ١٤٠٥ ١٩٨٥ م.
* الكشف والبيان في تفسير القرآن المشتهر بـ(تفسير الثعلبي)، تأليف أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بالثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، ط١، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م .
* كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، الخزاز القمي (ت:٤٠٠هـ)، تحقيق: السيدعبداللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، ط/ ١، الناشر: انتشارات بيدار، قم، ١٤٠١ هـ .
* مجمع البيان في تفسير القرآن، تأليف أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، (ت: ٥٤٨هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الاخصائيين، ط/ ١، الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
* المحررالوجيزفي تفسيرالكتاب العزيز، غالب بن عبد الرؤوف ابن عطية الأندلسي، (ت:٥٤٦هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، ط/ ١، الناشر: دارالكتب العلمية- لبنان، ١٤١٣ ١٩٩٣م.
* المستدرك، الحافظ ابو عبدالله الحاكم النيسابوري(ت:٤٠٥هـ)، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشي، ط/ ١، الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان، .
* مستدرك سفينةالبحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي(ت:١٤٠٥هـ)، تحقيق: تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن علي النمازي، ط/ ١، الناشر: مؤسسة النشرالإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٨هـ.
* المسلك في أصول الدين، تأليف أبي القاسم جعفر بن المحقق الحلي(ت: ٦٧٦ ه)، تحقيق: رضا الأستادي، ط/ ٢، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية مشهد – ايران، : ١٤٢١ – ١٣٧٩ .
* مسندالرضاعليه السلام، داوود بن سليمان بن يوسف الغازي(٢٠٣هـ) تحقيق: محمدجواد الحسيني الجلالي، ط/ ١، الناشر: مركزالنشرالتابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٨هـ .
* معالم التنزيل في تفسيرالقرآن المعروف بـ(تفسيرالبغوي)، البغوي(ت:٥١٠هـ)، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ط/ ١، الناشر: دارالمعرفة – بيروت، د.ت) .
* معاني الاخبار، الشيخ أبي جعفر محمد بن علي

بن الحسين، بن بأبويه المعروف بالصدوق، (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق علي اكبر غفاري، ط٢، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرسيين بقم المشرفة، ١٣٦١ه- ش .

* معاني القرآن وإعرابه، تأليف أبي جعفر النحاس، ط١، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

* مقاتل الطالبيين، ابو الفرج الاصفهاني(٣٥٦هـ) تحقيق: تقديم وإشراف: كاظم المظفر، ط/ ٢، الناشر: منشورات المكتبةالحيدرية ومطبعتها النجف الأشرف، ١٣٨٥ ١٩٦٥م.

* مناقب أهل البيت عليهم السلام، المولى حيدر علي بن محمدالشيرواني، (ت: القرن ١٢هـ)، تحقيق: الشيخ محمدالحسون، الناشر: مطبعة منشورات الإسلامية –ايران، ١٤١٤هـ.

* مناقب الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي، (ت:٣٠٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، ط / ١، الناشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية – قم، ١٤١٢هـ.

* مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، علي بن محمد الواسطي المعروف بابن المغازلي، (ت:٤٨٣هـ)، ط/ ١، الناشر:انتشارات سبط النبي صلى الله عليه وآله- قم، ١٤٢٦هـ .

* موسوعةالمصطفى والعترة عليهم السلام، الحاج حسين الشاكري، ط/ ١، الناشر: نشرالهادي قم – ايران، ١٤١٧هـ.

* الميزان في تفسير القرآن، تأليف السيد محمد حسين الطباطبائي، (ت: ١٤١٢هـ) (د.ط)، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم المقدسة، (د.ت) .

* نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين، الشيخ محمد بن يوسف بن الحسن الزرندي الحنفي(ت:٧٥٠هـ)، ط/ ١، الناشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة- النجف الاشرف، ١٣٧٧ ١٩٥٨ م.

* ينابيع المودة لذوي القربى، الشيخ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي، (ت:١٢٩٤ه)، تحقيق: سيدعلي جمال أشرف الحسيني، ط/ ١، الناشر: دارالأسوة للطباعةوالنشر، ١٤١٦هـ .




شهر شوال

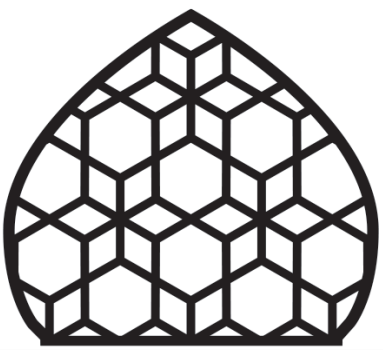

من فضائل الإمام الصادق عليه السلام

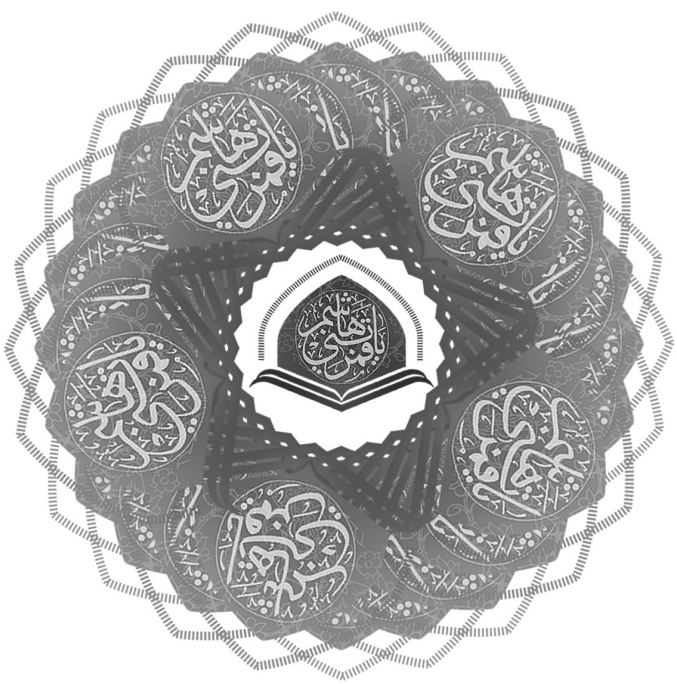

من فضـــــائل الإمام الصادق عليه السلام

جنان الرويشدي

مكارم وأخلاق الإمام الصادق عليه السلام لا تُعدّ ولا تُحصى؛ ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، ومن هنا نذكر بعض فضائل الإمام الصادق عليه السلام؛ حتى تكون نوراً نستضيء بها حتى نسير في طريق الحق، والصّلاح.

عفوه عليه السلام:

روي أنَّ سفيان الثوري دخل على الإمام الصادق عليه السلام، فرآه متغيّر اللون فسأله عن ذلك. فقال عليه السلام: «كنت نهيت أن يصعدوا فوق البيت، فدخلت فإذا جارية من جواري ممّن تُربي بعض ولدي قد صعدت في سلّم والصبي معها، فلما بصرت بي ارتعدت وتحيرت وسقط الصبي إلى الأرض فمات، فما تغير لوني لموت الصبي وإنّما تغيّر لوني لما أدخلت عليها من الرّعب». وقال عليه السلام لها: «أنتِ حُرّة لوجه الله، لا بأس عليكِ» مرتين[1].

* وعن حماد اللحام، قال: أتى رجل أبا عبد الله عليه السلام فقال: إنَّ فلاناً ذكرك، فما ترك شيئاً من الوقيعة والشتيمة إلاّ قاله فيك!. فقال أبو عبد الله عليه السلام للجارية: «إيتيني بوضوء». فتوضّأ ودخل فقلت في نفسي: يدعو عليه. فصلّى ركعتين، فقال: «يا رب، هو حقّي قد وهبته له وأنت أجود منّي وأكرم، فهبه لي ولا تؤاخذه بي ولا تقايسه». ثم رقّ فلم يزل يدعو فجعلت أتعجّب[2].

* ولما حضرته عليه السلام الوفاة قال: «أعطوا فلاناً سبعين ديناراً». فقيل له: أ تعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة!. قال: «ويحك أما تقرأ القرآن: ﴿**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ**﴾[3]» [4].

* ونقل أنَّه عليه السلام كان يدعو في سجوده قائلاً: «اللهم اغفر لي ولأصحاب أبي؛ فإنّي أعلم أنّ فيهم من ينتقصني»[5].

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٧٤-٢٧٥.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٦ ص٣٩٦.

(٣) سورة الرعد: ٢١.

(٤) الكافي: ج٧ ص٥٥.

(٥) قرب الإسناد: ص٧٧.

عطاؤه عليه السلام:

قال الهياج بن بسطام: (كان جعفر الصّادق عليه السلام يُطعم حتى لا يبقى لعياله شيء)[1].

* وقال هشام بن سالم: كان أبو عبد الله عليه السلام إذا أعتم وذهب من الليل شطره، أخذ جراباً فيه خبز ولحم ودراهم فحمله على عنقه، ثم ذهب إلى أهل المدينة فقسّمه فيهم ولا يعرفونه. فلمّا مضى أبو عبد الله عليه السلام فقدوا ذلك، فعلموا أنّه كان أبو عبد الله[2].

* وعن معلى بن خنيس قال: خرج أبو عبد الله عليه السلام في ليلة قد رشت وهو يريد ظلة بني ساعدة، فأتبعته فإذا هو قد سقط منه شيء. فقال: «بسم الله اللهم ردّ علينا». قال: فأتيته فسلّمت عليه.

قال: فقال: «معلى!».

قلت: نعم جعلت فداك.

فقال عليه السلام لي: «التمس بيدك فما وجدت من شيء فادفعه إليَّ».

فإذا أنا بخبز منتشر كثير، فجعلت أدفع إليه ما وجدت، فإذا أنا بجراب أعجز عن حمله من خبز.

فقلت: جعلت فداك، أحمله على رأسي.

فقال عليه السلام: «لا أنا أولى به منك، ولكن امض معي».

قال: فأتينا ظلة بني ساعدة فإذا نحن بقوم نيام، فجعل يدس الرغيف والرغيفين حتى أتى على آخرهم ثم انصرفنا.

فقلت: جُعلت فداك، يعرف هؤلاء الحق؟!.

فقال: «لو عرفوه لواسيناهم بالدقة»[3].

* وقال أبو جعفر الخثعمي: أعطاني الصادق عليه السلام صرة. فقال لي: «ادفعها إلى رجل من بني هاشم ولا تعلمه أني أعطيتك شيئاً». قال: فأتيته. قال: جزاه الله خيراً ما يزال كل حين يبعث بها فنعيش به إلى قابل، ولكني لا يصلني جعفر بدرهم في كثرة ماله[4].

علمه عليه السلام:

شهد عهد الإمام الصادق عليه السلام وببركته ازدهاراً واسعاً في العلم ونشر المعارف، حيث عكف الإمام عليه السلام على نشر العلوم المختلفة للناس.

يقول سالم بن أبي حفصة: لما هلك أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قلت لأصحابي: انتظروني حتى أدخل على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فأعزيه. فدخلت عليه فعزيته ثم قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب والله

---

(١) حلية الأولياء: ج٣ ص١٩٤.

(٢) الكافي: ج٤ ص٨.

(٣) المصدر نفسه: ج٤ ص٨-٩.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٧٣.

من كان يقول: قال رسول الله ﷺ فلا يسأل عمّن بينه وبين رسول الله ﷺ، والله لا يرى مثله أبداً.

قال: فسكت أبو عبد الله عليه السلام ساعة، ثم قال: «قال الله تبارك وتعالى: إنَّ من عبادي من يتصدّق بشقّ تمرة فأربيها له فيها كما يربي أحدكم فلوه حتى أجعلها له مثل أُحُد». فخرجت إلى أصحابي، فقلت: ما رأيت أعجب من هذا!

كنا نستعظم قول أبي جعفر عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ» بلا واسطة، فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: «قال الله تعالى» بلا واسطة![1].

وقد عمد الإمام الصادق عليه السلام إلى نشر علوم محمد وآل محمد عليهم السلام حتى قال الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد: ونقل الناس عنه ـ أي عن الإمام عليه السلام ـ من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نُقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام، فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل[2].

وقال المحقّق رحمه الله في المعتبر: فإنَّه انتشر عنه من العلوم الجمة ما بهر به العقول، وروى عنه جماعة من الرجال ما يقارب أربعة آلاف رجل[3].

وقال ابن فتال في روضة الواعظين: وقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة عنهم من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات وكانوا أربعة آلاف رجل[4].

وقال ابن شهر آشوب في المناقب: ينقل عنه عليه السلام من العلوم ما لا ينقل عن أحد، وقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات وكانوا أربعة آلاف رجل[5].

وفي كتاب الذكرى: إنَّ أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كتب من أجوبة مسائله أربعمائة مصنف لأربعمائة مصنف، ودون من رجاله المعروفين أربعة آلاف رجل من أهل العراق والحجاز وخراسان والشام[6].

هذا وقد أحصاهم بعض العلماء بستة آلاف رجل، علماً بأن تلامذة الإمام الصادق عليه السلام كانوا أكثر من عشرين ألفاً.

ومن المعروف أنّ الإمام عليه السلام كان يحثّ أصحابه على التفقّه ونشر العلوم حتى قال: «ليت السياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقّهوا في الحلال والحرام»[7]، كناية عن أهمّيّة العلم وضرورة التّعلّم.

---

(١) أمالي الطوسي: ص١٢٥.
(٢) الإرشاد: ج٢ ص١٧٩.
(٣) المعتبر: ج١ ص٢٦.
(٤) روضة الواعظين: ج١ ص٢٠٧.
(٥) مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٤٧.
(٦) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: ج١ ص٥٩.
(٧) المحاسن: ج١ ص٢٢٩.

وعن المفضّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «تفقّهوا في دين الله ولا تكونوا أعراباً؛ فإنّه من لم يتفقّه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يزك له عملاً»[1].

وقد نقل أهل الرجال أنّ أبان بن تغلب وحده روى عن الإمام الصادق عليه السلام ثلاثين ألف حديث، ومحمد بن مسلم ستة عشر ألف حديث[2].

وإلى اليوم آثار الإمام عليه السلام موجودة في كل العالم، ومازالت البشرية تستفيد من علوم تلامذته في شتى الأمور، ومنهم جابر بن حيان الذي كان من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام حتى قال ابن خلكان لدى ترجمة للإمام عليه السلام:

(له كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرطوسي قد ألّف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمّن رسائل جعفر الصادق عليه السلام وهي خمسمائة رسالة)[3].

صبره عليه السلام:

تجرّع الإمام الصادق عليه السلام كبقيّة أجداده الغصص والويلات التي تشيب الرّأس من قبل الحكومات الظّالمة، إلاّ أنه عليه السلام كان يصبر ويصبّر عياله وأهله على البلاء ويبشرهم بما للصابرين من الأجر والثواب. فعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: «نُعي إلى جعفر بن محمد عليه السلام إسماعيل بن جعفر ـ وهو أكبر أولاده ـ وهو يريد أن يأكل وقد اجتمع ندماؤه فتبسّم. ثم دعا بطعامه وقعد مع ندمائه، وجعل يأكل أحسن من أكله سائر الأيام ويحث ندماءه، ويضع بين أيديهم ويعجبون منه لا يرون للحزن في وجهه أثراً. فلما فرغ قالوا: يا بن رسول الله، لقد رأينا عجباً أصبت بمثل هذا الابن وأنت كما نرى ؟!. قال: وما لي لا أكون كما ترون! وقد جاء في خبر أصدق الصادقين أنّي ميّت وإيّاكم. إنّ قوماً عرفوا الموت فجعلوه نصب أعينهم، فلم ينكروا ما يخطفه الموت منهم وسلموا لأمر خالقهم عزّ وجلّ»[4].

* وكان له ابن بينما هو يمشي بين يديه إذ غصّ فمات. فبكى عليه السلام وقال: «لئن أخذت لقد بقيت، ولئن ابتليت لقد عافيت». ثم حُمل إلى النساء، فلما رأينه صرخن فأقسم عليهنّ أن لا يصرخن. فلمّا أخرجه للدفن قال: «سبحان من يقتل أولادنا ولا نزداد له إلا حباً». فلما دفنه قال: «يا بني، وسّع الله في ضريحك وجمع بينك وبين نبيّك»[5].

---

(١) المحاسن: ج١ ص٢٢٨.

(٢) راجع رجال ابن داود: ص١٠.

(٣) وفيات الأعيان: ج١ ص٣٢٧.

(٤) وسائل الشيعة: ج٣ ص٢٥٣-٢٥٤.

(٥) بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٨.

المناظرات:

من الأساليب المهمة التي راجت في عهد الإمام الصادق عليه السلام بالخصوص هو أسلوب المناظرة، وإبراز المعارف عبر المحاججة والبحث العلمي والجدال بالتي هي أحسن. وقد شاعت المناظرات في عهد الإمام عليه السلام حتى أنّ البعض كانوا يقصدونه من البلدان الأخرى ليناظروه ويحاججوه ويستفيدوا من علمه عليه السلام.

وقد ربّى الإمام عليه السلام العديد من تلامذته على هذا الفن، فكانوا متخصّصين في المناظرة والبحث، كهشام بن الحكم ومؤمن الطّاق، إذ كانوا يقصدون أهل البدع والضّلال ويتصدون لهم ويفحمونهم أمام الملأ العام.

وهكذا كان الإمام عليه السلام يناظر الجميع وفي شتى المجالات العلمية والعملية سواء في الكلام أم الفقه أم الحديث أم الطب أم غيرها من العلوم. كما ناظر عليه السلام أرباب الفرق الضالة ومنهم:

* **الزنادقة:** حيث أخذ مجموعة من الملحدين يروجون الشبهات وينشرون المغالطات بين عوام الناس؛ ليصدوهم عن الإسلام وعبادة الله عزّ وجلّ. ومن أشهر هؤلاء هم عبد الله بن المقفع وابن أبي العوجاء وأمثالهما من الزّنادقة.

وبالرغم أنهم كانوا يعملون ليل نهار لتضعيف عقائد الناس، ولا يبعد أنه كان من وراء ذلك الحكومة العباسية، إلا أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان لهم بالمرصاد، فكان يبطل ادعاءاتهم ويفند شبهاتهم ويكشف زيفها للناس حتى أقر الزنادقة أنفسهم بفضيلته عليه السلام وتفوقه:

نقل أحمد بن محسن الميثمي، قال: كنت عند أبي منصور المتطبب. فقال: أخبرني رجل من أصحابي قال: كنت أنا وابن أبي العوجاء وعبد الله بن المقفع في المسجد الحرام، فقال ابن المقفّع: ترون هذا الخلق - وأومأ بيده إلى موضع الطواف - ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانية إلا ذلك الشيخ الجالس - يعني جعفر بن محمد عليه السلام - فأما الباقون فرعاع وبهائم.

فقال له ابن أبي العوجاء: وكيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟!.

قال: لأنّي رأيت عنده ما لم أرَ عندهم.

فقال ابن أبي العوجاء: ما بد من اختبار ما قلت فيه منه.

فقال له ابن المقفع: لا تفعل؛ فإنّي أخاف أن يفسد عليك ما في يدك.

فقال: ليس ذا رأيك، ولكنّك تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إيّاه المحل الذي وصفت.

فقال ابن المقفع: أمّا إذا توهّمت على هذا فقم إليه، وتحفظ ما استطعت من الزّلل، ولا تثن عنانك إلى استرسال يسلمك إلى عقال، وسمه ما لك أو عليك.

قال: فقام ابن أبي العوجاء، وبقيت أنا وابن المقفع، فرجع إلينا.

فقال: يا ابن المقفع، ما هذا ببشر! وإن كان في الدّنيا روحاني يتجسّد إذا شاء ظاهرًا ويتروح إذا شاء باطناً

فهو هذا.

فقال له: وكيف ذاك؟.

فقال: جلست إليه، فلمّا لم يبقَ عنده غيري ابتدأني فقال ﷺ: «إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون ـ يعني أهل الطواف ـ فقد سلموا وعطبتم، وإن يكن الأمر على ما تقولون وليس كما تقولون فقد استويتم أنتم وهم».

فقلت له: يرحمك الله، وأي شيء نقول وأي شيء يقولون! ما قولي وقولهم إلا واحداً.

قال ﷺ: «فكيف يكون قولك وقولهم واحداً وهم يقولون: إن لهم معاداً وثواباً وعقاباً، ويدينون بأنَّ للسماء إلهاً وأنّها عمران، وأنتم تزعمون أنَّ السماء خراب ليس فيها أحد».

قال: فاغتنمتها منه فقلت له: ما منعه إن كان الأمر كما تقول أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان، ولم احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل؟! ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به؟!.

فقال ﷺ لي: «ويلك وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك، نشوءك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوّتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوّتك، وسقمك بعد صحتك، وصحتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبّك بعد بغضك، وبغضك بعد حبك، وعزمك بعد إبائك، وإبائك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاءك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك، وعزوب ما أنت معتقده عن ذهنك».

وما زال يعدّ عليَّ قدرته التي هي في نفسي التي لا أدفعها حتى ظننت أنه سيظهر فيما بيني وبينه[1].

* الغلاة الذين ادعوا الإلوهية لبعض الأئمّة ﷺ، وقد تبرأ الإمام الصادق ﷺ منهم.

فقد كان من أبرز زعماء هذه الطائفة محمد بن مقلاص الأسدي المعروف بابن الخطاب، إذ كان يقول بإلوهية الإمام الصادق ﷺ ويدعو الناس إلى ذلك. إلاّ أنَّ الإمام ﷺ وقف إزائهم موقفاً صارماً، فعن سدير: قلت لأبي عبد الله ﷺ: إنَّ قوماً يزعمون أنّكم آلهة يتلون عليها بذلك قرآناً ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ**﴾[2].

فقال ﷺ: «يا سدير، سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء، وبرئ الله منهم ورسوله. ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي، والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم».

قال: قلت: وعندنا قوم يزعمون أنكم رسل يقرؤون علينا بذلك قرآناً ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾[3].

---

(١) التوحيد: ص ١٢٥-١٢٧.

(٢) سورة الزُّخرف: ٨٤.

(٣) سورة المؤمنون: ٥١.

فقال عليه السلام: «يا سدير، سمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي ودمي من هؤلاء براء، وبرئ الله منهم ورسوله. ما هؤلاء على ديني ودين آبائي، لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم».

قال: قلت: فما أنتم؟.

قال: «نحن خزّان علم الله، نحن تراجمة أمر الله، نحن قوم معصومون، أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض»[1].

* وعن حنان بن سدير، عن سدير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام وميسر عنده، ونحن في سنة ثمان وثلاثين ومائة. فقال له ميسر بياع الزطي: جعلت فداك، عجبت لقوم كانوا يأتون هنا إلى هذا الموضع فانقطعت آثارهم وفنيت آجالهم!.

قال عليه السلام: «ومن هم؟».

قلت: أبو الخطاب وأصحابه. وكان عليه السلام متكئاً فجلس فرفع إصبعه إلى السماء ثم قال: «على أبي الخطاب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[2].

وقد استمر الإمام عليه السلام في محاربتهم حتى فضحهم بين الناس، وخابت آمالهم وذهبت أتعابهم أدراج الرياح فلم يبق لهم ذكر أبداً.

* **أهل القياس**: وهؤلاء وإن لم يكونوا في عهد الإمام الصادق عليه السلام كفرقة وجماعة يعتنى بهم، ولكنهم بمرور الزمن صاروا طائفة كبيرة. ومن أبرز شخصيات هذه الطائفة هو أبو حنيفة الذي كان يذهب إلى القياس، وقد انتدب أبو جعفر المنصور أبا حنيفة كي يناظر الإمام الصادق عليه السلام علّه يوفق في محاججته.

يقول الحسن بن زياد اللؤلؤي: سمعت أبا حنيفة ـ وقد سُئل: من أفقه من رأيت؟.

قال: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، لما أقدمه المنصور بعث إليَّ فقال: يا أبا حنيفة، إنَّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهيئ له من المسائل الشداد، فهيَّأت له أربعين مسألة.

ثم بعث إليَّ أبو جعفر وهو بالحيرة، فأتيته فدخلت عليه وجعفر بن محمد عليه السلام جالس عن يمينه. فلما بصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمد الصادق عليه السلام ما لم يدخلني لأبي المنصور فسلّمت عليه.

وأومأ عليه السلام إليَّ فجلست، ثم التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله، هذا أبو حنيفة. فقال: «نعم ـ ثم أتبعها ـ قد أتانا»، كأنه كره ما يقول فيه قوم: إذا رأى الرجل عرفه.

قال: ثم التفت إليَّ فقال: يا أبا حنيفة، ألقِ على أبي عبد الله مسائلك.

فجعلت ألقي فيجيبني فكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا، فربما تابعنا وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا جميعاً، حتى

(١) إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب: ج ١ ص٢١-٢٢.

(٢) خاتمة المستدرك: ج ٥ ص ٤٢٨.

أتيت على أربعين مسألة ما أخرم منها مسألة. ثم قال أبو حنيفة: أ ليس قد روينا أنَّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس[1].

وربما كان الإمام عليه السلام يتقي من أبي حنيفة لعلاقته بالسلطان. ففي الخبر عن محمد بن مسلم، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعنده أبو حنيفة. فقلت له: جعلت فداك، رأيت رؤيا عجيبة. فقال لي: «يا ابن مسلم، هاتها فإنّ العالم بها جالس»، وأومأ بيده إلى أبي حنيفة. قال: فقلت: رأيت كأني دخلت داري وإذا أهلي قد خرجت عليَّ فكسرت جوزاً كثيراً ونثرته عليَّ، فتعجبت من هذه الرؤيا. فقال أبو حنيفة: أنت رجل تخاصم وتجادل لئاماً في مواريث أهلك، فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها إن شاء الله.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «أصبت والله يا أبا حنيفة». قال: ثم خرج أبو حنيفة من عنده. فقلت: جعلت فداك، إني كرهت تعبير هذا الناصب. فقال: «يا ابن مسلم، لا يسوءك الله، فما يواطي تعبيرهم تعبيرنا ولا تعبيرنا تعبيرهم، وليس التعبير كما عبره. قال: فقلت له: جعلت فداك، فقولك: أصبت وتحلف عليه وهو مخطئ!.

قال: «نعم حلفت عليه أنه أصاب الخطأ». قال: فقلت له: فما تأوليها؟.

قال: «يا ابن مسلم، إنَّك تتمتّع بامرأة فتعلم بها أهلك فتمزق عليك ثياباً جددًا؛ فإنّ القشر كسوة اللب». قال ابن مسلم: فو الله ما كان بين تعبيره وتصحيح الرّؤيا إلاّ صبيحة الجمعة، فلمّا كان غداة الجمعة أنا جالس بالباب إذ مرّت بي جارية فأعجبتني، فأمرت غلامي فردّها ثم أدخلها داري فتمتعت بها، فأحست بي وبها أهلي فدخلت علينا البيت، فبادرت الجارية نحو الباب وبقيت أنا، فمزّقت عليَّ ثياباً جددًا كنت ألبسها في الأعياد[2].

ومع ذلك فإنّ الإمام عليه السلام كان أحياناً يحاجج أبا حنيفة، ويتصدّى لانحرافاته قدر الإمكان. يقول ابن شبرمة: دخلت أنا وأبو حنيفة على أبي عبد الله عليه السلام، فقال لأبي حنيفة: «اتق الله ولا تقس في الدين برأيك ـ إلى أن قال ـ ويحك أيّهما أعظم، قتل النفس أو الزنا؟».

قال: قتل النفس. قال: «فإن الله قد قبل في النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا إلاّ أربعة. ثم أيهما أعظم الصلاة أو الصوم؟».

قال: الصلاة. قال: «فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، فكيف يقوم لك القياس، فاتق الله ولا تقس»[3].

لقد استطاع الإمام الصادق عليه السلام بأخلاقه، وصفاته التي لم يوجد نظيرها في زمانه أن يأخذ بمجامع القلوب، وأن يحافظ على شريعة جده المصطفى صلى الله عليه وآله من الزيغ والتحريف.

---

(١) سير أعلام النبلاء: ج٦ ص٢٥٧-٢٥٨.

(٢) الكافي: ج٨ ص٢٩٢-٢٩٣.

(٣) الفصول المهمة: ج١ ص٥٣٣-٥٣٤ .

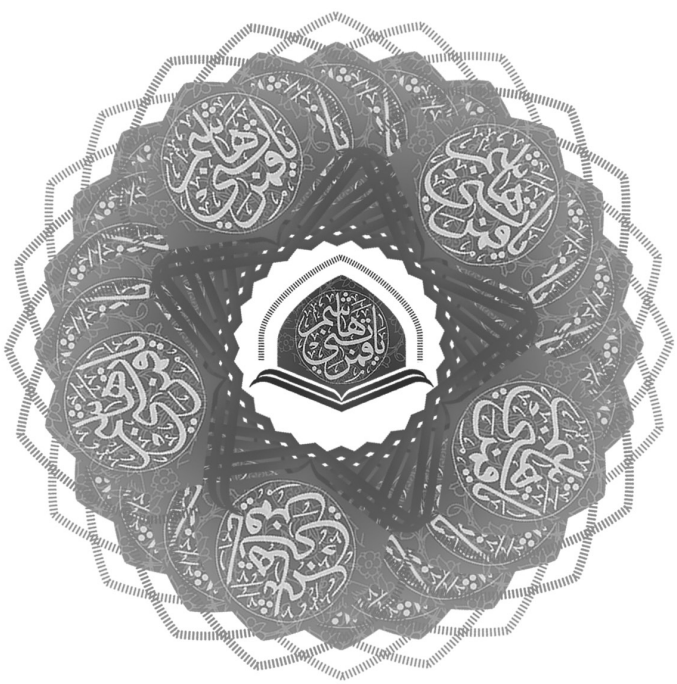


شهر
ذي القعدة

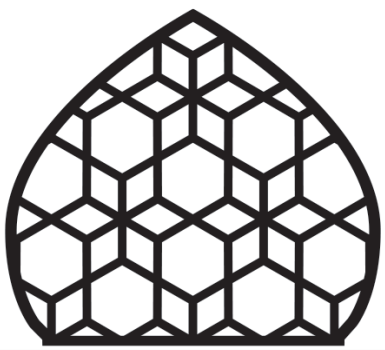

- الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام مولود عظيم البركة
- شذرات من حياة الإمام الرضا عليه السلام



محمد بن علي الجواد عليهما السلام
مولـــود عظيـــم البركة

الشيخ أحمد كاظم

من الأمور التي امتحن الله بها الشيعة في عهد الإمام الرضا عليه السلام هي أنّ عمر الإمام عليه السلام جاوز الأربعين ولم يُرزق بمولود يعقبه في الإمامة، حتى أنَّ الواقفة أخذوا يشنّعون بذلك على الإمام عليه السلام. فعن عبد الرحمن بن أبي نجران وصفوان بن يحيى، قالا: حدثنا الحسين بن قياما ـ وكان من رؤساء الواقفة ـ فسألنا أن نستأذن له على الرضا عليه السلام ففعلنا. فلمّا صار بين يديه، قال له: أنت إمام!.

قال عليه السلام: «نعم».

قال: إنّي أُشهد الله أنَّك لست بإمام. قال: فنكت عليه السلام في الأرض طويلاً منكس الرّأس ثم رفع رأسه إليه، فقال له: «ما علمك أنّي لست بإمام؟».

قال له: إنا قد روينا عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ الإمام لا يكون عقيماً، وأنت قد بلغت السن وليس لك ولد.

قال: فنكس رأسه أطول من المرة الأولى ثم رفع رأسه فقال: «إنّي أُشهد الله أنّه لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ولداً منّي». قال عبد الرحمن بن أبي نجران: فعددنا الشهور من الوقت الذي قال، فوهب له أبا جعفر عليه السلام في أقلّ من سنة[1].

وبمولد الإمام محمد الجواد عليه السلام دحضت شبهة الواقفية، والتي لم يسبقها مثلها في سائر الأئمّة عليهم السلام..

روى ابن أسباط، وعباد أبو إسماعيل: إنا لعند الرضا عليه السلام بمنى إذ جيء بأبي جعفر عليه السلام. قلنا: هذا المولود المبارك؟. قال عليه السلام: «نعم، هذا المولود المبارك الذي لم يولد في الإسلام أعظم بركة منه»[2].

وقال أبو يحيى الصنعاني: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام وهو بمكّة وهو يقشر موزاً ويطعم أبا جعفر عليه السلام. فقلت له: جُعلت فداك، هو المولود المبارك؟. قال عليه السلام: «نعم ـ يا يحيى ـ هذا المولود الذي لم يولد في الإسلام مثله مولود أعظم بركة على شيعتنا منه»[3].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٢٠٩-٢١٠.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٠.

(٣) الكافي: ج٦ ص٣٦٠-٣٦١.

امتحان الشيعة

امتُحِنَ الشيعة في عهد الإمام الجواد ﷺ بامتحان صعب جدًّا، ألا وهو تصدّي الإمام ﷺ للإمامة وهو صغير. فمن كلام للطبري الشيعي ـ أحد علماء القرن الرابع الهجري ـ قال:

ولما بلغ عمره ـ أي الإمام الجواد ﷺ ـ ست سنين وشهور قتل المأمون أباه، وبقيت الطّائفة في حيرة، واختلفت الكلمة بين الناس، واستصغروا سنّ أبي جعفر، وتحيّر الشيعة في سائر الأمصار[1].

وهذا ومن الواضح أنّه ليس المعيار في النّبوّة والإمامة السن. قال عيسى بن مريم ﷺ وهو في المهد: ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾[2].

عن صفوان بن يحيى، قال: قلت للرضا ﷺ: قد كنّا نسألك عن الإمام بعدك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر وكنت تقول: «يهب الله لي غلاماً»، وقد وهب الله لك وأقرّ عيوننا ولا أرانا الله يومك، فإن كان كون فإلى من؟.

فأشار بيده إلى أبي جعفر ﷺ وهو قائم بين يديه. فقلت: جعلت فداك، وهو ابن ثلاث سنين؟!. فقال ﷺ: «وما يضرّه من ذلك، فقد قام عيسى ﷺ بالحجة وهو ابن ثلاث سنين»[3].

وعن معمّر بن خلاد، قال:سمعت الرضا ﷺ وذكر شيئاً، فقال: «ما حاجتكم إلى ذلك! هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي وصيرته مكاني ـ وقال ـ إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذّة بالقذّة»[4].

وعن علي بن أسباط، قال: رأيت أبا جعفر ﷺ قد خرج عليَّ، فأحددت النّظر إليه وإلى رأسه وإلى رجله؛ لأصف قامته لأصحابنا بمصر. فخرّ ساجداً فقال: «إنّ الله احتج في الإمامة مثل ما احتج في النبوة، قال الله تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا**﴾[5]، وقال الله: ﴿**حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً**﴾[6]، فقد يجوز أن يؤتى الحكمة وهو صبي، ويجوز أن يؤتى وهو ابن أربعين سنة»[7].

الهجرة إلى بغداد

بعد أن دسّ المأمون السم القتّال إلى الإمام الرضا ﷺ نقم الناس عليه، وعلموا بأنّه قاتل الإمام ﷺ. فعمد المأمون كعادته إلى حيلة جديدة لعله يحسّن من خلالها سمعته، فاستدعى الإمام الجواد ﷺ إلى بغداد وذلك لـ:

١. تقييد حركة الإمام ﷺ ووضعه تحت نظره.

---

(١) دلائل الإمامة: ص٢٠٤.
(٢) سورة مريم: ٣٠.
(٣) الكافي: ج١ ص٣٢١ .
(٤) الكافي: ج١ ص٣٢٠.
(٥) سورة مريم: ١٢.
(٦) سورة الأحقاف: ١٥.
(٧) بصائر الدرجات: ص٢٣٨.

٢. يزوجه ابنته، وبذلك يغطّي جريمته النّكراء بقتل الإمام الرضا عليه السلام ويُبيّن للناس أنّه نال فخر الانتساب لهذا البيت الطاهر، ومن خلال ابنته تصله أخبار الإمام كاملة.

٣. يظهر تقربه للإمام الجواد عليه السلام كما تقرّب لأبيه من قبل، أنّه لا يكن للإمام عليه السلام إلاّ الودّ والاحترام على عكس ما يتصوّره الناس.

٤. يمتص غضب العلويين ويضع حدًّا لثوراتهم السّاخطة ضدّ الظلم والطغيان.

فأجبر الإمام الجواد عليه السلام على المجيء إلى بغداد ومجاورة المأمون. ففي الخبر عن الحسين المكاري، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام ببغداد وهو على ما كان من أمره، فقلت في نفسي: هذا الرجل لا يرجع إلى موطنه أبداً وأنا أعرف مطعمه.

قال: فأطرق رأسه، ثم رفعه وقد اصفر لونه. فقال: «يا حسين، خبز الشعير وملح جريش في حرم جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أحب إليَّ ممّا تراني فيه»[1].

الزّواج من ابنة المأمون

بعد أيّام من مجيء الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد، دعاه المأمون إلى القصر وعرض عليه الزّواج بابنته أمّ الفضل، فسكت الإمام عليه السلام ..

ثم شاع الخبر بين العبّاسيين وشاعت الضجّة بينهم، فخاطبوا المأمون بلسان الغضب، وهم لا يعلمون ما يضمره المأمون من خبث النّيّة، فقالوا:

ننشدك الله يا أمير أن تقيم على هذا الأمر الذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا، فإنّا نخاف أن تخرج به عنّا أمراً قد ملّكناه الله، وتنزع منّا عزاً قد ألبسناه الله، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنّا في وهلة من عملك مع الرضا حتى كفانا الله المهم من ذلك، فالله الله أن تردنا إلى غم قد انحسر عنا، واصرف رأيك عن ابن الرضا، وأعد له إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره... إن هذا الصبي وإن راقك منه هديه؛ فإنّه صبي لا معرفة له ولا فقه، فأمهل ليتأدب ويتفقّه في الدّين، ثم اصنع ما بدا لك بعد ذلك.

فقال لهم: ويحكم! إنّي أعرف بهذا الفتى منكم، وأنّ أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى ومواده وإلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدّين والأدب عن الرّعايا الناقصة عن حدّ الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يبين لكن به ما وصفت لكم عن حاله.

فقالوا له: قد رضينا لك يا أمير ولأنفسنا بامتحانه، فخل بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء

(١) مدينة المعاجز: ج٧ ص٣٧٦.

من فقه الشريعة؛ فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن اعتراض في أمره، وظهر للخاصة والعامة سديد رأي الأمير فيه. وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه.

فقال لهم المأمون: شأنكم وذلك متى أردتم. فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم ـ وهو يومئذ قاضي الزّمان ـ على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك، وعادوا إلى المأمون فسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع فأجابهم إلى ذلك..

وبالفعل فقد عقد مجلس المناظرة وقال يحيى بن أكثم للمأمون: تأذن لي يا أمير أن أسأل أبا جعفر؟.

فقال له المأمون: استأذنه في ذلك. فأقبل إليه يحيى بن أكثم، فقال: أتأذن لي ـ جعلت فداك ـ في مسألة؟.

قال له أبو جعفر عليه السلام: «سل ما شئت».

قال يحيى: ما تقول ـ جعلت فداك ـ في محرم قتل صيداً؟.

فقال أبو جعفر عليه السلام: «قتله في حلّ أو في حرم، عالماً كان المحرم أو جاهلاً، عمداً كان أو خطأً، حراً كان أو عبداً، صغيراً كان أم كبيراً، مبتدياً أم معيداً، من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها، من صغار الصيد أم من كبارها، مصراً على ما فعل أو نادماً، أبالليل كان قتل صيده أم نهاراً، محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟.

فتحيّر يحيى بن أكثم، وبان في وجهه العجز والانقطاع وتلجلج، حتى عرف جماعة من أهل المجلس أمره. فقال المأمون: الحمد لله على هذه النّعمة والتوفيق لي في الرّأي، ثم نظر إلى أهل بيته وقال لهم: أعرفتم الآن إلى ما كنتم تنكرونه، ثم أقبل على أبي جعفر عليه السلام [1].

معارف خالدة

أهل البيت عليهم السلام كانوا يستفيدون من الفرص المتاحة لترويج العلوم ونشر المعارف التي تنفع الناس في دنياهم وآخرتهم، وهكذا كان الإمام الجواد عليه السلام:

يقول زرقان صاحب ابن أبي داود أنّه رجع ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم، فقلت له في ذلك. فقال: وددت اليوم أنّي قد متّ منذ عشرين سنة. قال: قلت له: ولِمَ ذاك؟!.

قال: لما كان من هذا الأسود أبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليه السلام اليوم بين يدي الأمير. قال: قلت له: وكيف كان ذلك؟!.

قال:إنّ سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه.

فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمد بن علي، فسألنا عن القطع في أيّ موضع يجب أن يقطع؟.

قال: فقلت: من الكرسوع[2]. قال: وما الحجة في ذلك؟.

---

(١) الإرشاد: ج٢ ص٢٨١-٢٨٤.

(٢) الكرسوع: طرف الزند الذي يلي الخنصر النائي عند الرسخ.

قال: قلت: لأنّ اليد هي الأصابع والكف إلى الكرسوع؛ لقول الله في التيمّم: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾[1] واتفق معي على ذلك قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق. قال: وما الدليل على ذلك؟.

قال: لأنّ الله لما قال: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾[2] في الغسل، دل ذلك على أن حد اليد هو المرفق.

قال: فالتفت إلى محمد بن علي عليه السلام فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟.

فقال: قد تكلم القوم فيه يا أمير.

قال: دعني ممّا تكلّموا به، أي شيء عندك؟.

قال: أعفني عن هذا يا أمير.

قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه.

فقال: «أما إذا أقسمت عليَّ بالله إنّي أقول: إنّهم أخطئوا السّنّة، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكف».

قال: وما الحجة في ذلك؟.

قال: «قول رسول الله صلى الله عليه وآله: السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبقَ له يد يسجد عليها. وقال الله تبارك وتعالى: [وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلّهِ][3] يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ وما كان لله فلا يقطع.

قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف[4].

وقفة مع وضّاعي الحديث

أهل البيت عليهم السلام كانوا يؤكّدون تدوين الأحاديث وضبطها والاهتمام بها وإخراج الموضوعات منها، لذا كان الأصحاب يعرضون كتبهم عليهم.

كما عرض يونس بن عبد الرحمن على الإمام الرّضا عليه السلام كتب جماعة من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام، فأنكر الإمام منها أحاديث عديدة أن تكون من أحاديث أبي عبد الله عليه السلام، وقال صلوات الله عليه: «إنَّ أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله عليه السلام لعن الله أبا الخطاب، وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسّون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله عليه السلام»[5].

---

(١) سورة النساء: ٤٣، سورة المائدة:٦.

(٢) سورة المائدة:٦.

(٣) سورة الجن:١٨.

(٤) وسائل الشيعة: ج٢٨ ص٢٥٢-٢٥٣.

(٥) اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٤٨٩-٤٩٠.

وعن هشام بن الحكم، أنّه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان المغيرة بن سعيد (لعنه الله) يتعمّد الكذب على أبي، ويأخذ كتب أصحابه وكان أصحابه المسترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة لعنه الله، فكان يدسّ فيها الكفر والزندقة ويسندها إلى أبي عليه السلام»[1].

وفي عهد الإمام الجواد عليه السلام ومن خلال مناظراته العلمية مع قاضي القضاة آنذاك يحيى بن أكثم وغيره، ردّ الإمام عليه السلام تلك الأحاديث الموضوعة، وبيّن الحقائق للناس.

أولاده عليه السلام

كان للإمام الجواد عليه السلام ولدان من الذكور وهما:

١. الإمام علي الهادي عليه السلام، وسيأتي ذكره.

٢. وموسى المعروف بالمبرقع المكنّى بأبي أحمد، وهو جد السّادة الرضويين وأكثرهم يقطنون مدينة قم المقدسة.

وكان موسى يضع برقعاً على وجهه لهيبته وجماله لذا لُقّب بالمبرقع، وكان الناس كافة يطيلون النظر إليه. سكن قم فترة من الزّمن، ثم انتقل إلى كاشان، ثم عاد إلى قم إلى أن توفّي في آخر شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٦هـ، فصلّى عليه أمير قم العباس بن عمرو الغنوي، ودفن في المقام المعروف باسمه اليوم بقم.

* أمّا بنات الإمام الجواد عليه السلام فهن:

١. حكيمة.

٢. وخديجة.

٣. وأمّ كلثوم.

وكانت خديجة جليلة القدر. ففي الخبر عن أحمد بن إبراهيم، قال: دخلت على إبراهيم بن خديجة بنت محمد بن علي الرضا عليه السلام في سنة اثنتين وستين ومائتين بالمدينة، فكلمتها من وراء حجاب وسألتها عن أئمّتها. فسمّت من أئتم بهم.

ثم قالت: فلان ابن الحسن بن علي. فقلت لها:جعلت فداكِ، تقولين معاينة أو خبراً؟.

قالت: عن أبي محمد عليه السلام كتب به إلى أمّه.

فقلت لها: وأين الولد؟.

قالت: مستور.

قلت: إلى من تفزع الشيعة؟.

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٤٩١.

قالت: إلى الجدة أم الحسن عليه السلام .

قلت: فمن اقتدى في وصيته إلى امرأة؟.

فقالت: اقتدى بجده الحسين بن علي عليه السلام أوصى لأخته زينب ابنة علي عليها السلام في الظاهر، فكل ما يخرج من علي بن الحسين عليه السلام من علم ينسب إلى عمته زينب عليها السلام ستراً على علي بن الحسين عليه السلام .

ثم قالت: إنَّكم قوم أصحاب أخبار، ما رويتم عن سابع سبعة ولد من الحسين بعد الخمسة من ولد أمير المؤمنين يقسم ميراثه وهو حي، فلمّا نشأ صاحب الزمان عليه السلام نشأ منشأ آبائه عليهم السلام، وقام بأمر الله عزوجل سراً إلا عن ثقاته وثقات آبائه[1].

* أمّا السّيّدة حكيمة فهي التي حضرت ولادة إمام الزّمان عليه السلام، وكانت من الصالحات العابدات إذ تمتاز بكثرة الفضائل، منها أنّ الإمام العسكري عليه السلام أودع إليها السيدة نرجس عليها السلام كي تعلّمها معالم الدّين.

وهي التي تروي حرز الإمام الجواد عليه السلام، وكان الإمام عليه السلام يدعو لها وينديها بقوله: «يا بنت رسول الله». وقد توفّيت في سامراء ودفنت إلى جوار العسكريين عليهما السلام، وقبرها في الضريح المبارك نفسه في الروضة العسكرية الطاهرة.

(١) راجع الهداية الكبرى: ص٣٦٦-٣٦٧ ب١٤.



شذرات من حياة الإمام الرضا عليه السلام

الشيخ حيدر حسن

على غرار بقية الأئمّة الأطهار عليهم السلام الذين ملؤوا العالم بفضائلهم ومناقبهم كان الإمام الرّضا عليه السلام، فهو من نفس البيت النّبوي، ومن ذات السّلالة الطّاهرة التي أذهب الله عنها الرّجس وطهّرها تطهيراً.

١. علمه عليه السلام:

شهد عهد الإمام الرضا عليه السلام حركة علمية كبيرة؛ وذلك للحرية البسيطة التي أتيحت آنذاك للعلم والعلماء.

وكان المأمون ـ وهو عالم العباسيين ـ يتظاهر بمحبّة العلم والعلماء، وكان يكثر السّؤال من الإمام عليه السلام امتحاناً منه له؛ علّه يحرجه أو يغلطه في مسألة ما دون أن يصل إلى مرامه.

يقول إبراهيم بن العباس الصولي: (ما رأيت الرضا عليه السلام سُئل عن شيء إلاّ علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى عصره. وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب عنه، وكان جوابه كله وتمثله انتزاعات من القرآن المجيد)[1].

وعن أبي الصلت الهروي، قال: (ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا عليه السلام، ولا رآه عالم إلاّ شهد له بمثل شهادتي. ولقد جمع المأمون في مجلس له عدداً من علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلمين، فغلبهم عليه السلام عن آخرهم حتى ما بقي منهم أحد إلاّ أقرّ له بالفضل، وأقرّ على نفسه بالقصور. ولقد سمعته عليه السلام يقول: كنت أجلس في الرّوضة والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا عيي الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليَّ بأجمعهم، وبعثوا إليَّ المسائل فأجيب عنها)[2].

وعن محمد بن عيسى اليقطيني: (جمعت من مسائل أبي الحسن الرضا عليه السلام ممّا سئل عنه وأجاب فيه ثمانية عشر ألف مسألة أو خمسة عشر ألف مسألة)[3].

وحيث إنّ عهد الإمام عليه السلام كان مليئاً بالصّراعات الفكرية والخلافات العقائدية، استدعى الوضع من الإمام عليه السلام أن يظهر علومه، ويتصدّى لبيان الصّواب من الخطأ في مجالات شتّى منها:

---

(١) أعيان الشيعة: ج١ ص١٠١.

(٢) كشف الغمة: ج٢ ص٣١٦-٣١٧.

(٣) أعيان الشيعة: ج١ ص١٠١.

*** العقائد:**

المعصوم عليه السلام هو الذي يحفظ عقائد النّاس ويدفع الشّبهات عنهم.

يقول الهروي: (لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والدّيانات من اليهود والنّصارى والمجوس والصّابئين وسائر أهل المقالات، فلم يقم أحد إلاّ وقد ألزمه حجته كأنّه ألقم حجراً. قام إليه علي بن محمد بن الجهم فقال له: يا ابن رسول الله، أ تقول بعصمة الأنبياء؟.

قال: «نعم».

قال: فما تعمل في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى**﴾[1] إلى آخر ما قال.

فأجابه عليه السلام عن جميع ذلك حتّى بكى علي بن محمد ابن الجهم وقال: يا ابن رسول الله، أنا تائب إلى الله عزّ وجلّ من أن أنطق في أنبياء الله عليهم السلام بعد يومي هذا إلا بما ذكرته)[2].

وسأله الفضل بن سهل في مجلس المأمون فقال: يا أبا الحسن، الخلق مجبرون؟.

فقال عليه السلام: «الله أعدل من أن يجبر ثم يعذّب».

قال: فمطلقون؟.

قال عليه السلام: «الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه»[3].

*** التفسير:**

الإمام الرضا عليه السلام وآباؤه الطاهرون عليهم السلام هم الذين نزل في بيوتهم القرآن، وهم العلماء بتفسيره وتأويله وبطونه وعلومه. وأخذ عليه السلام يُبيّن التفسير الصحيح للقرآن البعيد عن المغالطات والشّبهات.

عن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾[4]؟.

فقال: «إنّ الله تعالى لا يوصف بمكان يحلّ فيه فيحجب عنه فيه عباده، ولكنه يعني أنّهم عن ثواب ربهم محجوبون».

قال: وسألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾[5]؟.

فقال: «إنّ الله تعالى لا يوصف بالمجيء والذهاب تعالى عن الانتقال، إنّما يعني بذلك وجاء أمر

---

(١) سورة طه: ١٢١.

(٢) أمالي الصدوق: ص٩٠-٩٣.

(٣) ج٤٩ ص١٧٢.

(٤) سورة المصطفين: ١٥.

(٥) سورة الفجر: ٢٢.

ربك والملك صفاً صفاً».

قال: وسألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ وَالمَلَائِكَةُ﴾[1]؟.

قال: «يقول: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام وهكذا نزلت».

أقول: أي هكذا أريد من نزولها.

قال: وسألته عن قوله تعالى: ﴿سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ﴾[2]؟، وعن قوله: ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[3]؟، وعن قوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ﴾[4]؟، وعن قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[5]؟.

فقال: «إنّ الله لا يسخر ولا يستهزئ ولا يمكر ولا يخادع، ولكنه تعالى يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر الخديعة، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً»[6].

*** الإمامة:**

في عهد الإمام الرضا عليه السلام كثر الحديث حول الإمامة، ونال هذا الموضوع أهمّيّة خاصّة لدى المسلمين، فبيّن الإمام عليه السلام المعارف الحقّة ما جعل الجميع يقر بأحقية أهل البيت عليهم السلام بالإمامة.

عن عبد العزيز بن مسلم، قال: (كنا مع الرضا عليه السلام بمرو، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا، فأداروا أمر الإمامة وذكروا اختلاف الناس فيها. فدخلت على سيدي ـ يعني الرضا عليه السلام ـ فأعلمته خوض الناس فيه. فتبسّم ثم قال: «يا عبد العزيز، جهل القوم وخدعوا عن آرائهم. إنّ الله عزّ وجلّ لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء. بيّن فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كملاً. فقال الله عزّ وجلّ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[7]، وأنزل في حجّة الوداع ـ وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله ـ ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾[8]. وأمر الإمامة من تمام الدّين، ولم يمض صلى الله عليه وآله حتى بيّن لأمّته معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم على قصد سبيل الحق، وأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمّة إلاّ بيّنه. فمن زعم أنَّ الله عزّ وجلّ لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر. هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأمّة

---

(١) سورة البقرة: ٢١٠.

(٢) سورة التوبة: ٧٩.

(٣) سورة البقرة: ١٥.

(٤) سورة آل عمران: ٥٤.

(٥) سورة النساء: ١٤٢.

(٦) معاني الأخبار: ص١٣.

(٧) سورة الأنعام: ٣٨.

(٨) سورة المائدة: ٣.

فيجوز فيها اختيارهم!. إنّ الإمامة أجلّ قدرًا، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً، من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم. إنّ الإمامة خص الله عزّ وجلّ بها إبراهيم الخليل بعد النّبوّة، والخلة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه بها، وأشار بها ذكره، فقال: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**﴾ فـ [قَالَ] الخليل عليه السلام سروراً بها: ﴿**وَمِنْ ذُرِّيَّتِي**﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[1]، فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصّفوة. ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذرّيّة أهل الصّفوة والطهارة، فقال: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**﴾[2]. فلم تزل في ذرّيّته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً، حتى ورثها الله عزّ وجلّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال جلّ وتعالى: ﴿**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[3]. فكانت له خاصّة، فقلّدها صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام بأمر الله عزّ وجلّ على رسم ما فرض الله، فصارت في ذرّيّته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله جلّ وعلا وقال: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ**﴾[4]، فهي في ولد علي عليه السلام خاصّة إلى يوم القيامة؛ إذ لا نبي بعد محمد »[5].

٢. تواضعه عليه السلام:

بلغ من تواضع الإمام عليه السلام أنّه كان يجالس الخدم ويآكلهم، ويأنس بهم ويؤنسهم. فعن عبد الله بن الصلت، عن رجل من أهل بلخ، قال: كنت مع الرضا عليه السلام في سفره إلى خراسان، فدعا يوماً بمائدة له فجمع عليها مواليه من السّودان وغيرهم. فقلت: جعلت فداك، لو عزلت لهؤلاء مائدة. فقال عليه السلام: «مه، إنّ الرّبّ تبارك وتعالى واحد، والأم واحدة، والأب واحد، والجزاء بالأعمال»[6].

وكان في نيسابور على باب دار الإمام عليه السلام حمّام، فدخل عليه السلام الحمّام يوماً، وتقدم إنسان رستاقي إلى الحمّام ورأى علي بن موسى الرضا عليه السلام، فظنّ أنّه بعض خدام الحمّام. فقال له: قم فاحمل إليَّ الماء. فقام علي بن موسى عليه السلام وامتثل جميع ما كان يأمره[7].

---

(١) سورة البقرة: ١٢٤.

(٢) سورة الأنبياء: ٧٢-٧٣.

(٣) سورة آل عمران: ٦٨.

(٤) سورة الروم: ٥٦.

(٥) الكافي: ج١ ص١٩٨ ـ ٢٠٠.

(٦) الكافي: ج٨ ص٢٣٠.

(٧) راجع شرح إحقاق الحق: ج١٢ ص٣٥٤.

ودخل الإمام الرضا ﷺ يوماً حمّاماً. فبينما هو في مكان من الحمّام، إذ دخل عليه جندي فأزاله عن موضعه وقال: صبّ على رأسي. فصبّ على رأسه، فدخل من عرفه فصاح: يا جندي هلكت وأهلكت[1]، أ تستخدم ابن بنت رسول الله ﷺ!.

فأقبل الجندي يقبّل رجليه ويقول: هلا عصيتني إذ أمرتك.

فقال: «إنّها لمثوبة، وما أردت أن أعصيك فيما أثاب عليه»[2].

وحتّى في اليوم الذي استشهد الإمام ﷺ فيه لم يتخل عن مآكلة الخدم وتفقدهم. فعن ياسر الخادم، قال: لما كان بيننا وبين طوس سبعة منازل اعتل أبو الحسن ﷺ، فدخلنا طوس وقد اشتدّت به العلّة، فبقينا بطوس أيّامًا، فكان المأمون يأتيه في كلّ يوم مرتين.

فلمّا كان في آخر يومه الذي قُبض فيه كان ﷺ ضعيفًا في ذاك اليوم. فقال لي بعدما صلى الظهر: «يا ياسر، ما أكل النّاس شيئًا».

فقلت: يا سيّدي، من يأكل هاهنا مع ما أنت فيه.

فانتصب ﷺ ثم قال: «هاتوا المائدة». ولم يدع من حشمه أحداً إلا أقعده معه على المائدة يتفقّد واحداً واحداً، فلما أكلوا قال: «ابعثوا إلى النساء بالطّعام». فحمل الطّعام إلى النساء، فلمّا فرغوا من الأكل أغمي عليه وضعف فوقعت الصّيحة[3].

٣. حلمه ﷺ:

يكفي في حلم الإمام الرضا ﷺ أنّه تشفّع إلى المأمون في عيسى الجلودي، الذي تسبّب في سلب العلويّات ولم يبقَ لهنَّ سوى ثوباً واحداً. ففي التأريخ أنّ الجلودي عارض تنصيب الإمام ﷺ كولي للعهد فحبسه المأمون، ثم استدعاه من السّجن بعدما قتل اثنين قبله. فقال الإمام الرضا ﷺ: «هب لي هذا الشيخ». فظن الجلودي أنّه ﷺ يريد الانتقام، فأقسم على المأمون أن لا يقبل قوله فيه.

فقال المأمون: والله لا أقبل قوله فيك، وأمر بقطع عنقه[4].

---

(١) أي أهلكتنا.

(٢) الوافي بالوفيات: ج٢٢ ص١٥٦-١٥٧.

(٣) عيون أخبار الرضا ﷺ: ج٢ ص٢٤١.

(٤) عيون أخبار الرضا ﷺ: ج٢ ص١٦١-١٦٢.

٤. **سخاؤه** عليه السلام:

قال إبراهيم بن العباس ـ في وصف الإمام الرضا عليه السلام ـ: (وكان عليه السلام كثير المعروف والصّدّقة في السرّ، وأكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة، فمن زعم أنّه رأى مثله في فضله فلا تصدّقه)[1].

ويقول اليسع بن حمزة: (كنت في مجلس أبي الحسن الرضا عليه السلام أحدثه، وقد اجتمع إليه خلق كثير يسألونه عن الحلال والحرام، إذ دخل عليه رجل طوال آدم[2] فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، رجل من محبّيك ومحبّي آبائك وأجدادك عليهم السلام، مصدري من الحج وقد افتقدت نفقتي، وما معي ما أبلغ مرحلة، فإن رأيت أن تنهضني إلى بلدي ولله عليَّ نعمة، فإذا بلغت بلدي تصدّقت بالذي توليني عنك، فلست موضع صدقة.

فقال عليه السلام له: «اجلس رحمك الله». وأقبل على الناس يحدّثهم حتى تفرّقوا وبقي هو وسليمان الجعفري وخيثمة وأنا، فقال: «أتأذنون لي في الدخول؟».

فقال له سليمان: قدم الله أمرك. فقام عليه السلام فدخل الحجرة وبقي ساعة، ثم خرج وردّ الباب وأخرج يده من أعلى الباب وقال: «أين الخراساني؟».

فقال: ها أنا ذا. فقال: «خذ هذه المائتي دينار، واستعن بها في مؤونتك ونفقتك وتبرك بها، ولا تصدق بها عنّي، واخرج فلا أراك ولا تراني». ثم خرج، فقال له سليمان: جُعلت فداك، لقد أجزلت ورحمت، فلماذا سترت وجهك عنه؟!.

فقال: «مخافة أن أرى ذلّ السّؤال في وجهه لقضائي حاجته، أما سمعت حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: المستتر بالحسنة يعدل سبعين حجة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بها مغفور له. أما سمعت قول الأُوَل[3]):

متى آته يوماً لأطلب حاجة ... رجعت إلى أهلي ووجهي بمائه[4]».

وقفة مع الواقفة

بعد شهادة الإمام موسى الكاظم عليه السلام انقلب ثلاثة من وكلائه المعروفين على أعقابهم وهم: علي بن أبي حمزة البطائني، وزياد بن مروان القندي، وعثمان بن عيسى الرواسي. فطمعوا في الدنيا، ومالوا إلى حطامها، وقالوا بعدم شهادة الإمام الكاظم عليه السلام، وأنّه باقٍ على قيد الحياة، وهو الإمام القائم الذي سيظهر ويملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً.

---

(١) وسائل الشيعة: ج١ ص٩٠.

(٢) الأدم: الأسمر.

(٣) المراد بهم القدماء الذين تقدم عهدهم.

(٤) الكافي: ج٤ ص٢٣-٢٤.

وكانت لديهم أموال طائلة، فخشوا أن يفقدوها لو قالوا بإمامة الإمام الرضا ﷺ، لذا ابتدعوا قضية الوقف، وإلى ذلك يشير يونس بن عبد الرحمن قائلاً: مات أبو إبراهيم ﷺ وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير، وكان ذلك سبب وقفهم وجحدهم موته طمعًا في الأموال. كان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار.

فلمّا رأيت ذلك وتبينت الحق، وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا ﷺ ما علمت، تكلّمت ودعوت الناس إليه. فبعثًا إليَّ وقالا: ما يدعوك إلى هذا!.

إن كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمنا لي عشرة آلاف دينار، وقالا لي: كف. فأبيت وقلت لهما: إنّا روينا عن الصادقين ﷺ أنَّهم قالوا: «إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب نور الإيمان». وما كنت لأدع الجهاد وأمر الله على كلّ حال، فناصباني وأضمرا لي العداوة[1].

وقد طالبهم الإمام الرضا ﷺ أن يسلّموه ما لديهم، ولكن اثنان منهم ادعيا أنَّه لم يبقَ عندهما شيء من المال، بينما أنكر الأخير وفاة الإمام الكاظم ﷺ، وادعى أنّه الإمام القائم وسيظهر في يوم مّا.

عن يعقوب بن يزيد الأنباري، عن بعض أصحابه، قال: مضى أبو إبراهيم ﷺ وعند زياد القندي سبعون ألف دينار، وعند عثمان بن عيسى الرّواسي ثلاثون ألف دينار وخمس جوار، ومسكنه بمصر.

فبعث إليهم أبو الحسن الرضا ﷺ: «أن احملوا ما قبلكم من المال، وما كان اجتمع لأبي عندكم من أثاث وجوار، فإنّي وارثه وقائم مقامه، وقد اقتسمنا ميراثه، ولا عذر لكم في حبس ما قد اجتمع لي ولوارثه قبلكم»، وكلام يشبه هذا.

فأمّا ابن أبي حمزة فإنّه أنكره ولم يعترف بما عنده وكذلك زياد القندي، وأمّا عثمان بن عيسى فإنَّه كتب إليه: إنَّ أباك (صلوات الله عليه) لم يمت وهو حيّ قائم، ومن ذكر أنّه مات فهو مبطل، وأعمل على أنّه قد مضى كما تقول فلم يأمرني بدفع شيء إليك، وأمّا الجواري فقد أعتقهن وتزوّجت بهنّ[2].

وكان موقف الإمام الرّضا ﷺ من الواقفية واضحًا، حيث ناشد زعماءهم بالرّجوع إلى الحق، وإرجاع كلّ ما عندهم من الأموال وغيرها.

كما شدّد ﷺ في بيان انحراف هذه الفرقة ورؤسائها، فعن يونس بن عبد الرحمن، قال: دخلت على الرضا ﷺ. فقال لي: «مات علي بن أبي حمزة؟».

قلت: نعم.

قال: «قد دخل النّار».

قال: ففزعت من ذلك.

---

(١) علل الشرائع: ج١ ص٢٣٥-٢٣٦.

(٢) الغيبة: ص٦٥ الكلام على الواقفة.

قال: «أما أنّه سُئل عن الإمام بعد موسى أبي. فقال: لا أعرف إماماً بعده. فقيل: لا، فضُرب في قبره ضربة اشتعل قبره ناراً»[1].

وعن أحمد بن محمد، قال: وقف علي أبو الحسن عليه السلام في بني زريق. فقال لي ـ وهو رافع صوته ـ: «يا أحمد». قلت: لبّيك. قال: «إنّه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جهد الناس في إطفاء نور الله، فأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره بأمير المؤمنين عليه السلام.

فلمّا توفّي أبو الحسن عليه السلام جهد علي بن أبي حمزة في إطفاء نور الله، فأبى الله إلّا أن يتمّ نوره، وإنّ أهل الحق إذا دخل فيهم داخل سروا به، وإذا خرج منهم خارج لم يجزعوا عليه، وذلك إنّهم على يقين من أمرهم. وإنّ أهل الباطل إذا دخل فيهم داخل سروا به، وإذا خرج منهم خارج جزعوا عليه، وذلك أنّهم على شكّ من أمرهم. إنّ الله جل جلاله يقول: ﴿**فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ**﴾[2]»[3].

وعن محمد بن سنان، قال: ذُكر علي بن أبي حمزة عند الرضا عليه السلام فلعنه، ثم قال: «إنّ علي بن أبي حمزة أراد أن لا يُعبد الله في سمائه وأرضه، فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون، ولو كره اللعين المشرك».

قلت: المشرك!.

قال: «نعم والله وإن رغم أنفه، كذلك هو في كتاب الله: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾[4]، وقد جرت فيه وفي أمثاله أنّه أراد أن يُطفئ نور الله»[5].

وعن محمد بن عاصم، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «يا محمد بن عاصم، بلغني أنّك تجالس الواقفة؟».

قلت: نعم ـ جعلت فداك ـ أجالسهم وأنا مخالف لهم.

قال: «لا تجالسهم! فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ**﴾[6]»[7].

وكان عليه السلام يلعنهم في مجالسه كلّما سأله عنهم سائل. يقول سليمان بن الجعفري: كنت عند أبي الحسن عليه السلام بالمدينة، إذ دخل عليه رجل من أهل المدينة فسأله عن الواقفة. فقال أبو الحسن عليه السلام: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا * سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٧٤٢.

(٢) سورة الأنعام: ٩٨.

(٣) اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٧٤٣.

(٤) سورة التوبة: ٣٢.

(٥) الغيبة: ص٧٠ .

(٦) سورة النساء: ١٤٠.

(٧) اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٧٥٧-٧٥٨.

تَبْدِيلًا﴾ [1]، والله إنَّ الله لا يبدلها حتى يقتلوا عن آخرهم»[2].

ومن المواقف التي عرّض فيها الإمام الرضا عليه السلام بالواقفة حديثه المشهور لما دخل نيشابور، وكان على بغلة شهباء في قبّة مستورة. فاعترضه رواة الحديث وهم يقربون على العشرين ألف، بين صارخٍ وباكٍ، ومتمرّغ بالتراب، ومقبّل لحافر بغلته، كلّ منهم يقول: بحقِّ آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلاّ ما أريتنا وجهك الميمون المبارك، ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدّك محمد صلى الله عليه وآله نذكرك به. فقال عليه السلام: «سمعت أبي موسى بن جعفر عليه السلام، يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد عليه السلام، يقول: سمعت أبي محمد بن علي عليه السلام، يقول: سمعت أبي علي بن الحسين عليه السلام، يقول: سمعت أبي الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول: سمعت جبرئيل عليه السلام، يقول: سمعت الله عزّ وجلّ، يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي». قال: فلمّا مرت الراحلة نادانا: «بشروطها، وأنا من شروطها»[3].

الهجرة إلى خراسان

كانت سياسة الحكّام العباسيّين إزاء العلويين هو القمع والبطش والنّيل منهم، والتّضييق عليهم بشتى الوسائل؛ كي لا يطالبون بحقوقهم خاصّة السلطة. وكان الأمر يتّضح شيئاً فشيئاً للناس، ويعلمون بأنَّ الخلافة حقّ لأهل البيت عليهم السلام دون غيرهم، وكانت الثورات تتبع بعضها بعضاً من قبل الطّالبيين وغيرهم.

أمّا في عصر المأمون الذي اشتهر بالدّهاء، فقد عمد إلى سياسة أخرى وهي سياسة امتصاص الغضب، وتكبيل العلويين من خلال استدعاء الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان، وإقحامه في السلطة بشكلٍ صوري ممّا يوقع العلويّين في الحرج.

وبالفعل فقد كتب المأمون إلى الإمام الرضا عليه السلام يستقدمه إلى خراسان، فاعتل عليه أبو الحسن عليه السلام بعلل. فلم يزل المأمون يكاتبه في ذلك حتى علم أنّه لا محيص له، وأنه لا يكف عنه، فخرج عليه السلام ولأبي جعفر الجواد عليه السلام سبع سنين. فكتب إليه المأمون: لا تأخذ على طريق الجبل وقم، وخذ على طريق البصرة والأهواز وفارس[4].

وقال الطبري: وجّه المأمون في سنة ٢٠٠ للهجرة إلى المدينة رجاء بن أبي الضّحّاك عم الفضل بن سهل، وفرناس الخادم لإشخاص علي بن موسى الرضا[5].

---

(١) سورة الأحزاب: ٦١-٦٢.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٧٥٨.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص١٣٥.

(٤) الكافي: ج١ ص٤٨٨-٤٨٩.

(٥) تاريخ الطبري: ج٧ ص١٣٢.

وعن محول السجستاني، قال: لما ورد البريد بإشخاص الرّضا عليه السلام إلى خراسان كنت أنا بالمدينة. فدخل المسجد ليودِّع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فودّعه مراراً كلّ ذلك يرجع إلى القبر ويعلو صوته بالبكاء والنّحيب، فتقدّمت إليه وسلمت عليه، فردّ السلام وهنّأته. فقال: «ذرني فإنّي أخرج من جوار جدّي صلى الله عليه وآله وسلم وأموت في غربة، وأدفن في جنب هارون». قال: فخرجت متّبعًا لطريقه حتّى مات بطوس، ودفن إلى جنب هارون[1].

وعن الحسن بن علي الوشا، قال: قال لي الرّضا عليه السلام: «إنّي حيث أرادوا الخروج بي من المدينة، جمعت عيالي فأمرتهم أن يبكوا عليّ حتى أسمع، ثم فرقت فيهم اثني عشر ألف دينار، ثم قلت: أمّا إنّي لا أرجع إلى عيالي أبداً»[2].

وقد مرّ الإمام الرضا عليه السلام في مسيره إلى خراسان على المناطق التّالية:

١. مكّة المكرّمة.

٢. القادسية.

٣. النباج، وهي منطقة بين مكّة والبصرة.

٤. البصرة.

٥. الأهواز.

٦. قنطرة اربق، وهي قرية برامهرمز.

٧. المفازة، وهي الفلاة التي لا ماء فيها.

٨. نيسابور، وقد روى الشّيخ الصّدوق رحمه الله: إنّ الإمام الرضا عليه السلام لمّا دخل نيسابور نزل في محلّة يقال لها: (الفروييني) فيها حمّام - وهو الحمّام المعروف اليوم بحمّام الرضا عليه السلام - وكانت هناك عين قد قلّ ماؤها، فأقام عليها من أخرج ماؤها حتى توفّر وكثر، وأتخذ من خارج الدرب حوضاً ينزل إليه بالمراقي[3] إلى هذه العين. فدخله الرّضا عليه السلام واغتسل فيه، ثم خرج منه وصلّى على ظهره، والناس يتناوبون ذلك الحوض ويغتسلون فيه ويشربون منه التماساً للبركة، ويصلون على ظهره، ويدعون الله عزّ وجلّ في حوائجهم فتقضى لهم، وهي العين المعروفة بعين كهلان يقصدها الناس إلى يومنا هذا[4].

وعن الحاكم أبو عبد الله الحافظ، قال: لمّا دخل الرّضا عليه السلام نيسابور ونزل محلّة فوز - ناحية يعرفها الناس بالاسناد - في دار تعرف بدار بسنديده؛ وإنّما سمّيت بسنديده لأنَّ الرّضا عليه السلام ارتضاه من بين الناس. فلمّا نزلها زرع في جانب من جوانب الدّار لوزة، فنبتت وصارت شجرة فأثمرت في كلّ سنة، وكان أصحاب العلل يستشفون بلوز هذه الشّجرة، وعوفي أعمى وصاحب قولنج وغير

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٢١٧.

(٢) المصدر نفسه: ج٢ ص٢١٧-٢١٨.

(٣) المراقي: جمع مرقاة وهي الدرجة.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص١٣٥-١٣٦.

ذلك. فمضت الأيام على ذلك ويبست، فجاء حمدان وقطع أغصانها، ثم جاء ابن لحمدان يقال له: أبو عمرو، فقطع تلك الشجرة من وجه الأرض فذهب ماله كلّه. وكان له ابنان يقال لأحدهما: أبو القاسم والآخر أبو صادق، فأرادا عمارة تلك الدّار وأنفقا عليها عشرين ألف درهم، فقلعا الباقي من أصل تلك الشجرة، فماتا في مدة سنة(١).

وعن ابن شهر آشوب: ولما نزل الرضا عليه السلام في نيسابور بمحلة فوزا أمر ببناء حمام، وحفر قناة وصنعة حوض فوقه مصلى، فاغتسل من الحوض وصلى في المسجد، فصار ذلك سنة، فيقال: كرمابه رضا، وآب رضا، وحوض كاهلان.

والسّبب في تسميته: أنّ رجلاً وضع هميانا على طاقه واغتسل منه، وقصد إلى مكة ناسياً. فلمّا انصرف من الحج أتى الحوض فرآه للغسل مشدوداً، فسأل الناس عن ذلك فقالوا: قد آوى فيه ثعبان ونام على طاقه. ففتحه الرّجل ودخل في الحوض وأخرج هميانه، وهو يقول: هذا من معجز الإمام، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: أي كاهلان، لئلا يأخذوها، فسمّي الحوض بذلك كاهلان، وسُمّيت المحلة (فوز)؛ لأنّه فتح أولاً فصحفوها وقالوا: فوزاً.

وروي أنّه عليه السلام أتته ظبية فلاذت فيه، قال ابن حماد:

الذي لاذ به الظبية ... والقوم جلوس

من أبوه المرتضى ... يزكو ويعلو ويروس(٢)

٩. قرية الحمراء ويقال لها اليوم: ده سرخ. وقد صلى الإمام عليه السلام فيها الظهر، وظهرت منه فيها كرامة حيث حرك بيده الأرض فنبع منها ماء توضأ به هو ومن معه، وأثره باق إلى اليوم.

١٠. رباط سعد.

١١. سناباذ، وهي قرية بطوس. وغيرها.

وعلى كل فقد استدعى المأمون الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان لعدّة أمور:

١. كي يقصيه عن مقرّ الطّالبيين وهي مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢. كي يكون تحت نظارته ورقابته.

٣. كي يقطع اتصال الناس والشيعة والعلويين به.

٤. كي يفرض عليه ولاية العهد التي إن قبلها يتلّوث ويفقد عقيدة الناس به، وإن رفضها يغتاله في دار الغربة.

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٤٤.

(٢) المصدر نفسه: ج٤ ص٣٤٨.

٥. كي ينال شرعية بتسلّم الإمام عليه السلام ولاية عهده وقبوله إياها.

يقول المأمون نفسه في سر إصراره على قبول الإمام عليه السلام بولاية العهد: (قد كان هذا الرجل مستتراً عنّا يدعو إلى نفسه، فأردنا أن نجعله ولي عهدنا ليكون دعاؤه لنا، وليعرف بالملك والخلافة لنا، وليعتقد فيه المفتونون به أنّه ليس ممّا ادعى في قليل ولا كثير، وأنّ هذا الأمر لنا من دونه، وقد خشينا إن تركناه على تلك الحال أن ينفتق علينا منه ما لا نسده، ويأتي علينا منه ما لا نطيقه.

والآن فإذ قد فعلنا به ما فعلنا، وأخطأنا في أمره بما أخطأنا، وأشرفنا من الهلاك بالتنويه به على ما أشرفنا، فليس يجوز التهاون في أمره، ولكنّا نحتاج أن نضع منه قليلاً قليلاً حتى نصوّره عند الرّعيّة بصورة من لا يستحق لهذا الأمر، ثم ندبّر فيه بما يحسم عنّا مواد بلائه)[1].

حقائق عن ولاية العهد

المأمون العبّاسي وضمن خطّة مدروسة عرض ولاية العهد على الإمام عليه السلام أكثر من مرّة، وفي كلّ مرّة كان الإمام عليه السلام يرفض ويصر على عدم القبول إلى أن هدّده بالقتل فاضطرّ عليه السلام مكرهاً إلى القبول.

ومن الشّواهد على ذلك ما يلي:

قال أبو الفرج:... فأرسلهما - يعني الفضل والحسن ابني سهل - إلى علي بن موسى، فعرضا ذلك - أي ولاية العهد - عليه فأبى. فلم يزالا به وهو يأبى ذلك ويمتنع منه.. إلى أن قال له أحدهما: إن فعلت ذلك وإلاّ فعلنا بك وصنعنا. وتهدده ثم قال له أحدهما: والله، أمرني بضرب عنقك إذا خالفت ما يريد!.

ثم دعا به المأمون وتهدّده فامتنع، فقال له قولاً شبيها بالتهديد. ثم قال له: إن عمر جعل الشورى في ستّة أحدهم جدّك، وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولابُدّ من قبول ذلك[2].

وفي بعض الأخبار أنَّ الإمام عليه السلام قال للمأمون: «وإنّي لأعلم ما تريد».

فقال المأمون: وما أريد؟!.

قال: «الأمان على الصّدق».

قال: لك الأمان.

قال: «تريد بذلك أن يقول الناس: إنّ علي بن موسى لم يزهد الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه أ لا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة».

فغضب المأمون وقال له: إنّك تتلقاني أبداً بما أكرهه، وقد آمنت سطوتي. فبالله أقسم لئن

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص١٧٠.

(٢) مقاتل الطالبيين: ص٣٧٥ ذكر الخبر في ذلك.

قبلت ولاية العهد وإلاّ أجبرتك على ذلك، فإن فعلت وإلّا ضربت عنقك[1].

وقال الإمام عليه السلام في دعاء له: «... وقد أكرهت واضطررت، كما أشرفت من عبد الله المأمون على القتل، متى لم أقبل ولاية العهد»[2].

وقال عليه السلام في بيان السر لقبوله لولاية العهد: «قد علم الله كراهتي لذلك، فلمّا خُيرّت بين قبول ذلك وبين القتل، اخترت القبول على القتل ـ إلى أن قال ـ ودفعتني الضّرورة إلى قبول ذلك على إجبار وإكراه، بعد الإشراف على الهلاك»[3].

وقال في جواب أبي الصلت: «وأنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله أجبرني على هذا الأمر وأكرهني عليه»[4].

شرائط قبول ولاية العهد

بعد أن هدّد المأمون الإمام الرضا عليه السلام وتوعّده بالقتل إن لم يقبل ولاية العهد، اضطر الإمام عليه السلام أن يقبل ولاية العهد، ولكن بشرائط تبين للجميع أن قبوله كان عن كره، وأنّ ولاية العهد أمر صوري. وقد تصرّف الإمام عليه السلام بتصرّف حكيم لا يعطي أيّ شرعية للمأمون، وما يفعله من الظلم والجور.

ففي الخبر أنّ المأمون لمّا أصر عليه بقبول ولاية العهد قال: «على شروط أسألكها». قال المأمون له: سل ما شئت. فكتب الرضا عليه السلام: «إنّي داخل في ولاية العهد على أن لا آمر ولا أنهى، ولا أفتي ولا أقضي، ولا أولي ولا أعزل، ولا أغيّر شيئاً ممّا هو قائم، وتعفيني من ذلك كلّه». فأجابه المأمون إلى ذلك كلّه[5].

عدم صدق المأمون

كما يظهر من الشّواهد التّاريخية أنَّ المأمون لم يكن صادقاً في عرضه للخلافة وولاية العهد على الإمام الرضا عليه السلام، وذلك لعدة أمور:

١. إن المأمون قاتل أخاه الأمين وانتزع منه الرئاسة والملك بالقوة بعد أن قتله ونصب رأسه على بوابة قصره، ممّا يدل على استماتته بالحكم والرّئاسة، فكيف يقدمها بكلّ سهل ويسر للإمام الرضا عليه السلام وقد خاض الحروب لأجلها!.

٢. لو كان يريد توليته الخلافة واقعاً وتسليمه الأمور حقيقة، لماذا قبل أن يكون الإمام الرضا عليه السلام كولي للعهد وبشكلٍ صوري، لا يعزل ولا يأمر ولا ينهي ولا يتدخّل في أيّ أمرٍ من شؤون

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص١٣٩-١٤٠.
(٢) المصدر نفسه: ج١ ص١٩.
(٣) علل الشرائع: ج١ ص٢٣٩.
(٤) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٢٠٦.
(٥) الكافي: ج١ ص٤٨٩.

الحكومة؟!.

٣. ولماذا أمر بالإمام عليه السلام أن يأتي إلى خراسان ويترك مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبإمكانه أن يكتب إليه وهو في المدينة بالخلافة وينتهي الأمر كلّه!.

٤. ولماذا أخذ يهدّد الإمام عليه السلام بالقتل لو لم يقبل بولاية العهد؟!.

٥. ولماذا أخذ يجعل العيون والجواسيس على الإمام، ويمنع الشيعة من اللقاء به، وقام بسجن الإمام عليه السلام... وفي النّهاية قتل الإمام عليه السلام بالسّمّ!.

ثمّ إنَّ الإمام الرضا عليه السلام طرح على المأمون العباسي سؤالاً لم يجبه عليه حيث قال عليه السلام له: «إن كانت هذه الخلافة لك والله جعلها لك، فلا يجوز لك أن تخلع لباساً ألبسك الله وتجعله لغيرك. وإن كانت الخلافة ليست لك، فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك»(١).

وهكذا كان يعلم الإمام عليه السلام بمكر المأمون وخططه الشيطانية.

(١) علل الشرائع: ج١ ص٢٣٧.

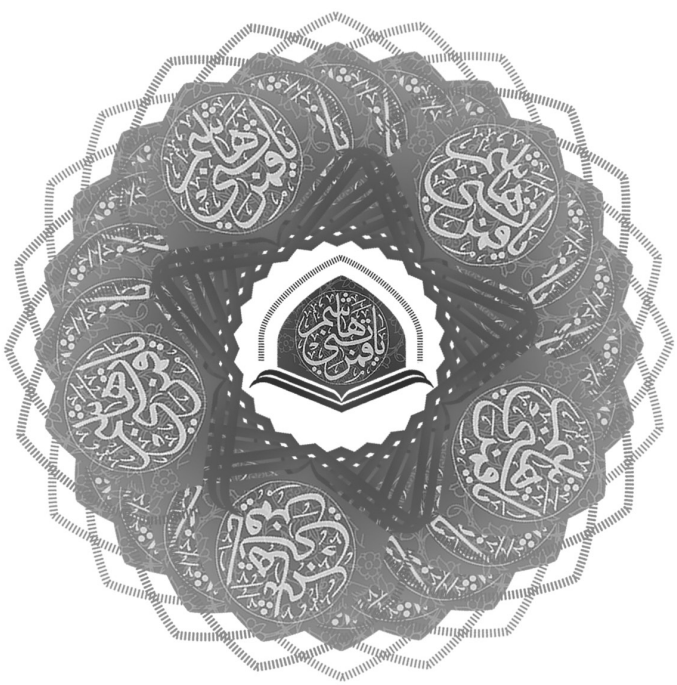


شهر
ذي الحجة

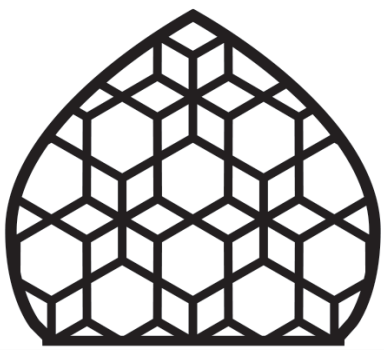

- دور الأسرة في تكوين شخصيَّة الفرد عقائديًّا (بيت الزهراء عليها السلام أنموذجًا)
- أثر الإمام الباقر عليه السلام في التحصين المعرفي للأمّة الإسلامية
- هاني بن عروة رضي الله عنه وموقفه من حركة مسلم بن عقيل عليه السلام



دور الأسرة في تكـوين شخصية الفرد عقائديّاً (بيت الزهراء عليها السلام أنموذجًا)

م.د خديجة حسن علي القصير

المقدمة

حظيت المرأة في التشريع الإسلامي بأهمّيّة كبيرة فقد أعطاها حقوقها كافّة وحفظها وحماها من كلّ الظّلم الذي تعرّضت له عبر التاريخ، فهي المولودة المحترمة والمدلّلة، وهي الفتاة والشّابّة العفيفة التي تتلقّى التّربية التي تحميها من أيدي الفاسدين، وهي الزّوجة ذات الحقوق والواجبات، وهي الأمّ المكرّمة. وبالتالي فإنَّ إعداد المرأة وتربيتها يتناسب مع دورها الإنساني في المجتمع الذي تنتمي إليه فهي المسؤولة عن النّشأة وعن نموه ونضجه وتفكيره والذي في صلاحه صلاح المجتمع بأسره.

تُجسّد السّيّدة الزّهراء عليها السلام الأنموذج الفذ في حياتها الزّوجية والأسريّة للدور البارز والمؤثّر الذي مارسته في أسرتها، فقد يتصوّر البعض أنَّ الحياة بالنسبة للمرأة هو الاهتمام بشؤون المنزل، وإعداد الطعام، وترتيب البيت، وعندما يأتي الزوج من العمل تقدّم له الوسادة على غرار ما كان يفعله القدماء، كلا فحياة الزّهراء عليها السلام كانت تستند على مبدأ المشاركة، فهي تُشارك أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام كافة ظروف الحياة، وتُربي الأولاد بتلك التربية العالية التي ربّتهم عليها، فكان لها الأثر البالغ في تكوين ونشأة أولادها لتخرج للأمة الإسلامية جمعاء هذه النّماذج الفذّة كالحسن والحسين وزينب عليهم السلام الذين هم صنّاع التاريخ، حتى قال قائل إنَّ الحسن والحسين إمامان ومجبولان على العصمة، فزينب لم تكن إماماً، لكنّ فاطمة الزهراء ربّتها تربية صالحة خلال تلك السنوات القصيرة لتكون مثالاً لنساء عصرها والعصور التي تلت، وهكذا فالزّهراء عليها السلام مثالٌ تحتذي به الفتاة كونها هي الزَّوجة والأم المستقبلية وعلى عاتقها يقع دور كبير في إنشاء جيلٍ قادرٍ على مواجهة تحدّيات الحياة المختلفة ومواكبة الصّعوبات والتّمسّك بدينه، والابتعاد عن مغريات الحياة التي تؤدّي بالإنسان إلى المهلكات.

إشكالية البحث:

اتساقاً مع متطلبات البحث فإنَّ الرؤية الأكاديمية تنطلق من إشكالية متناسقة مع عنوان البحث حول مفهوم دور الأسرة في تكوين شخصيّة الفرد عقائديًّا باعتبارها نقطة الارتكاز في حياة الفرد وارتأينا أن يكون الأنموذج الأمثل لهذا الدور من خلال دور الزّهراء عليها السلام في بيتها ودورها في حياة أبنائها عليهم السلام، وعلى هذا الأساس تنطلق إشكالية البحث على الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ماهية دور الزّهراء عليها السلام في تكوين شخصية أبنائها عقائديًّا؟

- أثر التعليم الجامعي باعتباره اليوم الحافز الذي يسعى من خلاله الآباء لتحسين سلوكيّات أبنائهم وإرشادهم دينيًّا؟
- هل نجحت تجربة توظيف التّعليم الجامعي في إخراج أسرة متماسكة عقائديًّا؟

فرضية البحث:

هناك علاقة طردية ما بين الأسرة و دورها في حياة الفرد وما بين المجتمع فيما بعد، ودور الفرد فيه، فكلّما كانت شخصية الفرد قويّة ومتماسكة وصالحة كلّما صلح من خلالها المجتمع واتجه في مساره نحو التّقدّم والصّلاح ولاسيما في وقتنا الحاضر ومع المغريات الكثيرة التي تواجهها الأسرة من أجل إضعاف دورها حتى يتسنّى لأصحاب هذه المغريات السيطرة على الأفراد مجتمعيًّا وإضعاف الحس العقائدي في نفوسهم؛ لأنَّ الفرد بالتزامه بدينه وعقيدته يكون بعيدًا كلّ البعد عن الشّبهات الأخلاقيّة والاجتماعية، وبغياب الوازع الدّيني يفقد الفرد ما يمكنه أن يواجه الصّعوبات وتحدّيات العصر المختلفة، ويصبح عرضة للعديد من التّيّارات والانحرافات العقدية والاجتماعية والأخلاقيّة التي تؤدّي به الى الانزلاق في العديد من الموبقات التي يصعب عليه مواجهتها.

أهداف البحث:

يهدف البحث انطلاقًا من الإشكالية والفرضية إلى الأهداف الآتية:

- الهدف الأهم يكمن في الانطلاق دور الأسرة في رسم حياة الفرد وتكوين شخصيته، وذلك باعتمادنا على الأنموذج الأمثل لذلك وهي الزّهراء عليها السلام ودورها في البناء العقائدي لأبنائها.
- توضيح دور التعليم الجامعي في وقتنا الحالي في بناء أسرة متماسكة الأطراف عقائديًّا واجتماعيًّا، يكون أفرادها قادرين على مواجهة تحدّيات الحياة التي تصبو بهم، والوقوف بوجهها واجتيازها وصولاً إلى برّ الأمان.

هيكلية البحث:

تناول البحث محورين أساسيّين لتغطية مجموع الأفكار التي تم تناولها فيما يتعلّق بمفهوم دور الأسرة في تكوين شخصيّة الفرد عقائديًّا (بيت الزّهراء عليها السلام انموذجًا):

إذ تناول المحور الأول: محوريّة دور الزّهراء في البناء الأسري ودورها في حياة أبنائها وتنشئتهم والتي انعكست فيما بعد على واقع الأمّة جمعاء، فهم القدوة في كلّ زمانٍ وفي كلّ موقف.

أما المحور الثّاني: فجاء ليحاكي أثر التّعليم الجامعي في تكوين الشّخصية الثقافيّة للإنسان، وإعداده إعدادًا يستطيع معه مواجهة كلّ التحديات الخارجية التي يتعرّض لها .

المحور الأوّل: محورية دور الزّهراء في البناء الأسري

إنَّ من يطّلع على حياة السّيّدة فاطمة عليها السلام من خلال ما وصل من أخبار مع قلّتها يستطيع أن يخرج بأسس عامّة للدور الذي مارسته عليها السلام ونهجها التّربوي الذي اتبعته فيما يتعلّق بتربية أبنائها من خلال سلوكياتها المتّبعة معهم، وقد يتساءل البعض عن السر في تربية السيدة فاطمة عليها السلام لأولادها بحيث خرجت في حضنها صناع التاريخ: الإمام الحسن والإمام الحسين وزينب عليهم السلام؟ فقد ورد في بعض المصادر: "إن الحسن والحسين إمامان ومجبولان على العصمة، فزينب لم تكن إماماً، لكنّ فاطمة الزهراء ربتها تربية صالحة خلال تلك السنوات القصيرة .. إذ لم تلبث فاطمة طويلاً من بعد وفاة الرسول. وللإجابة نقول: إنَّ التربية الفاطمية تتّسم بثلاثة أسس عامّة تشكل المنهج الذي اعتمدته في تربيتها لأبنائها، حيث كان مضمون التربية الفاطمية قائماً على: القيم الحقة المنبثقة من الدّين وزرعها في نفوس الأولاد وجبل كيانهم عليها، وذلك من خلال تجسيدها لتلك القيم بشكلٍ عملي فاعتمدت أسلوب القدوة والأسوة وتقديم الأنموذج، فضلاً عن موقف الزهراء عليها السلام في وعظ أولادها، إلّا أنّ ذلك كله هو تحت رداء الحب والحنان، ولعلّ هذا ما يميّز المنهج الخاص بالأمهات ولذا كان دور المرأة بكونها أمًّا لا بديل عنه. فعناصر تربيتها عليها السلام كانت مضموناً قيمياً بأسلوب تقديم النموذج العملي برداء الحب. قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ**﴾[1]. وقد أثبت التربويون فيما بعد فاعلية هذا الأسلوب حديثًا، ذلك لأنّ النفس البشريّة ميالة إلى الاختيار تنفر من الإجبار، فالتعليم بتقديم النموذج أوقع في النفس من الوعظ والتلقين الدّائم وخصوصاً لدى الأطفال. وبهذا نجد السيدة فاطمة عليها السلام تقدّم لأولادها بل لكلّ البشرية أنموذجًا كاملًا قابلًا للتأسي، فهي بتجسيدها القيم والمفاهيم الدينية في حياتها تدل المربين بشكلٍ عمليّ على ما ينبغي القيام به. فكان للتربية الفاطمية الدور الكبير في إنجاب عظماء للتاريخ كالإمام الحسن والحسين وزينب عليهم السلام، فالتربية على القيم الحقة الصحيحة بحسب المعايير الإلهيّة من شأنها صقل شخصيّة الطفل بالمحتوى اللازم لنضجه ورشده وغدوه عظيماً، لكنّ تلك التربية القيميّة لا تؤتي أكلها إلّا إذا طُبِّقت بالطّريقة الصحيحة.

ارتقت السيدة الزّهراء عليها السلام لتكون وعاءً ينهل من أخلاقها السّماوية ومنبعها، فحرصت على تربية أبنائها تربية خالصة، فكانت تعاملهم معاملة الرّجال أثناء التخاطب والتحاور معهم. فالتربية البيئية هي إحدى المجالات التّطبيقية والعملية التي يكون لها الأثر المهم والعميق في تكوين شخصية الطفل في جميع مراحله الحياتية حيث يورد أبو رافع مولى النبي صلى الله عليه وآله: " كنت ألاعب الحسن بن علي وهو صبي بالمداحي فإذا أصابت مدحاته قلت احملني فيقول: اتركب ظهرًا حمله رسول الله فأتركه، فإذا أصابت مدحاتي مدحاتي: لا أحملك كما لا تحملني فيقول: أوما ترضى ألّا تحمل بدنًا حمله رسول الله فأحمله[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(٢) ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت: ١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام، ١٤٠٨هـ، ج٢، ص٧١٧.

كانت التربية على أساس الإيمان والعقيدة هي أساس الذين تصلح به أحوال الأفراد وتثبت قلوبهم على قول الحق ونبذ الباطل، والزّهراء ﷺ كانت منارًا ساطعًا للإيمان، وهي مشكاة هداية للحق وقد تركت الأثر الواضح في حياة أبنائهاﷺ فها هو الإمام الحسن يعكس لنا النموذج الإيماني الأمثل، فهو وبعمر الصبا بعد رحيل والدته استطاع أن يدخل ادراج مرحلة متشابكة من صراعات واضطرابات، لكنّه ظلّ يسير على طريق الهداية والإيمان ويقتفي آثارها ﷺ، فهو بالرغم من كلّ ظروف الارتداد التي حدثت بعد استشهاد أبيهﷺ إلّا أنّه استطاع أن يبرم الهدنة مع معاوية ويحافظ على المتبقي من شيعته الخلص له، ويحقن دماء المؤمنين [1]. ومن الجوانب الأخرى الواضحة في تربية الزّهراء ﷺ لأبنائها هو منهاج الاستقامة وحرصها على زرعه في نفوسهم، وهذا نجده واضحًا في الحديث الذي دار بين أمير المؤمنين والسيدة زينب وأبي الفضل العباسﷺ، حيث قال الإمام للعباس ﷺيومًا قل واحد! فقال واحد ثم قال فقل اثنان! قال: أستحي أن أقول باللسان الذي قلت واحد اثنان فقبّل الإمام عينيه ثم التفت الى زينب فقالت يا أبتاه أتحبنا؟ قال نعم يا بنيتي أولادنا أكبادنا! فقالت يا أبتاه حبّان لا يجتمعان في قلب المؤمن حبّ الله وحبّ الأولاد وإن كان البد فالشفقة لنا والحبّ لله خالصًا [2] وهذا الكلام إن دل على شيء فيدل على مدى وعي وفكر الطفلة الصغيرة، وأنَّ حديثها نابع من تربية والدتها ﷺ لها، وهذه الأفكار الإيمانية إنَّما لقيت تشجيعًا ورواجًا في الغرب الأوربي من قبل العلماء والمختصّين بالدراسات التربوية الذين حثوا على ضرورة تشجيع الأطفال على العلم والمعرفة، وإبداء الرأي بكلّ صراحة ليكونوا سعداء في مهامهم، وتنمية فهمهم، والرغبة في أن يكونوا أناسًا صالحين لشعبهم وأمّتهم، ومن رواد علم الاجتماع الذين اهتموا بهذه الأفكار فازليسوفو منسكي [3].

المحورالثّاني: أثر التعليم الجامعي في تكوين الشّخصيّة الثّقافية للإنسان

يعد التعليم الجامعي من الأدوات التي تسهم بفعالية في تكوين الفرد والمجتمع وبلورة ملامحه في الحاضر والمستقبل معًا، وضمان طرق التّطور السّليم للمجتمع في مسيرته نحو طموحاته في التّقدّم والرّقي في مختلف ميادين الحياة[4].

وقد اجمع المهتمون بالشّأن العام من التربويين والاقتصاديين على أنّ التعليم الجامعي يُعد مصنعًا للقيادات الفكرية والتقنية التي يُناط بها مسؤولية التخطيط والتنفيذ لتحقيق التقدم على كافة المستويات؛ لذا لم تعد مهمّة هذا النوع من التعليم قاصرة على تخريج متخصّصين محلّيين، بل تعدت ذلك إلى صنع الكوادر البشرية القادرة على تفهم التقدم العلمي الهائل والإنجازات التقنية المتلاحقة في هذا العصر، والمؤهلين لقيادة حركة التغيير

(١) الشيخ راضي ال ياسين، صلح الامام الحسنﷺ، منشورات الشريف الرضي، ق، ١٤١٤هـ، ص٢٧.

(٢) الطبرسي، مستدرك الوسائل، ج٢، ص٦٣٥.

(٣) فاخر عاقل، التربية قديما وحديثا، دار العلم، بيروت، ١٩٧٤، ص١٢٠.

(٤) إشراف: أ.د محمد صبري الحوت، ود. منال رشاد عبد الفتاح، تربية مقارنة وإدارة تربوية "تخطيط تربوي، بحث مستخلص من اطروحة دكتوراه.

وفق معايير قيمية وأخلاقية تتعالى على المنفعة الشخصية وتمنح الواقع الإنساني الحكمة والمعنى[1].

وفي ظل التغيرات العالمية المُعاصرة تواجه الجامعات توقعات كبيرة من قبل المجتمعات التي هي جزءٌ منها؛ لذا اتجهت مُعظم الجامعات إلى الاندماج مع مُجتمعاتها من خلال جعل وظيفة خدمة المُجتمع الوظيفة الأولى لها، بل وتبني اتجاهات حديثة تجعلها تقوم بالدور المُنتظر منها سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا، ومن هذه الاتجاهات تكوين "شراكات مع المؤسسات المجتمعية". و بما أنَّ الإنسان هو حجر الزّواية في عملية التنمية ووسيلتها أصبح من الضّروري أن يسعى التعليم العالي إلى تزويده بالكفاءات والمهارات المناسبة حتى تمكّنه من القيام بالدّور المنوط به في ميادين الحياة المختلفة. فالموارد البشرية التي يحتاج إليها المجتمع للنهوض بالتنمية في جميع الميادين تتطلب اهتمامًا خاصًّا من قبل جميع الهيئات الرَّسميّة.

لأنَّ مستقبل مجتمعنا أصبح مرهونا بمدى تحقيق النّجاح في مؤسّسات التعليم العالي، لأنَّ مخرجات هذه الأخيرة هي في الواقع مدخلات التنمية وركائزها التي تعتمد عليها.

وقد يسأل سائل عن ماهيّة أثر التعليم الجامعي في تكوين الشّخصية الثقافية للإنسان؟ وللإجابة نقول: إنَّ توجيه برامج التعليم العالي وأنشطة البحث العلمي من أجل تعزيز دور التعليم العالي في خدمة المجتمع على المستوى العام والقيام ببرامج ومشاريع تخدم المجتمع بشكلٍ خاصّ هذا له الأثر البالغ في تكوين الشخصية للفرد لأنَّ من شأنه أن يؤدّي إلى:

أ- العمل على تحقيق أهداف التّنمية الشاملة والمتكاملة للمجتمع من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ب- المساهمة في الحفاظ على القيم المجتمعية وتعزيزها.

ت- المساهمة في فهم الثقافات المحلية والإقليمية والدولية والتاريخية، الحفاظ عليها وتعزيزها في إطار التنوع الثقافي.

ث- معرفة الميول السياسية والاقتصادية والاجتماعية بهدف تمكين المجتمع من معالجة المشاكل التي تُعكّر صفو المجتمعات المحلية، والدّول والمجموعات الإقليمية، والمجتمع الدولي.

ج- نشر القيم المتّفق عليها عالميًّا وأهمّها السلام، العدالة، والمساواة والتّضامن وحقوق الإنسان.

ح- الخدمة المباشرة للمجتمع من خلال المساهمة في تنمية التعليم وتحسينه على كافّة المستويات بخاصّة عبر تدريب المعلمين والأساتذة، والمساهمة في الأنشطة التي تعمل على إزالة الفقر، العنف، الأمّيّة والجوع والتّدهور البيئي. وتنمية المجتمع المحلّي عبر القيام بمشاريع تعاون مع مختلف القطاعات الاجتماعية والهيئات والمنظمات الحكومية وغير الحكومية.

---

(١) حمدي حسن عبد الحميد المحروقي: "أزمة الضمير المهني وعلاقتها بممارسات أعضاء هيئة التدريس الجامعي.. صورة واقعية ورؤية مستقبلية"، المؤتمر العلمي السنوي لقسم أصول التربية: الضمير المهني لعضو هيئة التدريس.. الواقع والمأمول، كلية التربية، جامعة الزقازيق، ٣ مايو ٢٠٠٦، ص ٤٨.

ونحن كمجتمع إسلامي لابُدَّ لنا من التأكيد على الثوابت الدّينية وترسيخها في نفوس الجيل الصّاعد من خلال التعليم والحثّ على التّمسّك بها لأنّه وكما لايخفى على أحد أنَّ الدّين إنَّما هو من العوامل الاجتماعية والثقافية المهمّة والذي ولد من ولادة المجتمعات وتطوّرها، فقد اتفق أغلب العلماء المختصّين بعلوم الاجتماع والانثروبولوجيا على بعض الخطوط العامة في تحديده، فهو في منظورهم "نسق اجتماعي "يقوم على علاقة الإنسان بكائن أو كائنات، أو قوى فوق الطّبيعة يؤمن بها ويعبدها، عن طريق وسطاء يعتقد الإنسان في تلك المجتمعات أنّها تُمثّله، ويتجدّد الدّين بنسق سلوكي وقانوني أخلاقي. كما تأخذ العلاقة بين العابد والمعبود شكل نسقٍ اجتماعي مقرّر، ونمط ثابت لأنَّ المجتمع يرى أنَّ دينه هو الدّين القويم والسلوك الأمثل. وأهم سمات الدين "الإيمان" واتخاذ مواقف عاطفية حيال المعبود وسلوك وأسلوب محدد في التّقرب له، وإقامة احتفالات وطقوس خاصّة بهم[1]. لذلك تكون التّنشئة الدّينية من العوامل الاجتماعية المهمّة، حيث تقوم الأسرة بتربية أبنائها على مبدأ المحرمات(الحرام) في السلوك والتصرف، وعلى مبدأ(لا يصح) في العرف الاجتماعي، ويتخذون من الدِّين عاملاً أساسيًّا لردع الأبناء عن عمل أو فعل سلوك لا يتناسب ومركز الأسرة في المجتمع وخاصة الأسرة ذات السّمة الدّينية أو (المتدينة)، وفي بعض الأحيان لذلك وقع الاهتمام على ضرورة أن يستمر الفرد في تعليمه وصولاً إلى مراحل علميّة.

حتى أصبح يُنظر إلى التعليم بأنَّه من أهّم العناصر التي تكّون البيئة الثقافية للمجتمع فهو يؤدّي دورًا أساسيًّا في تغيير نمط البناء الاجتماعي، كما أنَّه يُعّد من أساسيات العصر الحديث وضرورة من ضرورات التغير الاجتماعي ومواكبة التطور، فهو يُعدّ المعيار الأساس لقياس المستوى العلمي والثقافي لأفراد المجتمع، ودوره يكمن -كما أشرنا- في مدى توظيف الموارد البشرية رجالاً ونساء، كتعليم المرأة ودخولها عالم العمل والحياة العامة عملت على كسر القيود التقليدية لها، فالتعليم ساهم في إدماجها في قضيّة التحديث والتطور الذي يشهده مجتمعنا حاليًّا [2]حتى أصبح الفرق بين معدّل الذّكور والإناث ليس فرقاً شاسعاً، فقد حصل تغيّر كبير في القيم والاتجاهات نحو تعليم المرأة، حيث نلاحظ ارتفاع النسبة من ٨٨، ٢٪ عام (١٩٩٤-١٩٩٩)إلى ٩٥، ١٪ عام(١٩٩٩-٢٠٠٢)، إلّا أنَّ التّعليم عاد وواجه انتكاسة كبيرة نتيجة للظروف الحالية التي يمر بها العراق وانتشار كثير من صور السلوك المنحرف؛ كحالات الخطف والسّرقة والأوضاع غير المستقرة أدّت إلى تراجع نسبة تسجيل الإناث في الجامعات العراقية بالنسبة إلى الذكور وبنسبة ٨٪ إناث و١٤٪ ذكور، كذلك تبرز الاختلافات الإقليمية ما بين الرّيف والحضر، فنتيجة لصعوبة الأوضاع الأمنيّة وتدهورها لجأت بعض العوائل العراقية إلى إبقاء البنت في البيت أو العمل على تأجيلها لسنة دراسيّة عسى أن تكون السّنوات القادمة قد استقرّ بها الوضع وعندها سوف يكون بالإمكان إكمال الدّراسة[3].

(١) الدكتور شاكر مصطفى سليم، الجبايش، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٦، ص٧٨.

(٢) ألاء عبد الله معروف، المرأة واتخاذ القرار الاجتماعي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٥، ص٦٩.

(٣) الدكتور مصطفى حجازي، علم النفس والعولمة، شركة المطبوعات للنشر، بيروت، ٢٠٠١، ص٩١.

الخاتمة

نستنتج مما تقدّم أنَّ للتعليم الأثر البارز في حياة الأفراد بل هو الرّكيزة الأساسية التي يستند عليها الفرد في مجتمعه، حيث أصبح التعليم يُنظر له بأنَّه من أهّم العناصر التي تكّون البيئة الثقافية للمجتمع، فهو يؤدي دورًا أساسيًّا في تغيير نمط البناء الاجتماعي، كما أنَّه يُعّد من أساسيات العصر الحديث وضرورة من ضرورات التغير الاجتماعي ومواكبة التطور، فهو يُعّد المعيار الأساس لقياس المستوى العلمي والثقافي لأفراد المجتمع، ودوره يكمن -كما أشرنا- في مدى توظيف الموارد البشرية رجالاً ونساء كتعليم المرأة ودخولها عالم العمل والحياة العامة عملت على كسر القيود التقليدية لها، فالتعليم ساهم في إدماجها في قضية التحديث والتطور الذي يشهده مجتمعنا حاليًّا حتى أصبح الفرق بين معدل الذكور والإناث ليس فرقاً شاسعاً فقد حصل تغير كبير في القيم والاتجاهات نحو تعليم المرأة حيث نلاحظ ارتفاع النسبة من ٨٨، ٢٪ عام (١٩٩٤-١٩٩٩) إلى ٩٥، ١٪ عام(١٩٩٩-٢٠٠٢)، إلا أنَّ التعليم عاد وواجه انتكاسة كبيرة نتيجة للظروف الحالية التي يمر بها العراق، وانتشار كثير من صور السلوك المنحرف كحالات الخطف والسرقة والأوضاع غير المستقرة أدّت إلى تراجع نسبة تسجيل الإناث في الجامعات العراقية بالنسبة إلى الذكور وبنسبة ٨٪ إناث و١٤٪ ذكور كذلك تبرز الاختلافات الإقليمية ما بين الريف والحضر فنتيجة لصعوبة الأوضاع الأمنية وتدهورها لجأت بعض العوائل العراقية الى إبقاء البنت في البيت أو العمل على تأجيلها لسنة دراسية عسى أن تكون السنوات القادمة قد استقرّ بها الوضع وعندها سوف يكون بالإمكان إكمال الدراسة. والملاحظ في بحثنا هذا أنَّ التعليم الجامعي يقع عليه ثقل كبير لكونه يمثّل السلاح الأمثل للفرد الذي يستطيع أن يرتقي من خلاله لأرقى الأماكن، ويقدّم لبلده خدمات واسعة بحكم مايمتلكه من حصيلة الخبرات التي يتحلّى بها إن أكمل تعليمه الجامعي، فقد أجمع المهتمّون بالشأن العام من التربويين والاقتصاديين على أنَّ التعليم الجامعي يُعد مصنعًا للقيادات الفكرية والتقنية التي يُناط بها مسؤولية التّخطيط والتنفيذ؛ لتحقيق التقدم على كافة المستويات؛ لذا لم تعد مهمّة هذا النوع من التعليم قاصرة على تخريج متخصّصين محلّيين، بل تعدّت ذلك إلى صنع الكوادر البشرية القادرة على تفهم التّقدّم العلمي الهائل والإنجازات التقنية المتلاحقة في هذا العصر، والمؤهلين لقيادة حركة التغيير وفق معايير قيمية وأخلاقية تتعالى على المنفعة الشخصية وتمنح الواقع الإنساني الحكمة والمعنى.

المصادر

القرأن الكريم

١. إشراف: أ.د محمد صبري الحوت، ود. منال رشاد عبد الفتاح، تربية مقارنة وإدارة تربوية "تخطيط تربوي، بحث مستخلص من اطروحة دكتوراه.

٢. ألاء عبد الله معروف، المرأة واتخاذ القرار الاجتماعي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٥.حمدي حسن عبد الحميد المحروقي: " أزمة الضمير المهني وعلاقتها بممارسات أعضاء هيئة التدريس الجامعي.. صورة واقعية ورؤية مستقبلية"، المؤتمر العلمي السنوي لقسم أصول التربية: الضمير المهني لعضو هيئة التدريس.. الواقع والمأمول، كلية التربية، جامعة الزقازيق، ٣ مايو ٢٠٠٦.

٣. الدكتور شاكر مصطفى سليم، الجبايش، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٦.

٤. الدكتور مصطفى حجازي، علم النفس والعولمة، شركة المطبوعات للنشر، بيروت، ٢٠٠١.

٥. الشيخ راضي ال ياسين، صلح الامام الحسن عليه السلام، منشورات الشريف الرضي، ق، ١٤١٤هـ.

٦. فاخر عاقل، التربية قديما وحديثا، دار العلم، بيروت، ١٩٧٤.

٧. ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت: ١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام، ١٤٠٨هـ.

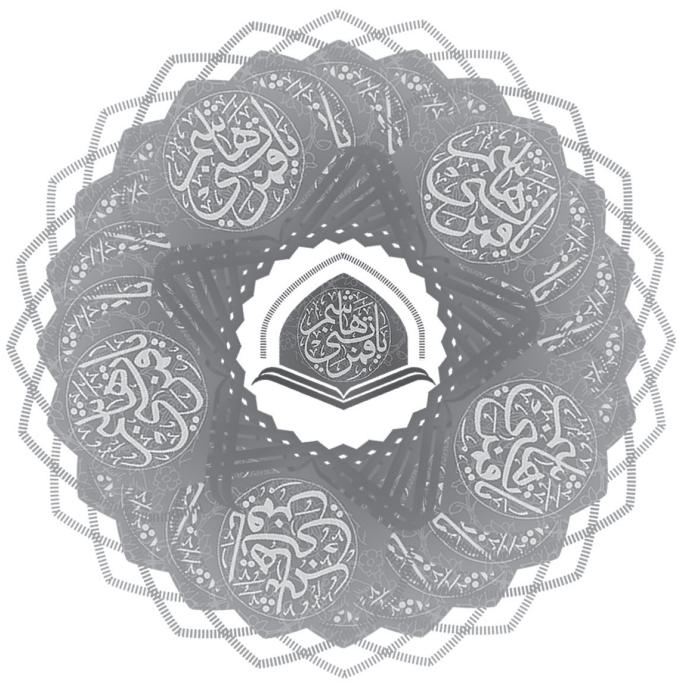

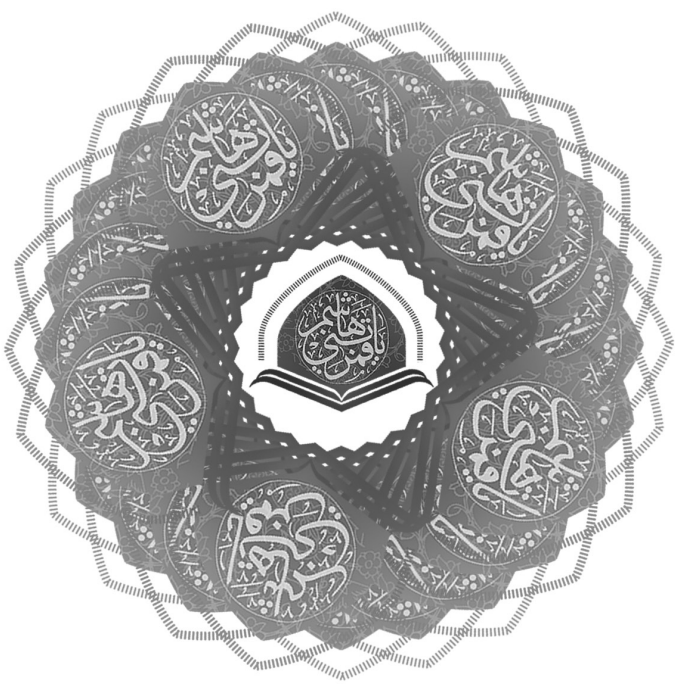

أثر الإمام الباقر عليه السلام في التحصين المعرفي للأمة الإسلامية

أ.د. أمل عبد الجبار كريم الشرع

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحًا لذكره، وسببًا الى المزيد من رحمته، ودليلاً على آلائه، نحمده حمد الشّاكرين، الصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وآله، وعلى آله الطّيبين الطّاهرين.

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ الشورى: ٢٣.

من الذين فرض الله مودّتهم في كتابه، وجعل حبّهم واتباع سيرتهم حقًّا مفروضًا واحدًا من أحفاد المصطفى الخامس، وهو من صفوة الخلق، وحجج العباد، وسفينة النّجاة، وخير من أقلّته الأرض، وأضلّته السّماء بعد جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله حسبًا ونسبًا وفضلاً، هو الإمام محمد بن علي بن الحسين عليه السلام المعروف بالباقر، وهذا اللقب جاء من جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، في رواية عن جابر الأنصاري حينما أعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه يدرك ولادة حفيد من أحفاده محمد بن علي الباقر يبقر العلم بقرًا.

ولد الباقر عليه السلام في المدينة المنوّرة سنة سبع وخمسين بعد الهجرة النّبويّة، في مطلع رجب الأصب، وبقي مع جدّه الحسين عليه السلام أربع سنين، ومع أبيه السّجّاد بعد جدّه خمسًا وثلاثين سنة، وعاش بعد أبيه ثماني عشرة سنة، وقيل تسع عشرة سنة حسب رواية الكافي، أمّا وفاته فكانت في خلافة هشام بن عبد الملك، وقيل في مطلع حكم إبراهيم بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك، سنة ١١٤ هجرية، وله سبعة أولاد بين ذكر وأنثى أكبرهم الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

وفي أيّام طفولته كانت المحنة الكبرى التي مرّت على أهل البيت عليهم السلام في كربلاء، وشاهد جميع الرّزايا والمصائب التي توالت عليهم من أولئك الحكّام الطغاة . زوجه كانت فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر المكنّاة بأمّ فروة.

كان إمامًا مفروض الطّاعة، وكان لايبخل في النّصيحة حتى ولو كان من ألدّ خصمائه وأعدائه، وبخاصة إذا كانت لمصلحة الإسلام، وهناك حادثة مشهورة تناقلتها كتب التاريخ الإسلامي كانت الروم هي المسيطرة على اقتصاد الدّولة الإسلامية آنذاك، بحيث كانت تطرز الثياب والأواني بقراطيس الرّوم في مصر وتبعثها الى

الدول الإسلامية، فمنع عبد الملك بن مروان هذه النقوش واستبدالها بنقوش إسلامية، فبعث ملك الروم هديّة لعبد الملك بن مروان لكي يرضيه ويتراجع عن الأمر، فردّ عليه هديّته وبقي على إصراره إلّا أنَّ ملك الروم هدّد بأن ينقش على الدّراهم والدّنانير شتم النبيﷺ، فضاق الأمر بعبد الملك، فأشار عليه روح بن زنباع عليك بالباقر وهو من أهل بيت النبيﷺ، وكان الباقرعليه السلام بالمدينة فكتب إليه أن يحضر إلى الشام فلبّى الدّعوة، وحلّ الأمر بوضع خطّة يستحيل التّلاعب في وزن النقود والكيفية التي يتم صنعها، فأمرهم أن يكون الوجه الأول من النقود نقش سورة التوحيد وعلى الوجه الثاني محمد رسول الله، ويكون التداول فقط بالعملة الإسلامية، وإبطال ما كان متداولاً في بلاد المسلمين من العملة الرّوميّة.

وكانت بلاد الروم تحسب أنّ الضغط بالنحو الذي هدّدت به المسلمين ورقة رابحة بيدها؛ لكنّها فشلت مزاعمها بمعرفة الإمام الباقرعليه السلام[1] الذي هو أوّل من سنّ الكتابة الإسلامية على نقود الفضة والذّهب.

ومن مقوّمات التّحصين لدى الإمام قسّمتُ البحث على محورين:

المحور الأول: الإعداد اللّدنّي.

والمحور الثّاني: الإعداد النّبوي .

المحور الأول: الإعداد اللدنّي:

يتجسّد الإعداد اللدنّي في شخصية الإمام الباقرعليه السلام والمتمثّلة بمفاهيم عدة منها: (الحكمة، والتمكين، والنور، والإتيان، والفهم). وقمّة هذه العلوم هو اليقين الذي يبدأ من العلم الإلهي اللدني والذي ورد في الأحاديث النبوية الشّريفة، وتعاطى معها جلّ من لهم درجة من الإيمان. وقد تحدّث الأنبياء والأئمّة الصّالحون عن مراتب هذه الدرجة، وأشاروا إلى مزاياها وفوائدها بما عرف عنهم من توجّه من حيث ما تضمّنته من مقدّمات وأحوال كالتّوكّل على الله، والرّضا والمحبّة في الله، والصبر والشكر، والإخلاص وغيرها من الإعدادات التي مثّلت مقامات غرسها الله تعالى في أنبيائه والصّالحين من عباده، وتواترت فيهم جيلاً بعد جيل، ليصطفيهم بذلك العلم على العالمين[2] .

يقول الحق تعالى: ﴿**إنّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم**﴾[3] فالله اختار هذه البيوت وميّزها عن جميع خلقه وعلى سائر أهل الأرض ابتدأ بآدمعليه السلام الذي خلقه من أديم الأرض، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له طاعة، وإجلالاً، وليس عبادة،

(١) ينظر: سيرة الأئمة: مج ٢/ ٢١١-٢١٥.

(٢) ينظر: العلم الإلهي اللدني: ١٩-٢٠.

(٣) آل عمران: ٣٤، ٣٣.

وعلّمه أسماء سائر المخلوقات، والاصطفاء الثاني: لنوح عليه السلام الذي مثّل البداية الثانية للحياة بعد آدم عليه السلام عندما استجاب الله دعوته وأغرق من على وجه الأرض من الكافرين من جهة، ومن جهة أخرى سنَّ الشرائع التي تجعل الإنسان بمنزلة أرفع شأنًا، وأعلى مرتبة وأكثر تكريمًا عندما أوحى له الحق بتحريم البنات، والأخوات، والعمّات، والخالات، وسائر الأرحام[1]، والاصطفاء الثالث: كان لإبراهيم عليه السلام وعشيرته وذوي القربى الذين اتبعوا نهجه وساروا عليه ومنهم خاتم الأنبياء لتظهر في ذرّيّته النّبوة والكتاب، والحكمة، فكان الخليل وكانت الأمّة.

أمّا الاصطفاء الرّابع: فكان لآل عمران ومنهم عيسى بن مريم عليه السلام، فهو المختار على عالم زمانه، وهذا يؤكّد أنَّ الأنبياء والمرسلين وذراريهم من أصل واحد، نهلوا علمًا واحدًا امتدّ بعضهم من بعض بتسلسل ربَّاني غاية في الإتقان، وقد اقتضت المشيئة الإلهية أن تتقدّم ذرّيّة آل إبراهيم في الآية على ذرّيّة آل عمران للسبق الزّمني مع أنّ النبي المصطفى وذرّيّته جاء خاتمة لتلك السلسلة العظيمة فكانوا أن نهلوا من العلم الإلهي الكوني، وهو علم ربّاني إلهامي لا واسطة في حصوله بين النفس، وبين الباري عزوجل، وإنّما هو الضوء من سراج الغيب يقع على قلبٍ صافٍ فارغٍ لطيفٍ لأنَّهم أصح العقول وأقواها وأمتنها وأصفاها.[2] وهم فضل العلوم والمعارف المنضوية تحتهم.

ولأنّ هذا الإعداد قائم على مفاهيم التّحلّي، والتّخلّي، والتّجلّي الممتدة من قوى روحية لا حدّ لها من الإيمان العميق بالله؛ لذا نجدها ارتبطت بسبيل واحدٍ وسلسلة امتدّت عبر الأزمان توارثتها الأنبياء، والرسل فكانت شعلة مضيئة في حياة الإمام الباقر عليه السلام صاحب المكانة العظمى التي لم يرقَ إليها أحد، وقد أفرز هذا الإعداد الإلهي مجموعة من الأركان التي مثّلت قمّة الكمال في حياته عليه السلام كما يأتي:

أ. التّفقّه في الدِّين أمّا علمه فهو يتلقّى المعرفة والأحكام الإلهية، وجميع المعلومات عن طريق النبي أو الإمام الذي قبله، وإذا استجدّ شيء لابُدّ أن يعلمه عن طريق الإلهام والقدسية التي أودعها الله تعالى فيه، فإنّه لا يخطأ فيه ولا يشتبه عليه الأمر ولا يحتاج في كلّ ذلك إلى البراهين العقلية ولا إلى تلقين المعلمين أو إلى التّفكير وترتيب المقدّمات، وتتجلى في نفسه المعلومات كما تتجلّى المرئيات في المرآة الصّافية، فإنَّ علمه قابل للزيادة والاشتداد، صدق رسول الله حين قال: (ربّ زدني علما) إنَّ قوّة الإلهام عند الإمام التي تسمّى القوّة القدسية تبلغ الكمال في أعلى درجاته بحيث ما سألوه عن شيء إلا أجاب عليه في وقته ولا تأجيل الجواب الى المراجعة او التّأمّل، إذ قال الإمام الباقر عليه السلام: ((من أفتى الناس بغير علم ولا هدى لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه)).[3] وهو صاحب الإلهام الوحي الإلهي علمه فيض رفيع صادر من السّلالة الطّاهرة أمراء الكلام وسلاطين

(١) ينظر: حقيقة المسيح والتثليث: ١٥٢.
(٢) ينظر: تفسير القاسمي: ١١/ ٤٠٩٧.
(٣) جامع السعادات: ١ / ١١٦.

البلاغة، فحجّته قاطعة، وأحكامه مطابقة، فعقله هو الشّرع الباطن والنّور الدّاخل.

((وله مواقف كثيرة مع زعماء الفرق وعلماء المذاهب كان يخرج منتصرًا على خصومه، ويبدو من مواقفه ومناظراته أنّه كان ذكيًّا قوي الحجّة يأخذ خصمه من حيث لا يشعر ويحكمه منطقه كما يشير ذلك إلى موقفه مع الخارجي الذي دخل مجلس الإمام الباقر وقال له: يا أبا جعفر أي شيء تعبد؟ قال له: أعبد الله، فقال هل رأيته؟ فقال الإمام: لم تره العيون بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان لا يعرف بالقياس، ولا يدرك بالحواس، ولا يشبه الناس، موصوف بالآيات، لا يجور في حكم ذلك هو الله لا إله إلا هو، فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته.[1] ولابُدّ لنا أن نتحدّث عن دوره التّأسيسي لجامعة آل البيت التي تخرّج منها العديد وحملوا آثارها إلى مختلف الأقطار، فمن هؤلاء ابان بن تغلب بن رياح أبو سعيد البكري الذي عاصر ثلاثة من أئمّة الشيعة وأخذ عنهم، وأنّ صلته بالباقر أطول من صلته بالسجاد والصادق عليهما السلام، ومن تلاميذه زرارة بن أعين وكان مرجعًا في الفقه والرواية على مذهب أهل البيت عليهم السلام، وفيه يقول الصّادق عليه السلام: لولا زرارة لظننت أنَّ أحاديث أبي ستذهب[2]

ب. الصّبر على النَّوائب: الصّبر على المصائب والنَّوائب شديدة عليه يحبس نفسه عن الجزع تعظيمًا لله سبحانه وتعالى وهذا الشّكر بعينه؛ لأنَّ الصبر يستدعي ألمًا ويؤيد: قوله تعالى: ﴿**إنَّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾[3] وقوله تعالى: ﴿**وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون**﴾[4] فصبر عليه السلام عن المصيبة التي حلّت بأهل بيته فقد ابتلي ببلاء الصّبر فصارت عليه نعمة، فالصّبر على البلاء عظم ثوابه وأجره، والصّبر على الطّاعة يحتاج المطيع إليها قبل العمل، فيها تصحيح نيّة الإخلاص وتطهيرها من شوائب الرّياء، ولئلا يغفل عن الله في أثنائه. فالصّبر عليه شديد في غاية الصّعوبة ولا يناله إلا الأولياء، والوصول إليه يتوقّف على اليقين التام، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((اسألك من اليقين ما يهون على مصائب الدّنيا))[5] ومن كمال الصبر كتمان النوائب، إذ قال الإمام الباقر عليه السلام: ((الصبر الجميل ليس فيه شكوى الى الناس)) إذ إنّه لم يشكُ جور بني أميّة، وفي هذه الظروف انطلق لأداء رسالته على الرغم من الكوارث والفتن الزاخرة كالبحر الهائج بأمواج التشبه والضلالات والادعاءات والمنازعات، فقاوم معها بحيث لا يخرجها عن سعة صدره، لأنَّ الصبر في كظم الغيظ هو الحلم بعينه، لأنّه يمتلك العقلية المنفّذة لأحكامه

(١) سيرة الأئمة: مج٢/ ٢٠٠-٢٠٣.
(٢) المصدر نفسه: مج٢/ ١٩٧.
(٣) الزمر: ١٠.
(٤) البقرة ١٥٦، ١٥٥.
(٥) جامع السعادات: ٣/ ٢٤١.

المؤدّية إلى الفوز والفلاح والهداية الى طريق الخير والصلاح ويتحلّى بأخلاق الإيمان، وذلك لمّا سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان قال: ((هو الصبر لأنّه أكثر أعماله وأشرفها))[1]، وقد ورد أنَّ الإمام محمد الباقر عليه السلام قال لجابر الأنصاري، وقد اكتنفه علل وأسقام، وغلبه الضّعف والهرم كيف تجد حالك؟، قال جابر: أنا في حالة الفقر أحبّ إليّ من الغنى، والمرض أحبّ إليّ من الصّحّة، والموت أحبّ إلي من الحياة فقال عليه السلام: أمّا نحن أهل البيت فيما يرد علينا من الله من الفقر والغنى، والمرض والصحة، والموت والحياة، فهو أحب إلينا، فقام جابر وقبل بين عينيه، وقال: صدق رسول الله ﷺ إذ قال لي: يا جابر ستدرك واحدًا من أولادي أسمه اسمي يبقر العلم بقرًا[2]، قال عزّ من قائل: ﴿**وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآيتنا يوقنون**﴾[3] وقال ﷺ: ((الصبر كنز من كنوز الجنة)) وقال ﷺ أيضا: ((أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس))[4]

ج. تقدير المعيشة: الزهد من علامات الرّاغب في ثواب الآخرة، والزّهد الحقيقي ترك المال والجاه وعن أئمّتنا قولهم الزّهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار[5] يقول الباقر عليه السلام: ((مروة الصبر في حالة الحاجة والفاقة والتّعفّف والغنى أكثر من مروة الاعطاء))[6] فإنَّ الاكتفاء من المال بقدر الحاجة والكفاف، وعدم الاهتمام فيما زاد عن ذلك وهي صفة كريمة تعرب عن عزّة النّفس، وشرف الوجدان، وكرم الأخلاق، وممّا أثر عن فضائله الإمام الباقر عليه السلام قال: ((من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس))[7]واستعرض الإمام في حديثه مع أصحابه الأوضاع في هذا العصر وقسوة الحكّام على الشيعة وإسرافهم في إراقة الدّماء وتجويعهم وتشريدهم بين الأقطار، وشراء الذّمم بالأموال والطيب والطعام للدس، لأن توجد أطياف متعدّدة لديها خلاف مع الدين منذ اللحظة الأولى لوجود الدين، وهذا الخلاف يتّسع ويضيق بين خلاف التفسير والمواقف من أفكار أهل البيت والكذب في أحاديث الرسول ﷺ، واستعرض في حديثه الدور الذي قام به الحجاج مع الشيعة حتى شرّدهم من البلاد وأذاقهم جميع أنواع البلاء وصنوف العذاب [8]، وكان عليه السلام دائمًا يعظ ويحثّ أصحابه على التعاون والسعي في قضاء حاجة ومعونة أخيه المسلم بقوله: ((ما من

---

(١) جامع السعادات : ٣/ ٢٢٦.
(٢) المصدر نفسه: ٣/ ٢٢٩.
(٣) السجدة: ٢٤.
(٤) جامع السعادات: ٣/ ٢٣٠.
(٥) بحار الأنوار: ٢/ مج ١٥، باب الزهد: ١٠٠.
(٦) جامع السعادات: ٣/ ٢٤٦.
(٧) الوافي عن الكافي: ٣/ ٧٩.
(٨) ينظر: سيرة الأئمة: مج٢/ ١٨٨.

عبد يبخل بنفقة ينفقها فيما يرضي الله إلا ابتلي بأن ينفق أضعافها فيما أسخط الله))[1] وهذا ممّا يؤيّد ويثبت مدى تعلّق الإمام عليه السلام بربّه وعبّر في الوقت نفسه عن نفس تمرّست في عشق بارئها عزوجل، وطلب القرب منه، واستجلاب لطفه العميم، والتوجه إليه بكل كيانه، أي بروحه، وقلبه، وجوارحه مما لا يكون إلا عند أولياء الله سبحانه وتعالى.

المحور الثاني: الإعداد النّبوي:

لابُدَّ من الإشارة في هذا المقام إلى حقيقة مفادها أنَّ النّبوة لطف من الله فلابُدَّ أن يكون في كلِّ عصر إمام هاد يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصَّلاح، وله ما للنبي من الولاية العامّة على الناس لتدبير شؤونهم، ومصالحهم، وإقامة العدل بينهم، ودفع الظلم والعدوان من بينهم[2] وعلى هذا الأساس فالإمامة استمرار للنبوّة والدَّليل الذي يوجب إرسال الرسل، وبعثّ الأنبياء؛ هو نفسه يوجب أيضًا نصب الإمام بعد الرسول ((إنَّ الإمامة لا تكون إلّا بالنّص من الله تعالى على لسان النبي أو لسان الإمام الذي قبله، وليست هي بالاختيار او الانتخاب من الناس، وعليه لا يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطّاعة من الله تعالى سواء أبى البشر أم لم يأبوا، وسواء ناصروه أم لم يناصروه، أطاعوه أم لم يطيعوه، حاضرًا أم غائبًا [3]قال تعالى:﴿ **ولكلّ قوم هاد**﴾[4] وقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾[5] فالعلوم والمعارف التي تلقاها لا تخضع لتحديد أو تأطير، فهي كثيرة ومختلفة بحسب ما تختصّ به، فإمّا أن تكون عقلية مصادرها العلوم التجريدية كالمنطق، والرياضيات، والفلسفة وغيرها من العلوم الأخرى، وهي تقتضي التعقّل والتدبّر والتّفكير. وأمّا أن تكون نقليّة، أو شرعية فمصدرها القرآن الكريم، والسّنّة النّبويّة، والسيرة، وهي قوانين ثابتة يجب العمل بها. فالإمام الباقر عليه السلام كان قد نشأ في بيت من أعظم البيوتات وأشرفها هو بيت آل محمد صلى الله عليه وآله مهبط الرّسالة ومعدن الوحي، حيث حظي باهتمام بارز من جدّه الحسين، وأبيه زين العابدين عليهما السلام، وهما يهيئانه للدور القيادي الذي أنيط به فيما بعد، فكانت مصاحبته وملازمته لأبيه طيلة ما يقارب الخمس والثلاثين سنة، مما أفرغ عليه بريقًا من روحه المقدّسة التي أشرقت في هذا الكون، وأفاض عليه ما استقر في نفسه

(١) ينظر: سيرة الأئمة : مج٢/ ٢١٩.
(٢) عقائد الامامية: ٦٥-٦٦.
(٣) المصدر نفسه: ٦٦.
(٤) الرعد: ٧.
(٥) فاطر: ٢٤.

من نور النبوة، وهدي الرسالة[1]، فعن الباقر عليه السلام قال: لمّا حضر علي بن الحسين الوفاة ضمّني إلى صدره ثم قال: ((يا بنيّ أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة، وبما ذكر أنّ أباه أوصاه به قال: يا بني إيّاك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله تعالى)).[2]

لقد نهل الإمام الباقر عليه السلام في مراحل نشأته الأولى من بيت النبوة متمثلاً بشخص جدّه الإمام الحسين عليه السلام، من خلال المدّة الزّمنيّة التي قضاها معه، ويظهر ذلك في قوله: ((قتل جدي الحسين ولي أربع سنين، وإنّي أتذكر مقتله، وما نالنا في ذلك الوقت))[3]. وقد أدّى هذا الارتباط إلى أن ينهل من ذلك المعين ما أهله أن يكون باقرًا للعلوم، فعرف أصلها وخفيها.

أمّا النّص على إمامته عليه السلام فلم تقتصر على إمامة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام فحسب؛ بل امتدّت لأبنائه وأحفاده من بعده، وقد تمثّل ذلك بقول النبي صلى الله عليه وآله: ((الأئمّة من ولد الحسين من أطاعهم فقد أطاع الله ومن عصاهم فقد عصا الله هم العروة الوثقى، وهم الوسيلة إلى الله)).[4]

عاش الإمام محمد الباقر عليه السلام بين أخوته خليفة لأبيه علي بن الحسين عليه السلام ووصيه، والقائم بالإمامة من بعده، وبأعلى من حوله من الأهل والأصحاب بالفضل في العلم والزهد والسّؤدد، وكان أكثر ذكرًا وأجلهم في العامّة والخاصّة، وأعظمهم قدرًا، ولم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين من علم الدين والآثار والسنة، وعلم القرآن والسيرة، فضلاً عن الفنون والآداب، ومن صفاته أنّه كان كثير الذّكر في مشيه وقيامه وقعوده، وأثناء أكله وشربه، لا ينقطع عن ذكر الله، وتمجيده، وتسبيحه والتّفكير في ملكوته، فكان يجمع ولده فيأمرهم بالذّكر حتى تطلع الشمس، وبقراءة القرآن من كان يقرأ، ومن كان لا يقرأ منهم أمره بالذّكر. وكان ظاهر الجود في الخاصّة والعامّة معروفًا بالكرم والإحسان على الرغم من كثرة عياله وتوسّط حاله.

كان الإمام عليه السلام مقصد العلماء من كلّ بلاد العالم الإسلامي، وما زار المدينة أحد إلا وزار بيته، يأخذ من فضائله وعلومه، وكان يقصده كبار رجال الفقه الإسلامي أمثال سفيان الثّوري، وأبي حنيفة، على الرغم من الظروف الصّعبة التي مرّت به عليه السلام، غير أنّه استطاع أن يعد وينشئ أعدادًا كثيرة من الفقهاء والعلماء والمفسرين، إذ كان المسلمون يقصدونه من شتّى بقاع العالم الإسلامي، وقد دانوا له بالفضل بشكلٍ لا نظير له، ولم يكن منعزلاً عن أحداث السّاحة الإسلامية ليخوض

---

(١) ينظر: كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٢/ ٦٧٥.

(٢) الوافي عن الكافي: ٣/ ١٦٢.

(٣) المجالس السنية في مناقب العترة النبوية: ٥/ ٤٣٧-٤٣٨.

(٤) عيون أخبار الرضا: ١/ ٦٣.

صراعًا مريرًا وقاسيًا ضدّ العقائد المنحرفة التي شاعت في عصره، وساهم بشكلٍ إيجابي في توعية الجماهير ضدّ هذه الانحرافات الفكرية والعقائدية، وسعى لرفع شأنها والحفاظ على كرامتها بالبذل المادّيّ والعطاء المعنوي في عصر أدقّ العصور الإسلامية، وأكثرها حساسيّة حيث الفرق الإسلامية والأحزاب السياسية، وبوادر الردّة إلى الجاهلية بسبب سيطرة الأفكار الخاطئة التي نهى عنها الإسلام والفخر بالآباء والأنساب والطعن بالأحساب، وعودة العصبية القبلية، وانتشار مظاهر البذخ والترف التي شجّع عليها خلفاء بني أمية، فشاع الثراء الفاحش غير المشروع، وعادت مجالس اللهو والطّرب، فما كان من الإمام عليه السلام إلّا أن يتصدّى لكلّ هذه العادات السّيّئة والانحرافات التي هدّدت بزعزعة قواعد الدّين الإسلامي، والنهج الذي وضعه الرّسول الأعظم وآل بيته، فأقام مجالس الوعظ والإرشاد، كما وقف بوجه الفرق المنحرفة، واهتمّ برعاية مدرسة أهل البيت التي كانت قبلة للكثير من العلماء الذين نهلوا منها العلوم والمعارف المختلفة كالفقه والعقيدة، والتفسير وعلوم الكلام [1]

(١) ينظر اضاءات من حياة الامام الباقر عليه السلام: على الرابط www.aLaLamtv.net.

الخاتمة

١. كان الإمام الباقر عليه السلام زاهدًا ورعًا صابرًا على نوائب الدهر وفضول العيش، في زمن تتضارب فيه الفتن والاضطرابات، والعقائد المنحرفة عن جادّة الصّواب في زمن حكم بني أميّة.

٢. قاوم هؤلاء الحكّام بحلمه، وكظم غيظه وصبره على المشاق، وسعة صدره، بحيث كان ناصحًا أمينًا حتى مع ألدّ أعدائه.

٣. إنَّ قوّة الإلهام عنده تُسمّى بالقوّة القدسية تبلغ الكمال في أعلى درجاته، لأنّه يتلقّى المعارف والأحكام الإلهية، وجميع المعلومات عن طريق آبائه.

٤. قاوم الأوضاع المنحرفة بتأسيسه هو وابنه الصّادق عليهما السلام جامعة أهل البيت، إذ تخرج منها جل الفقهاء والعلماء والمفسرين، وحفّاظ الحديث، ونشروا علومهم في مختلف الأقطار الإسلامية .

٥. فكان عقله حجة الله الواجب امتثاله، وهو أصح العقول وأقواها وأمتنها .

٦. وهو إمام مفروض الطّاعة كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق في هذا البحر المائج الزّاخرة بأمواج الضّلالة والفتن، والكفر والجهل، والعادات المنحرفة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

* إضاءات عن حياة الإمام الباقر عليه السلام على الرابط www.aLaLamtv.net .
* بحار الأنوار -محمد باقر المجلسي ت ١١١ هجرية- دار الكتب الإسلامية-طهران -د-ت.
* تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل-محمد جمال الدين بن سعيد القاسمي -تحقيق محمد باسل عيون السود -دار الكتب العلمية -بيروت ط١ ١٤٢٤هجرية .
* جامع السعادات -الشيخ محمد مهدي النراقي ت ١٢٠٩هجرية-، تحقيق العلامة السيد محمد كلانتر- دارالنعمان للطباعة النجف الاشرف-د-ت.
* سيرة الأئمة الاثني عشر-حاتم معروف الحني- بيروت ١٤٣٠هجريه-٢٠٠٩م.
* عقائد الإمامية-الشيخ محمد رضا المظفر-تحقيق عبد الكريم الكرماني-مؤسسة الرافد للمطبوعات- بغداد ط١-٢٠١١م.
* العلم الإلهي اللدني -د-سعدات جبر- جامعة القدس المفتوحة.
* عيون أخبار الرضا- ابو محمد جعفر محمد بن علي الصدوق-تحقيق حسين الاعلمي -المطبعة الحيدرية النجف الاشرف ١٣٩٠ هجرية.
* كشف الغمة في معرفة الأئمة-بهاء الدين بن علي بن عيسى الاربلي-بيروت ط٢ ١٩٨٥ م.
* المجالس السنية في مناقب العترة النبوية-محسن الأمين الحسيني العاملي-مطبعة امير قم د-ت .
* الوافي عن الكافي -محمد محسن بن مرتضى الفيض الكاشاني تحقيق السيد علي بحر العلوم -دار احياء التراث العربي-إيران١٤٣٠ هجرية.

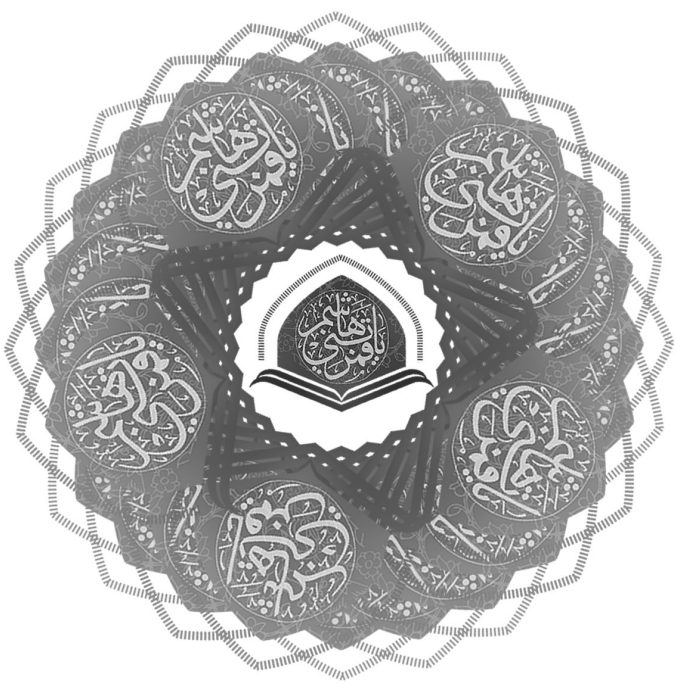

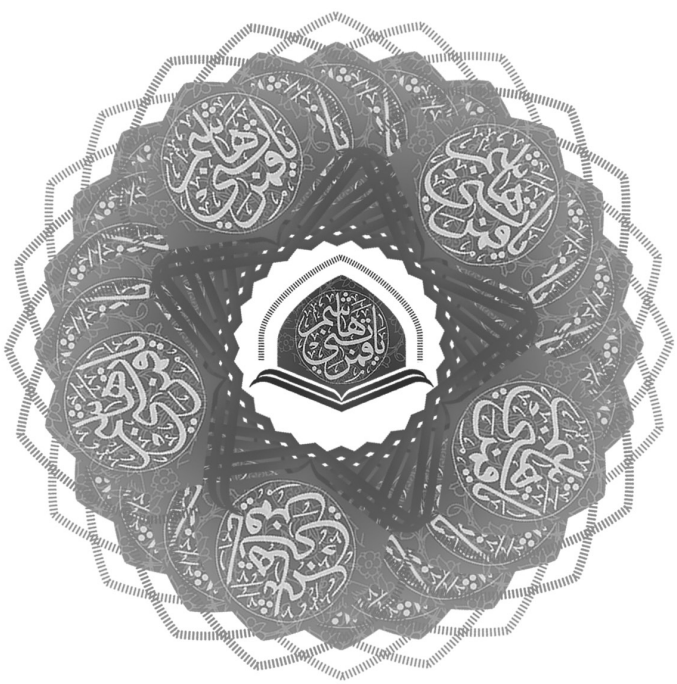

هاني بن عروة ﵁ وموقفه من حركة مسلم بن عقيل ﵇

ا.م.د علي طالب عبيد عاصي السلطاني
م. ازر عبد الكاظم إسماعيل السلطاني

المقدمة:

شهدت البلاد الإسلامية في عهد يزيد بن معاوية حالة من الظلم والجور وشيوع الفاحشة والانحلال الخلقي والفساد والتلاعب بالمقدرات الاقتصادية بسبب سياسة الأمويّين وتولية أمراء وولاة فاسقين لإدارة شؤون البلاد الأمر الذي دفع سيّد الشهداء ﵇ إلى إعلان ثورته بوجه هذا الظّلم والاستبداد الأموي، فأرسل ﵇ رسله وسفراءه إلى كافة الأمصار، وكانت الكوفة واحدة من تلك الأمصار، حيث أرسل إليها ابن عمّه مسلم بن عقيل﵇، وعندما وصل مسلم الى الكوفة كان في استقباله ومؤازرته العديد من الشخصيات الشيعية الفذّة والتي قدّمت له كل ما يحتاجه من دعم معنوي ومادي من أجل إنجاح مشروع الإصلاح الذي تبنّاه الإمام الحسين﵇ومن أبرز تلك الشخصيات هو هاني بن عروة المرادي والذي كان من خلّص الشيعة في الكوفة، والمعروف بصلاحه ونسكه، فكان خير معين وناصر لحركة مسلم بن عقيل، ومن أجل ذلك تناولنا في بحثنا هذا تلك الشخصيّة الإسلاميّة الفذّة والذي يحمل عنوان(هاني بن عروة﵁وموقفه من حركة مسلم بن عقيل ﵇، ولقد قسّمنا بحثنا هذا على مقدمة ومبحثين ونتائج، وأهمّ ما تناولناه من مصادر فأما المبحث الأول: فقد تناولنا فيه اسم هاني بن عروة ولقبه وبعض سيره، وأمّا المبحث الثاني: فقد تناولنا فيه موقف هاني بن عروة من حركة مسلم بن عقيل في الكوفة وختمت بحثي بأهم النتائج، ومن الله التوفيق....

المبحث الأوّل: حياته وبعض سيرته الشَّريفة:

أوّلاً: اسمه ولقبه:

هو هاني بن عروة بن نمران بن الفضفاض بن عمرو بن قعاس أو قعاص بن عبد يغوث المرادي ثم العطيفي[1]، وقيل: القعاصي بكسر القاف أو ضمها والعين المهملة المفتوحة وفي آخرها الصاد المهملة بعد الألف هذه النسبة إلى قعاص، وهو اسم لجد هاني بن عروة بن قعاص المرادي الكوفي القعاصي، من أهل الكوفة، من أشراف العرب، ولقد روى عن عبد الحميد بن محمود، ورجاء الزبيدي، وأبيه، ونعيم بن دجاجة، وأبو عمير، ولقد روى عنه الثوري، وشعبة، وشريك بن عبد الله، وثقه يحيى بن معين، وأبو حاتم الرازي[2]

كان هاني بن عروة المرادي شيخ مراد وزعيمها، يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، فإذا أجابتها أجلافها من كندة كانوا في ثلاثين ألف دارع، وكان من أشراف الكوفة وأعيان الشيعة، قال: وروى أنّه قد أدرك النبيّ صلى الله عليه وآله وتشرّف بصحبته، وكان يوم قُتل ابن تسع وثمانين سنة، ولمّا أُخبِر أبو عبد الله الحسين عليه السلام بقتل كل من مسلم وهاني قال: "إنّا لله وإنّا إليه راجعون، رحمة الله عليهما، يردّد ذلك مراراً"، وفيه أنّه أخرج إلى الناس كتاباً فيه: بسم الله الرّحمن الرحيم إمّا بعد فقد أتانا خبر فظيع قتل مسلم وهاني بن عروة ....الخ [3]

وهاني بن عروة هو من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام شارك في حروب الجمل وصفين والنهروان من أركان حركة حجر بن عدي الكندي ضد زياد بن أبيه، وكان يرتجز في حرب الجمل ويقول:

يا لك حرب حثها جمالها ... قائدة ينقصها ضلالها

هذا علي حوله اقيالها[4]

وقيل إنّه له ولد اسمه يحيى بن هاني بن عروة المرادي، وذكر أهل السير أنَّه لما قتل أبوه اختفى، ثمّ لحق بالحسين عليه السلام واستشهد[5]

---

(١) عبد الحسين شرف الدين الموسوي، (ت ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م)، الفصول المهمة في تاليف الامة، قسم الإعلام الخارجي لمؤسسة البعثة، (د، م)، ص٢٩٨

(٢) السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمّد (ت ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦م)، الأنساب، تح: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨م، ج٤، ص٥٣١

(٣) المحدث النوري، الميرزا حسين بن محمد تقي الطبرسي، (ت١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م)، خاتمة المستدرك، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، قم، ١٤١٥هـ، ج٩، ص١٨٤

(٤) ابن شهر اشوب، محمد بن علي، (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) مناقب ال ابي طالب، تح، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٦م، ج٢، ص٣٥٤

(٥) التستري، محمد تقي، قاموس الرجال، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٢٢هـ، ج١١، ص٢٤

ثانيًا: هاني بن عروة ومعاوية بن أبي سفيان:

وروي أنّ معاوية أرسل كتابًا إلى خليفته بالبصرة أن أوفد إليّ رؤوس الشّيعة وهم: كل من حجر بن عدي، والأحنف بن قيس وصعصعة ابن صوحان، وحارثة بن قدامة السعدي، وخالد بن معمر السدوسي، وشريك ابن الأعور، وهاني بن عروة، فلمّا قدموا عليه أشخصهم جميعًا إلى معاوية، فلمّا قدموا على معاوية حجبهم يومهم وليلتهم، وبعث إلى رؤساء الشّام، فلمّا جاؤوا وأخذوا مجالسهم قال معاوية لصاحب إذنه: أدخلهم عليّ كلّ رجلٍ على حدة إلى أن دخل عليه هاني بن عروة فلمّا دخل قال له معاوية: يا هانئ أنت المائل مع علي بن أبي طالب، والمحارب للمسلمين مع علي يوم صفين ؟ فقال له هانئ: أنّى لك يا معاوية بالشرف الشامخ، والمجد الباذخ ؟ وما كنتم إلا شظية كذا يخطفها العرب حتى بعث محمدﷺ، فلان له العباد في جميع البلاد، وأما خروجي عليك يا ابن هند فغير متعذر إليك منه، ولو كنت رأيتك ذلك اليوم لنفذت رمحي بين حضنيك، والله ما أحببناك مذ أبغضناك، ولا بعنا السيوف التي بها ضربناك[1]

كما روي أنَّ معاوية ابن أبي سفيان ولّى كثير ابن شهاب المدحجيّ خراسان فسرق مالاً كثيرًا ثمّ هرب فاستتر عند هاني ابن عروة المرادي فبلغ ذلك معاوية فهدر دم هاني، فخرج هاني إلى معاوية، فكان في جواره ثمّ حضر مجلسه، وهو لا يعرفه، فلمّا نهض النّاس ثبت مكانه فسأله معاوية عن أمره، فقال أنا هاني ابن عروة، فقال انّ هذا ليوم ليس باليوم الَّذى يقول فيه أبوك .

ارجّل جمّتي وأجر ذيلـــــــــى وتحمل شكّتى أفق كميـــــــت

وأمشي في سراة بني غطيـــــــف إذا ما ساءني أمر أبيـــــــت

فقال له هاني بن عروة في جوابه: إنّا والله اليوم أعزّ منّى ذلك اليوم، فقال: بم ذلك قال: بالإسلام، فقال له معاوية: أين كثير ابن شهاب قال: عندي وعندك، فقال: أنظر إلى ما اختانه فخذ منه بعضًا وسوّغه بعضًا وقد أمّناه ووهبناه لك[2]

ثالثًا: الكوفة في زمن هاني بن عروة:

تولى عبيد الله بن زياد الكوفة، وكان سبب ولاية على ما ذكره المورّخون هو أنّه لّما خرج الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكّة ومن مكّة إلى العراق بعد أن بعث إليهم عليهم السلام وخصوصًا أهل الكوفة ابن عمّه مسلم بن عقيل عليه السلام جوابًا لمراسلاتهم إليه، ولّما وصل مسلم الكوفة كان النّعمان ابن بشير آنذاك واليًا عليها من قبل يزيد بن معاوية، والنّعمان كان شخصًا ممّن يميل الى السّلم والرّفاهية،

(١) احمد الرحماني الهمداني، الامام علي عليه السلام، المنير للطباعة والنشر، تهران، ١٤١٧ه، ص٧٦٣

(٢) محمد تقي النقوي القايني الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، (د، م)، ج٥، ص١٠١

فقام إليه رجل حليف لبني أميّة يُدعى عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي فقال له: "إنّه لا يصلح ما ترى إلّا الغشم إنّ هذا الّذى أنت عليه رأي المستضعفين فقال أكون من المستضعفين في طاعة الله أحبّ إليّ من أن أكون من الأعزّين في معصيته"، فكتب عبد الله بن مسلم إلى يزيد يخبره بقدوم مسلم بن عقيل الكوفة، ومبايعة النّاس له ويقول له: " إن كان لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قويًّا ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوّك فإنَّ النّعمان رجل ضعيف أو هو يتضعّف وكان هو أوّل من كتب إليه، ثمّ كتب إليه عمارة بن الوليد بن عقبة وعمر بن سعد ابن أبي وقّاص بنحو ذلك فلمّا اجتمعت الكتب عند يزيد دعا سرجون المسيحي مولى معاوية، فأقرأه الكتب واستشاره، فيمن يولّيه الكوفة، وكان يزيد عاتبًا على عبيد الله بن زياد فقال له سرجون: " أرأيت لو نشر لك معاوية كنت تأخذ برأيه قال: نعم فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة وقال هذا رأي معاوية ومات وقد أمر بهذا" الكتاب فأخذ يزيد برأيه وجمع الكوفة والبصرة لعبيد الله كما كان معاوية قد جمعها لأبيه زياد ابن سميّة، فلمّا وصل كتابه إلى عبيد الله وهو بالبصرة أمر بالتّجهيز ثمّ خطب النّاس وقال: أمّا بعد: " فو الله ما بي تقرن الصّعبه وما يقعقع لي بالشّنان وإنّي لنكل لمن عاداني ومسلم لمن حاربني وانصف القارة من راماها يا أهل البصرة إنّ أمير المؤمنين قد ولّاني الكوفة وأنا غادٍ إليها بالغداوة، وقد استخلف عليكم أخي عثمان بن زياد فإيّاكم الخلاف والارجاف من الله لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنّه وعريفه ووليه ولآخذنّ الأدنى بالأقصى حتّى تستقيموا ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق وإنّي أنا ابن زياد أشبهته من بين من وطئ الحصى فلم ينتزعني شبه خال ولا ابن عمّ"[1]

فلم يخرج عبيد الله من البصرة إلّا بعد أن استخلف أخاه عثمان بن زياد عليها، وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي، وشريك بن الأعور الحارثي وكان شيعيًّا، وحشمه وأهل بيته حتى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء وهو ملتثم والناس قد بلغهم إقبال حسين إليهم فهم ينتظرون قدومه، فظنوا حين قدم عبيد الله أنّه الحسين، فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلّا سلموا عليه وقالوا: مرحبا بك يا بن رسول الله، قدمت خير مقدم، فرأى ابن زياد من تباشيرهم بالحسين عليه السلام ما ساءه [2].

أمّا في الكوفة فقد أخذت الأمور تتعقّد على جبهة الحزب الشيعي وتلاحقت الأحداث فيها بسرعة مذهلة، فقد كان الناس حينئذ يترقّبون وصول الحسين عليه السلام بين لحظة وأخرى، في الوقت الذي وصل فيه عبيد الله كما ذكرنا ملثمًا، وعلى رأسه عمامة سوداء حتى أنّهم اعتقدوا أنّ ذلك الملثم

(١) النقوي، مفتاح السعادة، ج٦، ص٥١٣

(٢) ابي مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد(ت١٥٧هـ/ ٧٧٣م)، مقتل الحسين، تحقيق: حسين الغفاري، مطبعة العلمية، قم، (د، ت)، ص٤٤

الـذي ظهـر في الكوفـة هـو الإمـام الحسـين عليه السلام. وبعـد وصولـه إلى قـصر الإمـارة أحـاط ابـن زيـادة نفسـه بالشرطـة، ومـن هنـاك أخـذ يُخطّـط لانقلابـه، مسـتفيدًا مـن البلبلـة التـي خلقهـا ظهـوره في الكوفـة، فبـدأ أوّلاً بنـشر جواسيسـه في المدينـة لمعرفـة مـكان مسـلم بـن عقيـل، وفي تلـك الأثنـاء كان ابـن زيـاد يقـوم بحملـة إعلاميـة واسـعة لاسـتعادة زمـام الأمـور، وفـق مخطّـط ذكـيّ وتكتيـك بـارع. فأوهـم رؤسـاء القبائـل بـأنَّ جيوشًـا عظيمـة مـن الشـام تشـقّ طريقهـا نحـو العـراق، ونثـر رجالـه في شـوارع الكوفـة لتخذيـل النـاس عـن مسـلم، ومحاولـة التأثـير عليهـم نفسـيًّا بإشـاعة جـوّ مـن الذّعـر والخـوف، وقـد أعطـت هـذه الحملـة نتائجهـا الإيجابيـة فيـما بعـد[1]

المبحـث الثـاني: موقـف هـاني بـن عـروة مـن حركـة مسـلم بـن عقيل عليه السلام سـفير الإمـام الحسـين عليه السلام الى الكوفـة:

أوّلاً: نصرته واستجارته لمسلم بن عقيل ودفاعه عنه:

لمـا أشرف ابـن زيـاد عـلى الكوفـة نـزل حتـى جـن الليـل لكـي تظـن أهلهـا انـه الحسـين ودخلهـا ممـا يـلي النجـف فقالـت امـرأة: لله أكـبر ابـن رسـول الله ورب الكعبـة، فتصايـح النـاس وقالـوا: انـا معـك أكثـر مـن أربعـين ألفـا وازدحمـوا عليـه حتـى اخـذوا بذنـب دابتـه وظنهـم انـه الحسـين فحسـر اللثـام وقـال انـا عبيـد الله فتسـاقط القـوم ووطـئ بعضهـم بعضـا ودخـل دار الامـارة وعليـه عمامـة سـوداء وهـو متلثـم فظنـه النعـمان بـن بشـير الحسـين قـد قـدم، فأغلـق بـاب القـصر وقـال: "مـا أنـا بمسـلم إليـك أمانتـي، فقـال لـه عبيـد الله: افتـح لا فتحتـه، ففتـح وهـو يظنّـه الحسـين، فلـمّا تحقّـق أنّـه عبيـد الله أسـقط في يـده فلـمّا أصبـح قـام خاطبًـا وعليهـم عاتبًـا ولرؤسـائهم مؤنّبًـا، ولأهـل الشـقاق معاتبًـا ووعدهـم بالإحسـان عـلى لـزوم طاعتـه وبالإسـاءة عـلى معصيتـه والخـروج عـن حوزتـه[2].

ونـودي أنَّ الصّـلاة جامعـة، فاجتمـع النـاس فخـرج إليهـم خطيبًـا فحمـد الله وأثنـى عليـه ثـمّ قـال: "أمّـا بعـد فـإنَّ أمـير المؤمنـين أصلحـه الله ولّاني مصركـم وثغركـم، وأمـرني بإنصـاف مظلومكـم، وإعطـاء محرومكـم، وبالإحسـان إلى سـامعكم ومطيعكـم، وبالشّـدّة عـلى مريبكـم وعاصيكـم، وأنـا متّبـع فيكـم أمـره، ومنفـذ فيكـم عهـده، فأنـا لمحسـنكم ومطيعكـم كالوالـد الـبر، وسـوطي وسـيفي عـلى مـن تـرك أمـري، وخالـف عهـدي، فليبـق امـرء عـلى نفسـه الصـدق ينبـئ عنـك لا الوعيـد، ثـمّ نـزل فأخـذ العرفـاء والنـاس أخـذًا شـديدًا فقـال: اكتبـوا إلى الغربـاء ومـن فيكـم مـن طلبـة أمـير المؤمنـين ومـن فيكـم مـن الحروريـة

(١) ابراهيم بيضون، التوابون، (د، م)، ص٧٤

(٢) ابن كثير، ابي الفداء اسماعيل بن نور الدين، (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)البداية والنهاية، تح:علي شيري، ط١، داراحياء التراث العربي، ، بيروت، ١٩٨٨م، ج٨، ص١٦٦

وأهل الرّيب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبرئ، ومن لم يكتب لنا أحدًا فيضمن لنا ما في عرافته ألا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذّمّة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأيّما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يعرفه إلينا صلب على باب داره وألغيت تلك العرافة من العطاء وسير إلى موضع بعمان الزّارة "[1]

فلمّا سمع مسلم بن عقيل عليه السلام بمقالة عبيد الله خرج فانتقل من دار سالم إلى دار هاني بن عروة المذحجي في الليل ودخل في أمانه، ولقد اختلف عليه الناس يبايعونه في بيت هاني حتى بايعه خمسة وعشرون ألف رجل[2].

والحّ عبيد الله في طلب مسلم ولا يعلم أين هو، وكان شريك بن الأعور الهمداني من محبّي أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته عظيم المنزلة جليل القدر، فلمّا أن جاء من البصرة مع عبيد الله بن زياد نزل دار هاني فمرض وكان معه في الدّار مسلم بن عقيل عليه السلام، فأرسل إليه ابن زياد أنّه يُريد أن يعوده فقال شريك لمسلم: " إنَّ هذا الفاجر – ويقصد به ابن زياد- عائدي فادخل بعض الخزائن فإذا جلس أخرج إليه فاقتله، ثم اقعد في القصر ليس أحد يحول بينك وبينه، فإن برئت سرت إلى البصرة حتى أكفيك أمرها وعلامتك أن أقول أسقوني ماءً، فلمّا دخل عبيد الله على شريك وسأله عن وجعه وطال سؤاله جعل يقول أسقوني ماءً فلمّا رأى أنَّ أحدًا لا يخرج خشي أن يفوته فأخذ يقول:

ما الانتظار بسلمى أن تحييها ... كأس المنية بالتعجيل أسقوها

فأنكر عبيد الله القول والتفت إلى هاني بن عروة وقال ابن عمّك يخلط في علّته وهاني قد ارتعد وتغيّر وجهه فقال هاني إن شريكا يهجر منذ وقع في المرض ويتكلّم بما لا يعلم، فما أن خرج ابن زياد دخل مسلم والسّيف في يده فقال له شريك: "ما منعك من قتله قال: هممت بالخروج فتعلّقت بي امرأة وقالت لي: نشدتك الله أن قتلت ابن زياد في دارنا وبكت في وجهي فرميت السّيف وجلست فقال هاني يا ويلها قتلتني وقتلت نفسها، والذي فرت منه وقعت فيه"، وفي رواية أنّه قال: "منعني من قتله خصلتان كراهية هاني أن يقتل في داره، وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: "إنَّ الإيمان قيد الفتك ولا يفتك مؤمن"، فقال له هاني: " أما والله لو قتله لقلت فاسقًا فاجرًا كافرًا"[3]

ولبث شريك بن الأعور بعد ذلك ثلاثًا ثم مات، فخرج ابن زياد فصلّى عليه وبلغ عبيد الله بعدما قتل مسلمًا وهانيًا أنَّ ذلك الذي كنت سمعت من شريك في مرضه إنَّما كان يحرّض مسلمًا

(١) ابي مخنف، مقتل الحسين، ص٤٤

(٢) النقوي، مفتاح السعادة، ج٦، ص٥١٣

(٣) محسن الامين، (١٣٧١هـ/ ١٩٥١م)، لواعج الاشجان، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٣١ه، ص٥٤

ويأمره بالخروج إليك ليقتلك فقال عبيد الله: "والله لا أصلّي على جنازة رجل من أهل العراق أبدًا ووالله لولا أنَّ قبر زياد فيهم لنبشت شريكا"، ثم إنَّ عبيد الله دعا مولى له يُقال له: معقل فأعطاه ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف درهم وأمره بحسن التّوصل إلى أصحاب مسلم وأن يدفع إليهم المال ويقول لهم استعينوا به على حرب عدوّكم ويعلمهم أنَّه من أهل حمص ويظهر لهم أنَّه منهم وقال له إنَّك لو قد أعطيتهم المال اطمأنّوا إليك ووثقوا بك فتردد إليهم حتى تعرف مقر مسلم وتدخل عليه، فجاء معقل حتى جلس إلى مسلم بن عوسجة الأسدي في المسجد الأعظم وهو يصلى فسمع قومًا يقولون هذا يبايع للحسين عليه السلام فقال له معقل: " إني امرؤ من أهل الشّام أنعم الله علي بحبّ أهل هذا البيت ومن أحبّهم وتباكى له وقال: معي ثلاثة آلاف درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنَّه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فاغترّ ابن عوسجة بذلك فأخذ بيعة وأخذ عليه المواثيق المغلظة ليكتمن الأمر، ثم أدخله على مسلم وهو في بيت هاني، فأخذ بيعة وأمر أبو ثمامة الصائدي بقبض المال منه وهو الذي كان يقبض أموال الشيعة، وما يعين به بعضهم بعضًا، ويشتري لهم به السلاح، وكان فارسًا من فرسان العرب ووجوه الشيعة، فكان معقل يختلف إليهم فهو أوّل داخل وآخر خارج حتى فهم ما احتاج إليه ابن زياد فكان يخبره وقتًا وقتًا، وبلغ الذين بايعوا مسلمًا خمسة وعشرين ألف رجل، وكان هاني يغدو ويروح إلى عبيد الله، فلمّا نزل به مسلم انقطع من الاختلاف وتمارض فجعل لا يخرج فقال ابن زياد لجلسائه: ما لي لا أرى هانئًا ما يمنع هاني بن عروة من إتياننا، فقالوا: هو شاك فقال: لو علمت بمرضه لعدته.[1]

ولمّا علم عبيد الله بأحوال مسلم مع هاني دعا بجماعة من حاشيته فيهم محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة وعمرو بن الحجاج الزبيدي وقال لهم: قد بلغني أنَّ هاني برأ وهو يجلس على باب داره، ولو أعلم أنَّه مريض لعدته فالقوه وأمروه ألا يدع ما يجب عليه من حقّنا، فلمّا لقوه على باب داره، قالوا له: ما يمنعك من لقاء الأمير، فقال: المرض يمنعني، فقالوا له: بلغه أنَّك تجلس على باب دارك كل عشية وقد استبطأك ونحن نقسم عليك إلا ما ركبت معنا فدعا بثيابه فلبسها وببغلته فركبها فلمّا دنا من القصر قال لحسان بن أسماء بن خارجه: "يا بن أخي إنّي والله لخائف من هذا الرجل ولم يك حسان يعلم في أيّ شئ بعث إليه، فما أن دخل هاني ومن معه على عبيد الله فلمّا رآه قال: "اتتك بخائن تسعى رجلاه"، ثم أنشد بيت عمرو بن معدى كرب الزبيدي:

أريد حباءه ويريد قتلي ... عذيرك من خليلك من مراد

(١) ابي مخنف، مقتل الحسين، ص٤٧

فقال هاني وما ذاك أيها الأمير فقال: " إيه يا هاني ما هذه الأمور التي تربص في دورك لأمير المؤمنين وعامّة المسلمين جئت بمسلم عقيل وأدخلته دارك وجمعت له السّلاح والرّجال وظننت أنَّ ذلك يخفى عليّ" ، فانكر ذلك هاني، وقال: ما فعلت: فقال عبيد الله:عليّ بمعقل، وكان عينًا له على الأخبار فلمّا حضر عرف هاني أنّه كان عينًا [1]

فقال هاني: "أصلح الله الأمير اسمع منّي وصدّق مقالتي والله ما دعوت لمسلم ولكن جاءني مستجيرًا فاستحييت من ردّه وضيّفته والآن لما علمت خل سبيلي حتى آمره بالخروج من داري إلى حيث شاء لأخرج من ذمامه" فقال ابن زياد:" والله لا تفارقني حتى تأتيني به"، فقال له هاني: "والله لو أنّه تحت قدمي ما رفعتها عنه ولا أجيئك به" فطال الكلام بينهما وكثر الخصام، فقام مسلم بن عمرو الباهلي فقال:" يا هاني إنّي أنشدك الله أن لا تقتل نفسك وتدخل البلاء على أهلك وعشيرتك واني لانفس بك من القتل فليس مجزاة ولا منقصة بدفعه إليهم"، فقال هاني::"والله وإن علي في ذلك العار أن أدفع ضيفي ورسول ابن رسول الله وأنا صحيح السّاعدين كثير الأعوان"، فقال ابن زياد: " أدنوه منّي فأدني فقال:" لتأتني به أو لأضربنّ عنقك"، فقال هاني: " إذن تكثر البارقة حول دارك"، وهو يظنّ أنَّ عشيرته سيمنعونه فاعترض عبيد الله وجهه بالقضيب فكسر أنفه وخدّه وجبينه وسال الدم على لحيته وثيابه، فأراد هاني أن يقبض على سيف شرطي كان بجانبه فمنعوه ليضرب به عبيد الله، فصرخ عبيد الله خذوه فجروه حتى القوة في بيت من بيوت الدار وأغلقوا بابه عليه وجعلوا الحرس عليه وقتل بعد ذلك[2]

وروي أنّه لمّا سأل ابن زياد هانياً عن مسلم وأغلظ له، قال له: "إنّ لزياد أبيك عندي بلاءً حسناً، وأنا أُحبّ مكافأته به، فهل لك في خير ؟ قال: تشخص إلى الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم، فإنّه قد جاء حقّ من هو أحقّ من حقّك وحقّ صاحبك، فقال: أدنوه منّي، فأدنوه فضرب وجهه بقضيب كان في يده كسر أنفه وشقّ حاجبه ونثر لحم وجنته، وكسر القضيب على وجهه ورأسه[3]

وقيل أنّ عبيد الله اتهم هاني بأنّه خارجيّ حروري وأنه حلّ قتله، وقال له: قد حلّ دمك، فأمر حاشيته فجرّوه، وألقوه في بيت من بيوت الدّار، وأغلقوا عليه بابه، ففعل ذلك به، ولمّا بلغ عمرو بن الحجاج وكانت أخت هاني تحته- أنّ هانئًا قد قتل، أقبل في مذحج حتى أحاط بالقصر

---

(١) علي الاحمدي الميانجي، مواقف الشيعة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٦هـ، ج١، ص٣٨٥

(٢) ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله (ت ٦٤٥ هـ/ ١٢٥٦م)، مثير الاحزان، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٠ م، ص٢٣

(٣) التستري، قاموس الرجال، ج١٠، ص٤٩١

ومعه جمع عظيم، وقال: أنا عمرو بن الحجاج، وهذه فرسان مذحج ووجوهها، لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة، فقيل لعبيد الله بن زياد: إنَّ فرسان مذحج بالباب، فقال لشريح القاضي: أدخل على هاني فانظر إليه، ثم اخرج فأعلمهم أنّه حي لم يقتل، فدخل شريح على هاني فلمّا رأى شريحًا قال: "يا لله يا للمسلمين أهلكت عشيرتي، أين أهل الدّين ؟ أين أهل المصر؟ والدّماء تسيل على لحيته، إذ سمع الضّجّة على باب القصر، فقال: إنّي لأظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إنّه إن دخل علي عشرة نفر أنقذوني" ، فلمّا سمع شريح كلامه خرج إليهم، فقال لهم: "إنّ الأمير لما بلغه كلامكم ومقالتكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه، فأتيته فنظرت إليه، فأمرني أن ألقاكم وأعرفكم أنّه حي، وأنّ الذي بلغكم من قتله باطل" فقال له عمرو بن الحجاج: الحمد لله انّه لم يقتل، ثم انصرفوا[1]

ثانيًا: حركة مسلم بن عقيل في إنقاذ هاني بن عروة:

وروي أنّه لّما وصل خبر هاني إلى مسلم بن عقيل خرج في أربعة آلاف كانوا حواليه ثم اجتمع إليه ثمانية آلاف ممن بايعوه وتوجّهوا إلى قصر الإمارة لإطلاق سراح هاني، فتحرّز عبيد الله وغلق الأبواب وسار مسلم حتى أحاط بالقصر، فبعث عبيد الله كثير بن شهاب الحارثي ومحمد بن الأشعث الكندي من باب الروميين براية الأمان لمن جاءها من الناس، فرجع الرؤساء إليها فدخلوا القصر، فقال لهم عبيد الله أشرفوا على الناس فمنّوا أهل الطاعة وخوّفوا أهل المعصية، فما زال الناس يتفرّقون حتى أمسى مسلم وما معه إلا ثلاثون نفسًا، فلمّا صلى المغرب ما رأى أحدًا فبقي في أزقّة كندة متحيّرًا[2]

وروي أنّه لّما سمع مسلم بن عقيل خبر هاني ركب ونادى بشعاره (يا منصور أمت) فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، وكان معه المختار بن أبي عبيد، ومعه راية خضراء، وعبد الله بن نوفل بن الحارث براية حمراء، وعقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد، وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة وعبّأ ميمنته وميسرته ووقف هو في القلب وأقبل نحو القصر وتداعي الناس واجتمعوا فما لبثوا إلا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسّوق وما زالوا يتوثّبون حتى المساء وأحاط مسلم بالقصر، فرتّبهم ميمنة وميسرة وسار هو في القلب إلى عبيد الله، وهو يخطب الناس في أمر هانئ ويحذّرهم من الاختلاف، وأشراف الناس وأمراؤهم تحت منبره، فبينما هو كذلك إذ جاءت النظارة يقولون: جاء مسلم بن عقيل، فبادر عبيد الله فدخل القصر ومن معه وأغلقوا عليهم الباب، فلمّا انتهى مسلم إلى باب

(١) الاحمدي الميانجي، مواقف الشيعة، ج١، ص٣٨٥

(٢) ابن شهر اشوب، مناقب ال ابي طالب، ج٣، ص٢٤٤

القصر وقف بجيشه هناك، فأشرف أمراء القبائل الذين عند عبيد الله في القصر، فأشاروا إلى قومهم الذين مع مسلم بالانصراف، وتهددوهم وتوعدوهم، وأخرج عبيد الله بعض الأمراء وهم: كثير بن شهاب ومحمد بن الأشعث والقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر السلمي وشمر بن ذي الجوشن العامري وأمرهم أن يركبوا في الكوفة يخذلون الناس عن مسلم بن عقيل، ففعلوا ذلك، فجعلت المرأة تجئ إلى ابنها وأخيها وتقول له: ارجع إلى البيت، الناس يكفونك ويقول الرجل لابنه وأخيه: كأنّك غدًا بجنود الشام قد أقبلت فماذا تصنع معهم؟ فتخاذل الناس وقصروا وتصرّموا وانصرفوا عن مسلم بن عقيل حتى لم يبقَ إلا في خمسمائة نفس، ثم تقالوا حتى بقي في ثلاثمائة ثم تقالوا حتى بقي معه ثلاثون رجلاً، فصلّى بهم المغرب وقصد أبواب كندة فخرج منها في عشرة، ثم انصرفوا عنه فبقي وحده ليس معه من يدلّه على الطّريق فأحاط به جيش ابن زياد فأخذوه أسيرًا إلى عبيد الله بن زياد فالقى به من فوق قصر الإمارة حتى قُتل[1].

أما هاني بن عروة فقد أمر عبيد الله بن زياد بأن يخرجوه إلى السّوق ويضربوا عنقه فأخرج هاني حتى أتي به إلى مكان من السوق يباع فيه الغنم وهو مكتوف – فجعل يقول: وا مذحجاه، ولا مذحج لي اليوم، يا مذحجاه يا مذحجاه أين مذحج، فلمّا رأى أنّ أحدًا لا ينصره، جذب يده فنزعها من الكتاف ثم قال: أما من عصا أو سكين أو حجر أو عظم يحاجز به رجل عن نفسه؟ فوثبوا إليه فشدوه وثاقًا، ثم قيل له: امدد عنقك، فقال: ما أنا بسخي وما أنا بمعينكم على نفسي، فضربه مولى لعبيد الله بن زياد تركي يقال له: رشيد بالسيف فلم يصنع شيئا، فقال هاني: إلى الله المعاد اللهم إلى رحمتك ورضوانك، ثم ضربه أخرى، فقتله، وفي مسلم بن عقيل وهاني بن عروة يقول عبد الله بن الزبير الأسدي :

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هاني بالسوق وابن عقيل

إلى بطل قد هشم السيف وجهه ... وآخر يهوي من طمار قتيل

أصابهما أمر الأمير فأصبحا ... أحاديث من يسري بكل سبيل

تري جسدا قد غيّر الموت لونه ... ونضح دم قد سال كل مسيل

فتى كان أحيى من فتاة حيية ... وأقطع من ذي شفرتين صقيل

أيركب أسماء الهماليج آمنا ... وقد طالبته مذحج بذحول

تطوف حواليه مراد وكلهم ... على رقبة من سائل ومسول

فان أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فكونوا بغايا أرضيت بقليل

فلمّا وصل خبرهما إلى الإمام الحسين قال عليه السلام: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، رحمة الله عليهما يردّد ذلك مرارًا[2]

(١) ابن كثير البداية والنهاية، ج٨، ص١٦٦.

(٢) مهدى بحر العلوم، (ت ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م) الفوائد الرجالية، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، حسين بحر العلوم، مكتبة الصادق، طهران، ١٣٦٣هـ، ج٤، ص١٨.

النتائج:

١ – لقد كان تعين عبيد الله بن زياد واليًا على الكوفة من قَبل يزيد قد صدر من قبل معاوية بن أبي سفيان وقبل أن يتولى يزيد الخلافة، وهذا ما أكّده مستشار يزيد النصراني سرجون، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على أهمّيّة الكوفة بالنسبة لبني أميّة بسبب تشيّعها للإمام عليّ وأهل بيته عليهم السلام فكان لابُدَّ أن يتولّى مهمّة حكمها رجل ذو دهاءٍ ومكرٍ وخديعةٍ وقسوةٍ وبطشٍ، فكان اختيار عبيد الله لولاية الكوفة من شأنه أن يُحقّق طموح بني أميّة في القضاء على كلّ تحرّك شيعي يقوّض حكمهم، وهذا ما حصل فعلاً في حركة مسلم بن عقيل في الكوفة.

٢ – إنَّ أهمّ ما نستخلصه في هذا البحث من موقف هاني بن عروة ونصرته لسفير الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل في أنه جعل داره مقرًّا للعمليات العسكرية والخطط السياسية والدّعم اللوجستي لحركة مسلم بن عقيل سفير الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة بالرغم من خطورة الوضع السياسي آنذاك بالكوفة بعد وصول عبيد الله إلى حكم الكوفة وبثّه الجواسيس في كلّ مكان للقضاء على مسلم بن عقيل وأصحابه.

٣ – كذلك نجد موقفًا آخر لهاني بن عروة يعكس مدى رغبته في إنجاح مهمّة مسلم بن عقيل في الكوفة تمهيدًا لثورة الإمام الحسين عليه السلام للقضاء على حكم غلمان بني أميّة، وهذا الموقف يتجسّد في رفضه تسليم مسلم بن عقيل لعبيد الله بن زياد بعد أن استجار به، حيث إنَّ العرب تعتبر ذلك أعظم إهانة بالنسبة إليها، ولذا كان هاني بن عروة رحمة الله عليه الذي قد أجار مسلمًا وحماه وآواه في داره بذل له تمام النصرة وامتنع شديدًا من تسليمه إلى ابن زياد، واختار القتل على ذلك وقال لابن زياد: والله لا آتيك بضيفي لتقتله أبدًا، ولّما قال له ابن زياد لتأتيني به، قال: والله لا آتيك به، وفي رواية والله لو أنّه تحت قدمي ما رفعتهما عنه ولا أجيئك به، فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيّا.

٤ – كما أنَّه يمكن أن نستخلص من بحثنا هذا نتيجة مهمّة تتمثّل في موقف مسلم بن عقيل عليه السلام من عبيد الله بن زياد عندما جاء لعيادة شريك بن الأعور الهمداني ومسلم كان عنده متخفيًا في بيته فكانت فرصة ذهبية لمسلم في القضاء عليه إلّا أن أخلاق مسلم بن عقيل وما تربّى عليه من مبادىء وقيم سامية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام البعيدة عن المكر والخديعة، فرفض قتله وتذكّر حديث رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يقول فيه: "إنّ الإيمان قيد الفتك ولا يفتك مؤمن"

المصادر والمراجع:

* ابراهيم بيضون، التوابون، (د، م)
* احمد الرحماني الهمداني، الامام علي ﷺ، المنير للطباعة والنشر، تهران، ١٤١٧هـ
* السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمّد (ت ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦م)، الأنساب، تح: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨م
* ابن شهر اشوب، محمد بن علي، (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) مناقب ال ابي طالب، تح، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٦م
* عبد الحسين شرف الدين الموسوي، (ت ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م)، الفصول المهمة في تاليف الامة، قسم الإعلام الخارجي لمؤسسة البعثة، (د، م)،
* علي الاحمدي الميانجي، مواقف الشيعة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٦هـ
* ابن كثير، ابي الفداء اسماعيل بن نور الدين، (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)البداية والنهاية، تح:علي شيري، ط١، داراحياء التراث العربي، ، بيروت، ١٩٨٨م
* المحدث النوري، الميرزا حسين بن محمد تقي الطبرسي، (ت١٣٢٠ه/ ١٩٠٢م)، خاتمة المستدرك، تح: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، ط١، قم، ١٤١٥هـ
* محمد تقي التستري، قاموس الرجال، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٢٢هـ
* محمد تقي النقوي القايني الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، (د، م)،
* محسن الامين، (١٣٧١هـ/ ١٩٥١م)، لواعج الاشجان، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٣١ه
* ابي مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد(ت١٥٧هـ/ ٧٧٣م)، مقتل الحسين، تحقيق: حسين الغفاري، مطبعة العلمية، قم، (د، ت)
* مهدى بحر العلوم، (ت ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م) الفوائد الرجالية، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، حسين بحر العلوم، مكتبة الصادق، طهران، ١٣٦٣هـ
* ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله (ت ٦٤٥ هـ/ ١٢٥٦م)، مثير الاحزان، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٠ م

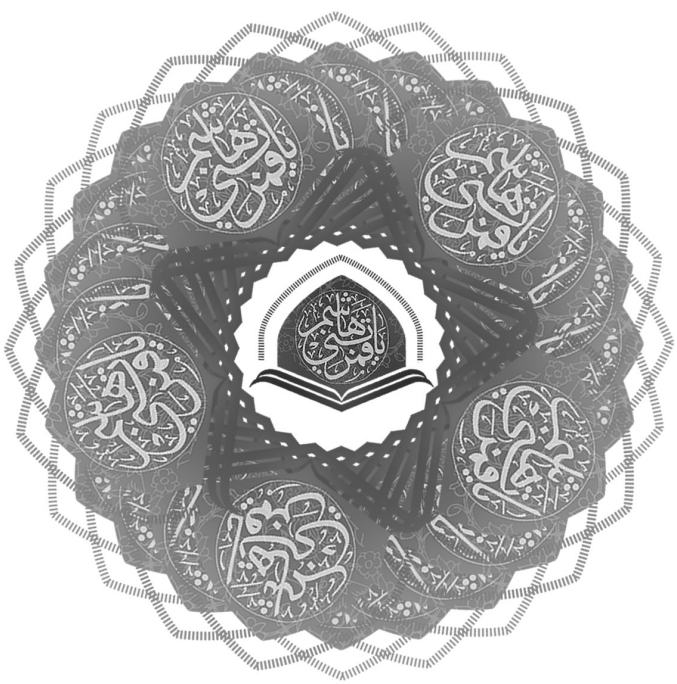


القصيدة

فاجعة البقيع

مقتطفة من قصيدة

(العقود الدرية في شبهات الوهابية)

العلامة السيد محسن الأمين العاملي

قم وابكِ منتحبًا لما قد حلَّ ... بالإسلام من وهن وفرطِ تبدد

أبناؤه متشاكسون عراهم ... محلولة ما بينهم لم تعقدِ

لم يبقَ غير قبورِ آل محمّد ... شيدت ضلالاً في بقيع الغرقدِ

وقبور أباء النبي وصحبه ... بوجودِها الإسلام لم يتمهد

فإذا محت ما شيد من بنيانها ... لم يبقَ في الإسلام غير مشيد

أمسى بها التوحيدُ مفقوداً فمذ ... هدمت فما للكونَ غير موحد

فعدت عليها كالوحوش ضوارياً ... وغداً ستتبعها بقبرِ محمّد

ما قبر أحمدَ عندها أمسى سوى ... صنم لقد ضلّت ولما تهتد

كلا لعمر الله هدم قبورهم ... هدم لصرح بالفخار ممرد

قد حاولتْ والله مكمل نوره ... إطفاء نور ساطع لم يخمَد

جرت على الإسلام أعظم ذلة ... بفعالها وأتت بكلّ تمرد

ساءت جميعَ المسلمينَ بفعلِها ... ورمت قلوبهم بحر موقد

ساءت إمامَ المسلمينَ محمداً ... وإليه في قرباه لم تتودّد

ساءت إلهَ العرش فيهم فاغتدَت ... منه بمنزلة القصى المبعد

لم يكف ما صنَعت بهم أعداؤهُم ... بحياتهم من كلّ فعل أنكد

حتَّى غدت بعد المماتِ خوارج ... في الظلم بالماضينَ منهم تقتدي

لم تحفظْ المختارَ في أولادِه ... وسواهم من أحمد لم يولد

وهم الأئمة للورى والعترة الـ ... ـهادون حقاً قدوة للمقتدي

لم تحفظْ المختارَ في آبائه ... من أصيد متفرع من أصيد

لم تحفظْ المختارَ في أعمامه ... من كلّ قرم بالعلى متفرد

لم تحفظْ المختارَ في أصحابه ... وهم الّذين بهم غدونا نقتدي
لم تحفظْ المختارَ في أزواجه ... ولهنّ منه حرمة لم تجحد
هدمت قبابًا فوقهم قد شيدت ... معقودة من فوق أشرف مرقد
فوق الإمام السيد الحسن الزّكي ... إبن النبي إبن الإمام السيد
والعابد السجاد زين العابدي ... ـن بن الحسين الراكع المتهجد
والباقر العلم ابنه والصادق الـ ... ـقول المفضل جعفر بن محمد
والسيد العباس عم محمد ... رب المفاخر والعلى والسؤدد
والحبر عبدالله حبر الأمّة الـ ... ـبحر الخضم ومرشد المسترشد
وصحابة الهادي الّذين بنصرهم ... للدين قد فازوا بأعذب مورد
والناصر المختار والد طالب ... عم النبي وحمزة المستشهد
والمطعم الحجاج عفواً سيد الـ ... ـبطحاء معطي الرفد للمسترفد
وخديجة الغراء أم المؤمني ... ـن ومن سمت شرفا مقام الفرقد
والطهر امنة وعبدالله يا ... لله لليوم الفظيع الأسود
وإمام طيبة مالك وضريح اسـ ... ـماعيل نجل الصّادق المتعبد
قوم لهم أسمى مقام أدركوا ... قصب السباق به برغم الحسد
سبقوا البرية في الفضائل من مسو ... د قد غدا ما بينهم ومسود
ولأمهات المؤمنين مكانة ... حكمت ببر في الورى وتودد
وبقبر حواء وهدم ضريحه ... باب المذمة عنهم لم يوصد
أم الأنام تعق بعد وفاتها ... من فعل أبناء عليها تعتدي
ساءوا بذلك نسل آدم كله ... ولآدم جاءوا بما لم يحمد
يا قبة بشرى البقيع منيعة ... شأت الفراقد والسهى في مصعد
ولقبة الأفلاك دون منالها ... شأو الضليع غدا وسير المجهد
شعت بها أنوار آل محمد ... بسنا على طول الزَّمان مخلد

